بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومضات في فهم الآيات (٢)

سورة آل عمران

وسورة النساء

وسورة المائدة

رقم الناشر الدولي: ٧-٦٠٥-٠-٨٥٩٩٩-٨٧٩

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: ٧٦٧/د.ع/٢٠٢١م

ملخص المقدمة

بني ومضات في فهم الآيات على ثمانية عشر من الأسس والمرتكزات المستمدة من القرآن العزيز وسُنّة الرسول ﷺ، لتكون أساسًا ومرتكزًا لفهم القرآن العزيز، والتمسك به، وإقامته في النفس، ودعوة النّاس له، تمهيدًا لإقامته في الأرض، ليفتح الله تعالى بركات السماء والأرض للناس، ولمنع عقوباته تعالى عنهم، لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}﴿٩٦﴾ وبيّن الله تعالى أنّ كل إنسان مسؤولًا مسؤولية تامة عن كل ما يصيبه من شُؤم بسبب عمله في قوله تعالى في سورة:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا}﴿١٣﴾ وبيّن تعالى طريق السعادة في الدنيا والآخرة باتباع هديه وأنّ الشقاء فيهما بالإعراض عن دينه في قوله تعالى في سورة طه حيث قال:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وهذه الأسس والمرتكزات كما يلي: –

المرتكز الأوّل: الإيمان بالغيب

المرتكز الثاني: لله تعالى ملك السماوات والأرض وما فيهما.

المرتكز الثالث: الله الذي أعطى كل شيء خَلْقَه ثمّ هدى.

المرتكز الرابع: لله تعالى الخَلْق والأمر، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه ومشيئته.

المرتكز الخامس: اختيار الرسل ومنحهم المعجزات وتعليمهم

المرتكز السادس: الأديان.

المرتكز السابع: السنن والجزاءات والابتلاءات.

المرتكز الثامن: أمّة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس.

المرتكز التاسع: أخذ العهد على جميع المرسلين باتباع محمد ﷺ ونصرته.

المرتكز العاشر: شرائع الإسلام تفضي إلى إقامة المجتمع الأمثل في الأرض.

المرتكز الحادي عشر: الدين الإسلامي لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة.

المرتكز الثاني عشر: التقوى والإحسان مفاتيح الخير كُله.

المرتكز الثالث عشر: الولاء لله تعالى ولرسوله ﷺ والمؤمنين.

المرتكز الرابع عشر: النسب الإيماني هو نسب المؤمنين.

المرتكز الخامس عشر: تزكية الله تعالى ورسوله ﷺ للقرون الثلاثة الأول من هذه الأمّة.

المرتكز السادس عشر: وجوب إقامة الدين في الأرض.

المرتكز السابع عشر: وجوب دعوة النّاس للدين.

المرتكز الثامن عشر: أنّ الله تعالى مظهر الإسلام على كلِّ دين.

فؤاد محمود آل محمود

المحتوى

العناوين الصفحة

- ملخص المقدمة.. ٢

سورة آل عمران ترتيبها (٣) آياتها (٢٠٠).. ٩

- (١-٦) القسم بأنه تعالى لا إله إلا هو، وأنزل القرآن مصدقا لما قبله، والتحذير من الكفر، وتأكيد عِلمه بكل شيء، وتصويره للناس في الأرحام. ٩

- (٧-١١) تأكيد أنّ القرآن مُحكَم ومُتشابه، والزّائغون مرادهم الفتنة من المتشابه، والراسخون في العلم يؤمنون به، والكافرون وقود النّار.. ١٣

- (١٢-١٨) تَوعد وضرب المثل للكافرين بالهزيمة في الدنيا وجهنّم في الآخرة، والإشارة إلى زينة الحياة الدنيا، وما أعده تعالى للصالحين. ١٨

- (١٩-٢٥) الجزم بأنّ الدين عند الله الإسلام، وتحذير العلماء من البغي، ووجوب تبليغ الدين، وتحذير اليهود من الكفر وضرب المثل لإعراضهم.. ٢٢

- (٢٦-٣٢) الإقرار بأنّ المُلك لله تعالى والمتصرف فيه، والأمر بعدم موالاة غير المؤمنين، وبطاعة الله تعالى والرسول ﷺ.............. ٢٧

- (٣٣-٤١) الإشارة إلى اصطفاء بعض الرُسُل، وتَقَبُلِه تعالى نَذر امرأة عمران، والإشارة إلى مِنَنِه تعالى على مريم وزكريّا (عس). ٣١

- (٤٢-٥١) بشارة الله تعالى لمريم بعيسى (عس) ورسولا لبني إسرائيل، ومصدقًا للتوراة.................................. ٣٦

- (٥٢-٥٨) كُفر بني إسرائيل بعيسى (عس) ومكرهم لقتله، وتطهيره ورفعه وبيان جزاء من آمن ومن كفر.............................. ٤٠

- (٥٩-٦٤) بيان حقيقة خلق عيسى (عس)، ودعوة كفّار أهل الكتاب للمباهلة وإلى كلمة سواء لعبادة الله وحدة....................... ٤٤

- (٦٥-٧١) تأكيد أن إبراهيم (عس) كان مسلمًا، وبيان أولى الناس به، والاستنكار على كفّار أهل الكتاب، وتلبيسهم الحق بالباطل. ٤٨

- (٧٢-٧٧) بيان إحدى حِيَل كفّار أهل الكتاب لإضلال المسلمين، وتحريم استحلالهم أموال غيرهم، وتحذيرهم العقوبة في الدنيا والآخرة.... ٥٢

- (٧٨-٨٥) بيان إحدى حِيَل يهود، وأنّ الرسل لا تدعوا إلى الكفر، والعهد على النبيين الإيمان برسوله ﷺ ونصره، وعدم قبول دين غير الإسلام.. ٥٦

- (٨٦-٩١) بيان سننه تعالى في الكفر بعد الإيمان والجزاء يوم القيامة.. ٦٠

- (٩٢-٩٥) الأمر بالإنفاق من الطيب، وبيان أنّ ما حُرِّمَ على بني إسرائيل هو الذي حَرَّمه يعقوب (عس) على نفسه. ٦٥

- (٩٦-١٠١) تأكيد أنّ الكعبة أول بيت وضع للناس، والأمر بالحج، والاستنكار على كفّار أهل الكتاب، وصدهم الناس عن الدين، والتحذير من اتباعهم.. ٦٨

- (١٠٢-١٠٩) الأمر بتقوى الله تعالى، وجمع الكلمة، والدعوة للخير، والتحذير من التفرق.. ٧٢

- (١١٠-١١٧) تأكيد أنّ أمّة الإسلام هي خير أمة للنّاس، وتهوين شأن كفّار أهل الكتاب، وبيان أنّ منهم مؤمنين، وبيان جزاء الكافرين.. ٧٦

- (١١٨-١٢٠) نهي المسلمين عن اتخاذ بطانة من غيرهم، وتأكيد عداوة من كفّار أهل الكتاب. ٨١

- (١٢١-١٢٩) ضرب المثل لموالاته تعالى للمؤمنين يوم أحد، وتذكيرهم بنصره تعالى يوم بدر.................................... ٨٥

- (١٣٠-١٣٦) النهي عن استحلال الربا، والأمر بطاعة الله ورسوله ﷺ، والمسارعة في الاستغفار، وبيان بعض صفات وجزاء المتقين. ... ٨٨

- (١٣٧-١٤٥) الأمر بالاتعاظ بعقوبة المكذبين، وبيان أنّ القرآن هدًى للمتقين، والأمر بالصبر، وبيان أنّ الابتلاء من سننه تعالى لأهل الإيمان.. ٩٣

- (١٤٦-١٥٢) الحث على الصبر والدعاء عند ملاقاة العدو، والتحذير من طاعته الكافرين، وتأكيد نصره تعالى للمؤمنين.............. ٩٧

- (١٥٣-١٥٥) الإشارة إلى بعض ما دار في غزوة أُحُد والغاية منها.. ١٠١
- (١٥٦-١٦٠) النهي عن التأسي بأقوال وأفعال الكافرين، والإشارة إلى مآل المؤمنين، والحث على مشاورتهم، وتأكيد أنّ النصر من عنده تعالى.. ١٠٥
- (١٦١-١٦٨) بيان شِيَم الرسل، وأنّ من اتبع رضوان الله ليس كمن أعرض، وتعظيم شأن الرسول، وبيان العِبَر من هزيمة أُحُد، ودَحض المنافقين.. ١٠٨
- (١٦٩-١٧٥) بيان نعيم الشهداء، وخروج الرسول إلى بدر الصغرى بعد غزوة أحد، وتأكيد أنّ الشيطان يخوف أوليائه........... ١١٣
- (١٧٦-١٨٠) الأمر بعدم المبالاة بالمسارعين في الكفر، ومن سننه تعالى وتمحيص المؤمنين، وبيان أنّ شر البخل مرتد على صاحبه. ١١٦
- (١٨١-١٨٦) بيان عِلمه تعالى بزعم يهود، وتأكيد أنّ الموت والابتلاء حق، وأنّ الجلَد على أذى الكفّار والمشركين من عزم الأمور..... ١٢٠
- (١٨٧-١٨٩) أخذ ميثاق أهل الكتاب بتصديق الرسول ﷺ، والإثم على الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. ١٢٣
- (١٩٠-١٩٥) بيان أنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات ودلائل لأولي الألباب، وبيان بعض صفاتهم وجزائهم. .. ١٢٨
- (١٩٦-٢٠٠) الإرشاد إلى عدم الاغترار برغد عيش الكفار في الدنيا، وبيان جزاء المتقين وبعض صفاتهم.......................... ١٣٢

سورة النساء ترتيبها (٤) آياتها (١٧٦).. ١٣٦
- (١-٤) الحض على تقوى الله تعالى والمحافظة على أموال اليتامى، وبيان حقوقهن والزواج منهن.................................. ١٣٦
- (٥-١٠) الأمر بالمحافظة على أموال اليتامى، وارجاع أموالهم عند رشدهم. ١٤٠
- (١١-١٤) أحكام عامّة قي تقسيم التركة.. ١٤٣
- (١٥-١٨) بيان عقوبة الفاحشة، ومستحقي التوبة، ومن لا يستحقها. ١٤٨
- (١٩-٢٤) بيان بعض أحكام الأزواج، وما يحرم من النساء. ١٥١
- (٢٥-٢٨) حكم من لا يستطع الزواج من الحرائر المحصنات المؤمنات... ١٥٥
- (٢٩-٣٣) النهي عن أكل الأموال بالباطل، وعن الكبائر، والأمر بأداء الحقوق.. ١٥٩
- (٣٤-٤٢) بيان قوامة الرجال، وسبل الإصلاح بين الأزواج، والأمر بعبادته تعالى والإنفاق في سبيله، والنهي عن البخل والتحذير من عقوبته. ١٦٣
- (٤٣-٤٨) التحريم المرحلي للخمر، والأمر بالتطهر للصلاة، ودعوة كفّار أهل الكتاب للإسلام، وتحذيرهم من المشاقة والكفر. ١٦٨
- (٤٩-٥٧) الاستنكار على كفّار أهل الكتاب، وبيان جزائهم وجزاء من آمن. ١٧٢
- (٥٨-٦٣) الأمر بأداء الأمانات، وطاعة الله ورسوله ﷺ وأولي الأمر، والاحتكام إلى شرعه، وفضح المنافقين وتحذيرهم العقوبة. ١٧٦
- (٦٤-٧٠) بيان وجوب الإيمان بالرسل، وتمادي كفّار أهل الكتاب، وشروط الإيمان، وجزاء المؤمنين........................... ١٨١
- (٧١-٧٦) أمر المؤمنين بأخذ الحيطة والحذر، والاستنكار على البعض، والأمر بالتّجهز لملاقاة أعداء الدين. ١٨٥
- (٧٧-٨٤) الاستنكار على الذين في قلوبهم مرض والرد عليهم. ١٨٨
- (٨٨-٩١) الأمر بإجماع الرأي في المنافقين، وفضح سلوكهم وبيان أحكام قتاهم... ١٩٧
- (٩٢-٩٤) تحريم قتل المؤمن للمؤمن، وبيان أحكام القتل الخطأ والعمد، والأمر بالتثبت قبل الشروع في القتال.................... ٢٠٠
- (٩٥-١٠٠) بيان فضل المجاهدين بالأموال والأنفس على القاعدين بعُذر وبغير عُذر، والتحذير من التخلف عن الهجرة مع القُدرة. ٢٠٥

- (١٠١-١٠٤) قصر الصلاة للمسافر، وبيان كيفية أدائها عند الخوف من العدو، والأمر بإكثار الذكر بعد الصلاة. ٢٠٨
- (١٠٥-١١٣) بيان الغاية من التنزيل، والتحذير من اكتساب الإثم واتهام الغير، والإشارة إلى فضله تعالى على رسوله ﷺ. ٢١٢
- (١١٤-١٢٢) الحث على فعل الخير، وبيان سننه تعالى في العصاة، وأن الشرك لا يغتفر، وبيان العهد الذي أخذه الشيطان على نفسه. ٢١٦
- (١٢٣-١٢٦) بيان سننه تعالى العامّة فيمن أساء، ومن عمل الصالحات والحث على الالتزام بهدي الله تعالى. ٢٢٠
- (١٢٧-١٣٠) بيان بعض أحكام النساء واليتامى، والحثّ على الإصلاح بين الأزواج، وعند الخوف من النشوز. ٢٢٤
- (١٣١-١٣٦) تأكيد ملكه تعالى للسماوات والأرض، وعنده ثواب الدنيا والآخرة، والأمر بإقامة العدل والإيمان به وبرسله........... ٢٢٨
- (١٣٧-١٤٣) بيان سننه تعالى فيمن أصر على الكفر، والنهي عن مجالسة المستهزئين بالدين، وفضح رياء المنافقين، وبيان أن لا سبيل لهدايتهم. ٢٣٢
- (١٤٤-١٥٢) النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء، وبيان عقوبتهم، والأمر بعدم المجاهرة بالإثم والمفاضلة بين الرسل........... ٢٣٦
- (١٥٣-١٦٢) الإشارة إلى تعنُّت يهود على مدى التاريخ، وبيان أنّ ربك لهم لبالمرصاد. ٢٣٩
- (١٦٣-١٧٠) تأكيد وحيُه تعالى لرسوله ﷺ، وبيان سننه تعالى فيمن كفر وصدّ الناس عن دينه، والأمر بالإيمان برسوله ﷺ. ٢٤٤
- (١٧١-١٧٦) نهي أهل الكتاب عن المغالاة في الدين، وبيان حقيقة عيسى (عس) وجزاء المؤمنين والكافرين، وبيان الحكم في الكلالة لأب. ٢٤٩

سورة المائدة ترتيبها (٥) آياتها (١٢٠)........... ٢٥٣

- (١-٣) الأمر بالوفاء بالعقود، وبيان محرمات الإحرام والأطعمة وإباحتها للمضطر، والأمر بعدم الخشية من الكافرين، وتأكيد إتمام النعمة. ٢٥٣
- (٤-٧) بيان ما أُحلّ من الأطعمة والأزواج، وأوجه الوضوء للصلاة، والتذكير بالالتزام بميثاق الله تعالى........... ٢٥٧
- (٨-١٤) الأمر بالثبات على إقامة العدل، والإشارة إلى جزاء المؤمنين والكافرين، وبيان سننه تعالى فيمن كفر من أهل الكتاب........... ٢٦٢
- (١٥-١٩) أمر أهل الكتاب بالإيمان بالرسول ﷺ، وتكفِير المألهين لعيسى (عس) وأمّه، ونفي محبَّته تعالى لهم، وتحذيرهم من الكفر بالرسول ﷺ. ٢٦٦
- (٢٠-٢٦) الإشارة إلى تعنت بني إسرائيل لمّا أمرهم موسى (عس) دخول بيت المقدس، وبيان عقوبتهم في الدنيا وخسرانهم في الآخرة. ٢٧١
- (٢٧-٣٢) ذكر خبر قتل قابيل لأخيه ظلمًا، وتشريع حرمته على بني إسرائيل، وتأكيد أنّ كثيرًا منهم مسرفون فيه. ٢٧٥
- (٣٣-٤٠) بيان حُكم المحاربين الله ورسوله ﷺ، والسعي في الأرض الفساد، والأمر بالجهاد في سبيله، وبيان حكم السُراق........... ٢٧٨
- (٤١-٤٣) الأمر بعدم الحزن على المسارعين في الكفر من منافقين ويهود، وبيان صفاتهم ونهجهم وتأكيد كفرهم........... ٢٨٢
- (٤٤-٥٠) بيان الغاية من إنزال الكُتُب السماوية، وأنّ القرآن مهيمنًا على ما قبله من كتاب، وليُحكَمَ به بين النّاس. ٢٨٧
- (٥١-٥٦) النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، والتحذير من الارتداد عن الدين، والأمر باتخاذ الله والرسول والمؤمنين أولياء...... ٢٩٢
- (٥٧-٦٣) النهي عن اتخاذ المستهزئين بالدين أولياء، واستنكار نقمة أهل الكتاب على المسلمين، وفضح سلوكهم........... ٢٩٦
- (٦٤-٦٩) تطاول اليهود على الله تعالى، وبيان وعقوبتهم، وجزاء أهل الكتاب لو آمنوا، والأمر بتبليغ الدين، وقبول إيمان النّاس إن آمنوا. ٣٠٠
- (٧٠-٧٧) نقض بني إسرائيل ميثاقهم وبيان عقوبتهم، وتكفير القائلين باتخاذ الله الولد، وبيان حقيقته ابن مريم، ونهي أهل الكتاب عن المغالاة في دينهم........... ٣٠٤

- (٧٨-٨٦) لعن كفّار بني إسرائيل وبيان معاصيهم، وتأكيد أنهم أشد عداوة والمشركين للمؤمنين، وأنّ النصارى أقربهم مودة. ٣٠٨
- (٨٧-٩٣) النهي عن تحريم الطيبات، وكثرة الحلف وبيان كفارته، وتحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وبيان الحكمة. ٣١٢
- (٩٤-١٠٠) الجزم بامتحان المؤمنين اثناء إحرامهم، وتحريم صيد البر وتحليل صيد البحر، والتحذِير من تجاوز أحكامة تعالى وبيان الحكمة. ٣١٦
- (١٠١-١٠٥) النهي عن الإكثار من السؤال لغير حاجة، والأمر بنبذ أحكام الجاهلية، والالتزام بشرعه تعالى. ٣٢٠
- (١٠٦-١٠٨) الأمر بالوصية عند حضرة الموت في السفر، وإشهاد الشهود واستحلافهم، واستبدالهما بغيرهما إن تبيّن كذبهما واستحلافهم. ٣٢٤
- (١٠٩-١١٥) التذكير بيوم يُسأل الرُسُل، ونعمه تعالى على عيسى ووالدته (عس) وإنزال المائدة للحواريين، والوعيد لمن كفر. ٣٢٧
- (١١٦-١٢٠) استشهاد عيسى (عس) على قومه، وإقراره ببشريته وأمّه، وبشارته تعالى للمؤمنين. ٣٣٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة آل عمران ترتيبها (٣) آياتها (٢٠٠)

(١–٦) القسم بأنه تعالى لا إله إلا هو، وأنزل القرآن مصدقا لما قبله، والتحذير من الكفر، وتأكيد عِلمه بكل شيء، وتصويره للناس في الأرحام.

الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا
بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٤ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ
كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦

سورة آل عمران من السُّور السبع الطوال، وتتطرق السورة إلى جانب من حياة نبي الله تعالى عيسى (ع‌س)، وأمّه مريم(ع‌س)، وبيان بعض موطن الضلال عند اتباع عيسى (ع‌س)، وابطال زعمهم أنّ عيسى (ع‌س) ابن الله.

ومن بركات سورة آل عمران ما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أَبي أُمامة الباهلي (رلع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران،

فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فُرْقانٌ من طير صواف، تحاجَّان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة"، أي لا تستطيعها السحرة.

فأقسم الله تعالى بثلاثة حروف، الألف وللام والميم، لأهمية الحروف في الكتابة، ولولا الحروف لما كانت الكلمات ولا الكتب، وأَجُلَّها القرآن العزيز والسنة المطهرة، ولقد أقسم الله تعالى بالليل والنهار والفجر والصبح والضحى والعصر، لبيان أهميتها، وأهمية اليوم في حساب الأسابيع والشهور والسِّنين.

فأقسم تعالى قائلًا:{ الٓمٓ} وجواب القسم{ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ} غيره المستحق للعبادة{ إِلَّا هُوَ} سبحانه{ ٱلۡحَيُّ} الذي لا يموت، ولا شيء قبله ولا بعده{ ٱلۡقَيُّومُ} أي القائم على تدبير شؤون الخَلْق والكون، كقوله تعالى في سورة في سورة الرعد:{ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ}٣ وهو تعالى الذي{ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ} أي نزّل على رسوله محمد ﷺ القرآن، والذي قال تعالى عنه في سورة الإسراء:{ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ

وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا}﴿٨٨﴾ وأنزل تعالى القرآن{ بِٱلۡحَقِّ} والعدل والصدق والعدل والقسطاس المستقيم، والدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه و{ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ} أي لما قبلة من الكتب، والقرآن أنزله تعالى للناس جميعًا لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ}﴿١٥٨﴾ كما{ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ} على موسى (عس){ وَٱلۡإِنجِيلَ} على عيسى (عس){ مِن قَبۡلُ} وجعلها{ هُدٗى لِّلنَّاسِ} في زمنهم{ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ} أي القرآن للتفريق بين الحق والباطل.

ثمّ أكّد تعالى أنّ سننه وجزاءاته ماضية في الكافرين في الدنيا قبل الآخرة فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} أي بالله تعالى أو بمحمد ﷺ و{ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ} التي أوحها إليه{ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ} في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى في سورة الزمر:{ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ}﴿٢٦﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ} غالب في كل شؤونه وفي أسمائه وصفاته، وليس كمثله شيئ، ولا يعجزه شيء، وله تعالى جنود السماوات والأرض، يُسلط ما يشاء من جنوده على من يشاء، وهو تعالى{ ذُو ٱنتِقَامٍ} في الدنيا والآخرة كقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾﴿٥٠﴾.

ثمّ أكد تعالى عِلمه بكل شيء فقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فـ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ﴾ ويعطي كل نفس صورتها وخواصَّها، ويصور كل جهاز فيها سمعي وبصري، وهضمي وبولي وتناسلي وحسّي وغيره، ويصور كل عضوٍ من يد ورجلٍ وعينٍ، وأذنٍ، وفمٍ، وعظمٍ، وقلب، ورئتين، وكِلى، ولحمٍ وعضلةٍ وعصبٍ، وكل خلية في كل عضو، ويهدي كل شيء في الإنسان ليقوم بوظيفته لقوله تعالى في سورة طه على لسان موسى (عس):﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾﴿٥٠﴾ كما هدى النحل في قوله تعالى في سورة النحل:﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾﴿٦٩﴾ فصوَّر تعالى كلّ شيء في الإنسان وهداه ليقوم بوظيفه وهو﴿ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ كقوله تعالى في سورة الانفطار:﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾﴿٨﴾ ومن نُطفة وأخلاط من ماء الرجل وبويضة المرأة كما قال تعالى في سورة الإنسان:﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾﴿٢﴾ وهو تعالى﴿ لَآ إِلَٰهَ﴾ غيره﴿

إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ} في ملكه وسلطانه، والغالب في كل شأنه{ ٱلۡحَكِيمُ} فيما يُدبر في الكون، وفيما يَقضي ويُمضي من سنن وجزاءات في الناس بعلمه وعدله وهم لا يظلمون.

الملخص: -

أقسم الله تعالى بالألف وللام والميم بأنّه الله الذي لا إله إلّا هو الحي الذي لا يموت، القيوم على خلقه، وهو تعالى الذي يصور الإنسان في رحم أمّه، ويعطي كلَّ جهاز وعضو وخلية صورته، ويهدي كلّ شيء فيه ليقوم بوظيفته، وهو تعالى الذي نزّل على رسوله محمد ﷺ القرآن العزيز بالحق والصدق والعدل، ومصدقًا لما بين يديه من كتاب كالتوراة والإنجيل، وأنزل الفرقان للناس جميعًا، وحذّر الكافرين من عذاب شديد في الدنيا والآخرة، وهو العزيز الغالب في كل شُؤونه، وجزاءاته ماضية في الناس بعلمه وعدله ولا يظلم ربك أحدًا، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم.

(٧-١١) تأكيد أنّ القرآن مُحكَم ومُتشابه، والزّائغون مرادهم الفتنة من المتشابه، والراسخون في العلم يؤمنون به، والكافرون وقود النّار.

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ

كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ
هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ
لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ
عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ
ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾

يؤكد تعالى تنزيله القرآن على رسوله ﷺ فيقول:{ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ} وعلى المؤمنين{ ٱلۡكِتَٰبَ} أي القرآن{ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ} واضحة المعاني لا تقبل التأويل، كالحلال والحرام كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، كقوله تعالى في سورة الأنعام:{ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ فالمُحكمات{ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ} وأصل الدين، وثابتة في

جميع الكتب المنزلة كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، وهنّ المرجع لفهم ما تشابه منه{ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ} أي لها عدة معاني ومفاهيم مختلفة، وقال سفيان الثوري: هي الآيات المنسوخة.

ثمّ قال تعالى:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ} وريب وشك وميل وضلال عن الحق والهدى، وهم اليهود كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، والذين في قلوبهم مرض النفاق والقاسية قلوبهم{ فَيَتَّبِعُونَ} ويتقصّون ويتقصّدون{ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ} ورجاء إذاعة{ ٱلۡفِتۡنَةِ} بين الناس والمسلمين{ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ} أي تحريفه عن معناه ومقاصده، وهم الذين أمر الله تعالى بعدم مجالستهم في قوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿٦٨﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ} أي وما يعلم غيب ما أخبر به الله تعالى في القرآن{ إِلَّا ٱللَّهُۗ} كقوله تعالى في سورة لقمان:{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ} ومن يدخل الجنّة بغير حساب، ومن يدخل النّار وعذاباتها، ومن يخلد فيها، ويعلم خزنتها، ومن يزحزح منها، وكم يُلبَث فيها قبل دُوخل الجنّة، ويعلم ملائكة الجنّة، ووِلدانها وحُورها ونعيمها، ومن يَشفع ومن يُشفع له، وغير ذلك من أُمورها{ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ} على من يشاء ويحجبه عمن

يشاء، ويعلم ما ينبت وما يُشرب منه، ومن يشرب منه، ويعلم عُيونه ويَنابِيعه{ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ} في الإنس والجِن والحيوان بأصنافه، ومُختلف ثِمار النبات{ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ} من رِزقٍ من خير أوشر، ويعلم المُدوَّن في كل ليلةٍ من ليالي القدر، ويعلم ما ينزل من عقوبات على النّاس، من زلازل وأعاصير وأمراض وجوائح وغيرها{ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ} من إنس وجن وحيوان{ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ}﴿٣٤﴾ بكّل ذلك، وكقوله تعالى في سورة فصِّلت:{ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ ... }﴿٤٧﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ} فـ{ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ} أي المُحكم والمُتشابه{ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ} ويُرجعون المُتشابه إلى المُحكم من الآيات لفهم مقاصدها{ وَمَا يَذَّكَّرُ} الشرائع والأحكام والحِكَم والأوامر والنواهي{ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ} والعقول النيرة، فهم الذين يدعون ربّهم يقولون:{ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ} ولا تُضلّ ولا تُمِل{ قُلُوبَنَا} ولا تصرفها عن هُداك، كما ابتليت الذين زاغت قلوبهم من قبل{ بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا} إلى دينك{ وَهَبۡ لَنَا} وامنحنا ورزقنا{ مِن لَّدُنكَ} ومن جُودك وكَرمك وفَضلك{ رَحۡمَةًۚ} وتوفيقًا وثباتًا وسدادًا{ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ} الجواد الرزاق، وهم موقنون باليوم الآخر ويقولون:{ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ} في الآخرة{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ} والآجال التي قضاها في خلقه.

ثمّ يؤكد تعالى فيقول{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} بالله تعالى أو برسوله ﷺ{ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم} في الآخرة{ مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ} والتي يرون أنّها كانت تغنيهم في الدنيا{ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ} تُسعر بهم{ ٱلنَّارِ} خالدين فيها{ كَدَأۡبِ} أي كمِثلِ{ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ} كذّبوا وكفروا{ مِن قَبۡلِهِمۡۚ} لمّا{ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ} في الدنيا كقوله تعالى في سورة الزمر:{ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٥ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ}٢٦ ثمّ قال تعالى:{ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ}١١ في الدنيا والآخرة.

الملخص: -

يؤكد تعالى تنزيله على رسوله ﷺ القرآن، ومنه آيات محكمات ومتشابهات، فالذين في قلوبهم زيغ وضلال فيتقصدون ما تشابه منه لغرس الفتنة والشك بين الناس، وما يعلم غيب ما أخبر به الله تعالى في القرآن إلّا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلٌ من المُحكم والمُتشابه من عند الله، ويدعون ربّهم بتثبيت قلوبهم على الهدى، ويسألونه رحمة من عنده، وأمّا الذين كفروا فلن تُغنِي عنهم أموالهم ولا أولادهم في الآخرة كما كانت تنفعهم في الدنيا، وهم وقود تُسعر بهم النّار، كمثل فرعون ومن كفر قبله، أهلكهم الله تعالى في الدنيا ولهم شديد العقاب في الآخرة.

(١٢-١٨) تَوعد وضرب المثل للكافرين بالهزيمة في الدنيا وجهنّم في الآخرة، والإشارة إلى زينة الحياة الدنيا، وما أعده تعالى للصالحين.

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدۡ كَانَ
لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم
مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ
﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ
ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ
وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ * قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ
عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ
مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ
بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾

يأمر الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بتحذير الكافرين فيقول:{ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ} بالله تعالى أو برسوله ﷺ من يهود وغيرهم{ سَتُغۡلَبُونَ} في الدنيا{ وَتُحۡشَرُونَ} وتساقون{ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ} الذي مهدوه لأنفسهم بكفرهم، وسبب نزول الآية ما ورد في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: لما أصاب رسولُ الله ﷺ قريشًا يوم بدْر فقدم المدينة، جمع يهودَ في سوق بني

قَينُقاع فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا! فقالوا: يا محمد لا تغرّنك نفسك، أنك قتلتَ نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تأت مثلنا، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم:" قلْ للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد" إلى قوله: "لأولي الأبصار"، فحاصرهم رسول الله ﷺ، وهم أوّل من أُخرج من اليهود من المدينة المنورة في السنّة الثانية من الهجرة.

كما وتوعد الله تعالى الكافرين بذهاب نفقاتهم حسرات عليهم، وهزيمتهم في الدنيا، وإلى جهنم يحشرون في قوله تعالى في سورة الأنفال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ}٣٦.

ثمّ ضرب الله تعالى مثلًا لمن كفر من يهود بني قينقاع في المدينة المنورة وغيرهم فقال:{ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ} يا من كفر برسوله ﷺ{ ءَايَةٞ} ودليل وبرهان{ فِي فِئَتَيۡنِ} مؤمنة وكافرة{ ٱلۡتَقَتَاۖ} يوم بدر الكبرى{ فِئَةٞ} مؤمنة{ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} لإقامة دينه تعالى في الأرض{ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ} من قريش وحِزبِهم، وكان اليهود{ يَرَوۡنَهُم} أي يرون الكافرين{ مِّثۡلَيۡهِمۡ} أي ضعف عدد المؤمنين{ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ} في الدنيا{ مَن يَشَآءُۚ} فأيّد تعالى

المؤمنين وهَزم الكافرين{ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ} الحدث والخبر{ لَعِبۡرَةٗ} وموعظة{ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ} بصدق رسول الله ﷺ.

ثمّ قال تعالى:{ زُيِّنَ} أي زيّن الله تعالى{ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ} والقنطار أربعون أوقية{ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ} أي المُضمَّرة المَرعِيَة المُعلَمَة كما ورد في قواميس اللغة{ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ} وهي الإبل والبقر والغنم{ وَٱلۡحَرۡثِۗ} أي الحدائق والبساتين، وكسب المال وجمعه كما ورد في قواميس اللغة، فـ{ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ} وزينة{ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ} ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ} في الآخرة{ حُسۡنُ} الجزاء و{ ٱلۡمَـَٔابِ} والمرجع والمصير.

ثمّ بيّن تعالى ما هو أفضل من تلك الشهوات فقال:{ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم} وأخبركم{ بِخَيۡرٖ} وأفضل وأحسن{ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ} كُلّه، فـ{ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ} رجالًا ونساءً{ عِندَ رَبِّهِمۡ} في الآخرة{ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا} وتنبع خلالها{ ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ} من كُل ما يُستَكره من خَلقٍ وخُلق{ وَرِضۡوَٰنٞ} عليهم{ مِّنَ ٱللَّهِۗ} أكبر، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رلع) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ،

قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا".

ثمّ قال تعالى:{ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ} عليم خبير{ بِٱلۡعِبَادِ} لا تخفى عليه خافية فهم{ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا} بك وبرسولك ﷺ{ فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا} خطأنا وعَمدَنا{ وَقِنَا} واسترنا وجنبنا{ عَذَابَ ٱلنَّارِ} وهم{ ٱلصَّٰبِرِينَ} في البأساء والضراء وحين البأس، رجالًا ونساء{ وَٱلصَّٰدِقِينَ} في إيمانهم وأعمالهم{ وَٱلۡقَٰنِتِينَ} الخاشعين المُقرّبين بالعبودية لله تعالى، القائمين الليل بالصلاة والدعاء{ وَٱلۡمُنفِقِينَ} في سبيل الله{ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ} والناس نيام.

ثمّ قال تعالى:{ شَهِدَ ٱللَّهُ} لذاته العَلِية، وبيّن بالحج والبراهين{ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} كقوله تعالى في سورة الإسراء:{ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا}﴿٤٢﴾ وكقوله تعالى في سورة الأنعام:{ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ}﴿١٠١﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ} أي والملائكة يشهدون بأنّه تعالى لا إله إلّا هو{ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ} يشهدون بذلك، وأنّه تعالى{ قَآئِمَۢا} ملتزمًا{ بِٱلۡقِسۡطِۚ} والعدل{ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ} الذي ليس كمثله شيء، الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفُوًا أحد، الغالب في كل أسمائه

وصفاته، والذي لا يقبل إلّا دينه وشرعه{ ٱلۡحَكِيمُ} في كل شؤونه، وقضائه وقدره، وإقامة سننه وجزاءاته في الدنيا والآخرة وهم لا يظلمون.

الملخص: -

يأمر تعالى بتحذير الكافرين بالهزيمة في الدنيا وحشرهم إلى جهنّم في الآخرة، كما هَزَم تعالى كفّار قريش في غزوة بدر الكبرى، وبيّن تعالى أنّه زيّن الشهوات من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المضمرة والأنعام والحرث من الزروع واقتناء الثروات في الدنيا، وأخبر بأنه تعالى أنما عنده في الآخرة خيرًا من ذلك، في جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مُطهرة من كل ما يُستَكره من خَلقٍ وخُلق، ورضوان من الله أكبر لا سخط بعده، والله بصير بالعباد الصابرين الصادقين القانتين المنفقين والمستغفرين بالأسحار، وشهد تعالى أنّه لا إله إلّا هو، والملائكة وأولي العلم يشهدون، وأنّه تعالى قائمًا بالقسط والعدل وهو العزيز الحكيم.

(١٩-٢٥) الجزم بأنّ الدين عند الله الإسلام، وتحذير العلماء من البغي، ووجوب تبليغ الدين، وتحذير اليهود من الكفر وضرب المثل لإعراضهم.

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا
جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩
فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ

وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ
بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ
وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ
فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا
مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا
رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى:{ إِنَّ ٱلدِّينَ} المقبول والمرضي عنه{ عِندَ ٱللَّهِ} من آدم (عس) إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ هو{ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ} أي الاستسلام التَّام للدين، كما فعل النَّبيّون، ولقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ}﴿٨٥﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَمَا ٱخۡتَلَفَ} وتخاصم وتقاتل{ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ} من يهود ونصارى وغيرهم{ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ} الحق من ربهم{ بَغۡيَۢا} وعدوانًا{ بَيۡنَهُمۡۗ} لمّا تفرقوا شِيعًا وأحزابًا، وتكفير بعضهم لبعض بعد أن كانوا على دين واحد، وفي هذه الآية تحذير لهذه الأمّة من بغي بعضها على بعض والتقاتل، ثمّ قال تعالى:{ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ} بفعل ما نُهي عنه

من البغي والتقاتل{ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ} ويُمضِي تعالى سننه وجزاءاته فيهم كما قال تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثمّ قال تعالى:{ فَإِنۡ حَآجُّوكَ} أي كفّار أهل الكتاب، وجادلوك في دينك{ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ} وديني وانقيادي وطاعتي{ لِلَّهِ} تعالى أنا{ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ} مسلمًا{ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ} من يهود ونصارى{ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ} من العرب{ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ} وأعرضوا{ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ} لقوله تعالى في سورة البقرة:{ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ...}﴿٢٧٢﴾ بعلمه حقيقة ما في الصدور هم لا يظلمون{ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ} عليم خبير{ بِٱلۡعِبَادِ} لا تخفى عليه خافية.

ثمّ أنذر تعالى اليهود فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ} التي أنزلها على رسوله محمد ﷺ{ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} أي ويهمون بقتل النبيّين{ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ} أي ويهمّون بقتل{ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ} كما ورد في تفسير الماتريدي{ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} في الدنيا والآخرة، فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ} وبطلت ثمرة{ أَعۡمَٰلُهُمۡ} الحسنة{ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ} ينصرونهم من عذاب الله تعالى في الآخرة، وفي هذه الآية إشارة إلى غزوة بني النضير، والتي كان سببها ما ورد في كتاب الدُّرر في اختصار المغازي والسير:" لمّا

خرج لهم رسول الله ﷺ مَعَ أبي بكر وَعمر وَعلي وَنَفر من الْأَنْصَار في دية القتيلين خطأً قالوا: نعم يا أبا القاسم اجلِس حتى تَطعَم وتَرجع بحاجتك، فنقوم ونتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا له، فقعدوا إلى جدار من جدرهم، وقال بنو النضير: من رجل يصعد على ظهر البيت فيلقي على محمد صخرةً فيقتله، فيريحنا منه؟ فإنا لن نجده أقرب منه الآن، فأوحى الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ ما ائتمروا به، فقام ولم يُشعر أحداً إلى المدينة، فأخبرهم بما أوحى الله عزَّ وجل إليه مما أرادت اليهود فعله به، فتحصنوا منه في الحصون، فحاصرهم ست ليال، وأمر بقطع النخل وإحراقها، وسألوا رسول الله ﷺ أن يكفّ عن دمائهم ويجليهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، فاحتملوا إلى خيبر. وهم ثاني قبيله من يهود تجلى من المدينة المنورة بسبب غدرهم.

ثمّ استنكر تعالى على يهود فقال:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا} وشيئًا قليلًا{ مِّنَ} عِلم{ ٱلْكِتَٰبِ} أي التوراة{ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ} أي القرآن العزيز{ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ} عن حكم الله، وسبب نزول الآية ما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان قال: يعني اليهود: كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك ابن الضيف، ويحيى بن عمرو، ونعمان بن أَوْفَى، وأبو ياسر بن أخطب، وأبو نَافِع بن قيس، وذلك أن النبيَّ ﷺ قَالَ لهم: أسلموا تهتدوا وَلا تكفروا، فقالوا

للنبي ﷺ: نَحْنُ أهدى وأحق بالهدى منكم، ما أرسل الله نبيًا بعد مُوسَى، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: لَمْ تكذبون، وأنتم تعلمون أن الَّذِي أقول حق، فأخرِجُوا التوراة نتبع نحن وأنتم ما فيها، وهي بينكم، فَإِنِّي مكتوب فيها أني نَبِيّ ورسول، فأبوا ذَلِكَ فأنزل الله فيهم" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّهِ".

ثمّ قال تعالى:{ ذَٰلِكَ} أي وسبب إعراضهم وتكذيبهم برسول الله ﷺ{ بِأَنَّهُمۡ} زعموا وادعوا و{ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۖ} أي بعدد الأيّام التي عبد آبائهم العجل{ وَغَرَّهُمۡ} وخدعهم وأطمعهم بالباطل{ فِي دِينِهِم} و{ مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ} من الكذب على الله تعالى، كقولهم نحن أبناء الله وأحبائه كما قال تعالى في سورة المائدة:{ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}۝١٨ فقال تعالى:{ فَكَيۡفَ} يكون حالهم{ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ} أي يوم القيامة{ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ}.

الملخص: –

يجزم تعالى بأنّ الدين المقبول هو الاستسلام لدين الله تعالى وشرعه وحكمه، والذي لا يقبل سواه، وبيّن تعالى أنّ سبب اختلاف وتقاتل أهل الكتاب بغيهم على بعضهم لمّا تفرقوا شيعًا وأحزابًا، ثمّ حذّر تعالى من قتل

الأنبياء والآمرين بالقسط من عذاب إليم في الدنيا والآخرة، وبيّن أنّ سبب اعراض اليهود عن الإسلام، زعمهم أنهم لن يعذّبوا في النار إلّا بعدد الأيّام التي عبد آبائهم العجل، فماذا عساهم أن يقولوا ويجِيبوا لمّا يُوفِّ الله تعالى الناس أعمالهم وهم لا يظلمون؟

(٢٦–٣٢) الإقرار بأنّ المُلك الله تعالى والمتصرف فيه، والأمر بعدم موالاة غير المؤمنين، وبطاعة الله تعالى والرسول ﷺ.

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن
تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي
ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ
وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ
وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ
تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ
٢٩ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ
بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ قُلۡ إِن
كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢

يرشد الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بقول:{ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ} في الدنيا والآخرة، وليس لأحد مُلكٌ سواه{ تُؤۡتِي} وتمنح{ ٱلۡمُلۡكَ} والسلطة والسلطان والنفوذ{ مَن تَشَآءُ} كما استخلف تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين في الأرض، ومَكَّنَ لهم دينهم، وبدَّل خوفهم أمنًا كما في قوله تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾ فدانت لهم جزيرة العرب، وهزموا فارس والروم في السنة الخامسة عشر من الهجرة، وساحوا في الأرض وأقاموا الدين فيها.

وأن يقولوا:{ وَتَنزِعُ} وتَسلب{ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ} كما فعل بالأمم التي كفرت كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ}﴿١٤﴾ دائمًا وأبدًا{ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ} بِمَنحِه الملك والنفوذ والسلطانَ{ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ} كُلُّ ذلك بِسُنة الله تعالى الخالدة التي لا تتخلف عن أحد في قوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا

يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ} ﴿١٢٤﴾ والقول:{ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ} في الدنيا والآخرة{ إِنَّكَ عَلَىٰ} فِعل{ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وبقول:{ تُولِجُ} وتُدخل{ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ} من جانب ليكون الليل{ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ} من جانب آخر ليصبح النهار{ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ} كإخراج الزرع من الأرض الميتة بالماء، وإخراج النبات من القشرة الميتة، وإخراج المؤمن من الكافر{ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ} كإخراج الشعر والظفر من الجلد الحي، وإخراج الكافر من المؤمن{ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ} بعلمه وعدله وحكمته، وهم لا يظلمون.

ثمّ حذَّر الله تعالى المؤمنين فقال:{ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ} مقربين وناصحين ومرشدين{ مِن دُونِ} وغير{ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ} باتخاذهم أولياء{ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ} ولا دينه ولا حُكمِه ولا شرعه{ فِي شَيۡءٍ} ثمّ استثنى تعالى فقال:{ إِلَّآ} لأجل{ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ} وحيطة وحذر{ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ} وعقوبته من مغبّة عصيانه، فسننه وجزاءاته قائمة في خلقه لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ} ﴿١٢٤﴾ لا يحابي تعالى أحدًا{ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ} في الدنيا ولأخرة.

ثمّ حذّر تعالى المؤمنين فقال:{ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ} على ما عزمتم على فِعله{ أَوۡ تُبۡدُوهُ} وتُعلنوه{ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ} لا تخفى عليه خافية{ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ} وفي كتاب مبين{ وَٱللَّهُ عَلَىٰ} فعل{ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} واحذروا{ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا} سواءً فعله رسول الله ﷺ أو لم يفعله، كقوله تعالى في سورة المزمل:{... وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ...}﴿٢٠﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا} وأجلًا{ بَعِيدٗاۗ} عريضًا{ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ} وعقوبته في الدنيا والآخرة، ولا يُرَدُ بأسه عن القوم الكافرين{ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ} فيكلِّفهم ما يطيقون، ولا يعاجلهم بالعقوبة.

ثمّ قال تعالى:{ قُلۡ} للمؤمنين{ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي} أي فاتبعوا رسوله محمد ﷺ والتزموا بهديه عقيدةً وعباداتٍ وأخلاقٍا ومعاملات{ يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ} ويواليكم ويؤيدكم وينصركم{ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ} وزلاتكم{ وَٱللَّهُ غَفُورٞ} للتائبين المستغفرين{ رَّحِيمٞ} بخلقه، وبالمؤمنين رؤوف رحيم، ثمّ قال تعالى:{ قُلۡ} للنّاس{ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ} وأعرضوا{ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ} فيُضلّهم ولا يهديهم سبلًا.

الملخص: –

يرشد الله تعالى رسول ﷺ والمؤمنين بقول اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتُعزّ من تشاء، وتُذِل من تشاء، بيدك الخير، إنّك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل، وتُخرج الحيَّ من الميت، وتخرج الميّت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب، بعلمه وعدله وهم لا يظلمون، وحذّر تعالى المؤمنين من اتخاذ الكافرين أولياء، فذلك ليس من الدِّين، إلّا للتخاذ الحيطة والحذر، ويحذّر تعالى اليوم الآخرة، يوم تتمنى كل نفس أن يكون بينها وبين ما عملت من سوء أجلًا بعيد، ويأمر تعالى باتباع رسوله ﷺ ليُحِبهم ويغفر ذنوبهم.

(٣٣-٤١) الإشارة إلى اصطفاء بعض الرُّسُل، وتَقَبُلِه تعالى نَذر امرأة عمران، والإشارة إلى مِنَنِه تعالى على مريم وزكريّا (عس).

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣
ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ
إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥
فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ
ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ
ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ
كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ

هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧
هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ
ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ
بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ
رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ
يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ
أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١

أشار الله تعالى إلى اصطفائه بعض الرُّسُل فقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ} واجتبا واختار بعلمه وحكمته{ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ} أي على الإنس والجن كما ورد في تفسير الطبري عن ابن عبّاس، واصطفاء الرسل واختيارهم كان قبل خلق السماوات والأرض، كما اصطفى رسوله ﷺ لما ورد في سنن الإمام أحمد بن حنبل عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رلع) قَالَ:" إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ"، والمُصطَفون هم{ ذُرِّيَّةَۢ} مؤمنة{ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} بكل شيء، وبمن يصطفي ويختار للنّاس.

وقال تعالى عن المذكورين في الآية ذرية، رغم أنّ منهم لا ينتسب لبعض، فآل إبراهيم مثلًا لا ينتسبون لنوح(عس)، بل ينتسبون لمن حمل الله تعالى مع نوح(عس) لقوله تعالى في سورة الإسراء عن بني إسرائيل:{ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}۝٣ وبني إسرائيل ينتسبون لإبراهيم(عس) وقد أشار تعالى إلى أنّ من كان مع نوح(عس) سيصيرون أممًا في قوله تعالى في سورة هود:{ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}۝٤٨ ولقوله تعالى في سورة يونس:{ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ}۝٧٣ فكلمة ذرية لا تعني دائمًا صلة النسب.

ثمّ أشار تعالى إلى بشرية مريم(عس) ردًّا على زعم النصارى فقال:{ إِذْ قَالَتِ} أي يوم أو عندما قالت{ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ} أم مريم(عس):{ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى} من ولدٍ لخدمة البيت المُقدَّس، لما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان" أن الْمُسْلِمِين واليهود اختصموا فِي أمر القبلة، فَقَالَ المسلمون: القبلة الكعبة، وقالت اليهود: القبلة بيت المَقْدِس"، وقال بعض المفسرون نذرت للكنيسة، ولم تكن كنائس في تلك الفترة{ مُحَرَّرًا} أي جعلته عتيقًا لعبادة الله وخدمة بيته، لا يُنتَفعُ به بشيء من أمور الدنيا، كما ورد في

تفسير الطبري{ فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ} لدعائي ونَذري{ ٱلۡعَلِيمُ} بكل شيء، وبمن تختار وتصطفي{ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا} تفاجأت و{ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ} وأنجبتها{ أُنثَىٰ} في إشارة إلى بشريتها، لا كما يدعي النصارى{ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ} منها{ بِمَا وَضَعَتۡ} وقالت:{ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ} لخدمة بيت المقدس والتفرغ للعبادة{ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا} وألوذُ وألجأ وأعتصم{ بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا} أي وأُعيذ ذريتها{ مِنَ} شرور وإضلال{ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ} المطرود من رحمة الله تعالى{ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا} تعالى لـ{ زَكَرِيَّاۖ}.

ومختصر ما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان في كفالة زكريا (عس)" أنّ امرأة عمران خشيت ألّا تُقبَل الأنثى محررة، فَلَفتها فِي خِرق ووضعتها فِي بيت المَقْدِس عِنْد المحراب، فتساهم القوم عَلَيْهَا لأنها بِنْت إمامهم وسيدهم (أي عمران) قَالَ زَكَرِيّا وَهُوَ رئيس الأحبار: أَنَا آخذها، أَنَا أحقكم بها، لأن أُختها أَمَّ يحيى عندي، فَقَالَ القراء: وإن كان فِي القوم من هُوَ أقرب إليها منك؟ فلو تُرِكت لِأحقِّ الناس بها لتُرِكَت لأُمها، ولكنها مُحررة، وَلَكِن هلم نتساهم عَلَيْهَا، من خرج سَهْمُه فهو أحق بها، فاقترعوا، فقال الله تعالى لمحمد ﷺ:{ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ} حين اقترعوا ثلاث مرات بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها

الوحي، أيهم يَكفُلها، وأيهم يَضُمُّها، فَقَرَعَهُم زَكَرِيّا فقبضها"، فربّاها زكريا تربية حسنة في طاعة وعبادة.

إلّا أنّه{ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ} لم يأتي به، وفي غير موسمه، وفي ذلك إشارة لحاجتها للطعام كونها بشر، فـ{ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ} وكيف ومن أين يكون{ لَكِ هَٰذَاۖ} الرزق؟ فـ{ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ} و{ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ} بحكمته{ بِغَيۡرِ حِسَابٍ} فـ{ هُنَالِكَ} وعندها{ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ} و{ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ} ومن وجودك وفضلك{ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ} فاستجاب له تعالى{ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ} قيل هو جبريل (ع‌س) كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا} مؤمننًا بالله تعالى، وورد في تفسير الطبري وغيره مصدقًا بعيسى ابن مريم، و{ بِكَلِمَةٖ} ومعجزة{ مِّنَ ٱللَّهِ} لزكريا (ع‌س){ وَسَيِّدٗا} شريفًا فاضلًا كريمًا حليمًا كما وردت المعاني في قواميس اللغة{ وَحَصُورٗا} محجوبًا، أي ليس له إربةً للنساء كما ورد في قواميس اللغة، وقاله المفسّرون{ وَنَبِيّٗا} من الله تعالى، و{ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ} المصلحين في الأرض، و{ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ} وكيف{ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ} لم تلد من قبل{ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ} بعلمه وفضله{ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ} ودليل وبرهان على تَخَلُق وتَحقُق تلك البشرى{ قَالَ

ءَايَتُكَ أَلَّا} تستطيع أن{ تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ} بإشارةً، ثمّ أمره تعالى فقال:{ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ} تسبيحًا وحمدًا وشكرًا{ كَثِيرٗا} اثناء الليل والنهار{ وَسَبِّحۡ} ونزِّههُ{ بِٱلۡعَشِيِّ} بعد ميلان الشمس للعصر{ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ} أي والفجر.

الملخص: -

أشار تعالى إلى اصطفائه بعض الرسل، وأشار تعالى لنذر امرأة عمران التي قَبِل الله تعالى نذرها، للدلالة على أنّ مريم- عليها السلام- بشر، وكفَّلها زكريَّا، والتي كان يجد عندها رزقًا لم يأتِ به وفي غير موسمه، واستجابته تعالى لدعاء زكريّا فرزقه يحي (ع‌س)، رغم كبر سنّه وزوجه عاقر، وأمره بكثرة ذكر الله تعالى وتسبيحه وتنزيهه بالعشي والإبكار.

(٤٢-٥١) بشارة الله تعالى لمريم بعيسى (ع‌س) ورسولا لبني إسرائيل، ومصدقًا للتوراة.

وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ

يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ
﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم
مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ
وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي
بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ
مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

يذكِّر تعالى قائلًا:{ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ} أي جبريل (عس) لقوله تعالى في سورة مريم:{... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا}﴿١٩﴾ وقال لها:{ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ} واختاركِ واختصكِ بفضل لم يكن لغيركِ{ وَطَهَّرَكِ} من الحيض والنفاس كما ورد في تفسير معاني القرآن وإعرابه للزجاج، وقد قال تعالى في سورة آل عمران:{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ...}﴿٥٩﴾ كما وطهَّر عقيدتها وعبادتها وأخلاقها، وطهرها في الإنجيل والقرآن مما رماها اليهود به من الزنا لقوله تعالى في سورة النساء:{ وَبِكُفْرِهِمْ

وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا}﴿١٥٦﴾ ثمّ قال:{ وَٱصۡطَفَىٰكِ} وفضلكِ{ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ} لما ورد في مسند الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ– رضي الله عنهما– قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ:" تَدْرُونَ مَا هَذَا؟" فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ". ثمّ قال تعالى:{ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي} واخشعي وأطيلِ قيام الليل والدعاء، وصلِّ{ لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي} تعظيمًا وتبجيلًا{ وَٱرۡكَعِي مَعَ} المصلين { ٱلرَّٰكِعِينَ}.

ثمّ قال تعالى لنبيِّه ﷺ:{ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ} التي لم تكن تعلمها{ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ} ﷺ{ وَمَا كُنتَ} حاضرًا{ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ} يقترعون{ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ} عليها السلام{ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ} فيمن يكفلها، ثمّ قال تعالى:{ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ} أي جبريل (عس){ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ} ومعجزة{ مِّنۡهُ} صبيًا{ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ} وسُمِّي المسيح لأنه إذا مسح العليل أبرأه كما ورد في بعض التفاسير، وسيدًا{ وَجِيهٗا} ذو وجاهةِ ونضارة{ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ} عند الله{ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ} رضيعًا{ وَكَهۡلٗا} أي وإذا خطَّه الشيب كما ورد في قواميس اللغة{ وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ} المصلحين في الأرض{ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ} وكيف{ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ

يَمۡسَسۡنِي} ولم يقربني{ بَشَرٞۖ}؟ فـ{ قَالَ كَذَٰلِكِ} وبمثل ذلك{ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ} فـ{ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا} في السماوات أو في الأرض{ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} وقال جبريل (عس):{ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ} أي ويعلمه الكتابة والقراءة كما ورد في تفسير الماتُريدي{ وَٱلۡحِكۡمَةَ} والحِنكة والمهارة والبراعة في الحُكم وتدبير الأمور{ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ} أي ويعلمه التوراة والإنجيل{ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} منذرًا قائلًا:{ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ} ومعجزة{ مِّن رَّبِّكُمۡ} لتؤمنوا، فـ{ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ} وأُشكِّل{ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ} ومِثل{ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا} حيًّا{ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ} والمعجزة الثانية{ وَأُبۡرِئُ} وأشفي{ ٱلۡأَكۡمَهَ} أي المولود أعمى{ وَٱلۡأَبۡرَصَ} أي وأبرء الأبرص كمعجزة ثالثة{ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ} كمعجزة رابعة، فأحيا أربعة أنفس كما ورد في تفسير الثعلبي{ وَأُنَبِّئُكُم} وأخبركم{ بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ} كمعجزة خامسة{ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ} ودليل وبرهان{ لَّكُمۡ} على صدق نبوَّتي ورسالتي{ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} بالله تعالى{ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ} التي بين أيديكم{ وَلِأُحِلَّ} أي ولأجل أن أُحلَّ{ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ} ناسخًا لما جاءكم في التوراة{ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ} ومعجزات{ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} واخشوا عقوبته في الدنيا والآخرة، فسننه تعالى قائمة فيمن كفر، وقال لهم:{ وَأَطِيعُونِ} فيما أوحي إليّ من الإنجيل، فـ{

إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ} واتبعوا ما جاءتكم به في الإنجيل فـ{ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسْتَقِيمٞ}.

الملخص: –

يذكر الله تعالى باصطفاء مريم– عليها السلام–، وما كان من اختصام في كفالتها، وأمرها بكثرة القنوت والسجود والركوع، وبَشَّرها بعيسى ابن مريم بِكُن ليكون، وعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، ورسولًا لبني إسرائيل بخمس معجزات، كإبراء المولود الأعمى والأبرص وإحياء الموتى وما يأكلون وما يدخرون، ناسخًا لما حُرِّم عليهم في التوراة، وحذّرهم من الإعراض عن رسالته، وبيّن لهم أنها صراط مستقيم.

(٥٢–٥٨) كُفر بني إسرائيل بعيسى (عس) ومكرهم لقتله، وتطهيره ورفعه وبيان جزاء من آمن ومن كفر.

فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨

قال تعالى:{ فَلَمَّآ أَحَسَّ} ووجد{ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ} أي من بني إسرائيل{ ٱلۡكُفۡرَ} والإعراض والاستكبار{ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ} أي من" أعواني على المكذبين بالله" الذين" أرادوا قتله" كما ورد في تفسير الطبري{ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ} الحَمِيمون الخُلَّص كما وردت المعاني في قواميس اللغة{ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ} مستسلمون لما أوحي إليك، ودَعَوُا الله قائلين:{ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ} لأنبيائك يوم القيامة كما ورد في تفسير الطبري.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَكَرُواْ} أي كُفَّار بني إسرائيل، ومختصر ما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان" وذلك أن كفَّار بني إِسْرَائِيل عمدوا إلى رجل فجعلوه رقيبًا على عيسى ليقتلوه، فجعل الله شَبه عِيسَى عَلَى الرقيب، فأخذوا الرقيب فقتلوه وصلبوه"{ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ} فقتلوا صاحبهم، ورفع الله تعالى عيسى (عس) إليه{ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ}.

ثمّ قال تعالى:{ إِذۡ} أي ولمّا أو ويوم{ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} بعد قتل الدجال كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} جسدًا وروحًا{ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} أي مُطهره من مكرهم، ومن بهتان بني

إسرائيل، حيث رموا أُمّهُ مريم- عليها السلام- بالزّنا، والذي قال تعالى عنه في سورة النساء:{ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا}﴿١٥٦﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ} أي غالبين منتصرين{ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ} على أن يؤمنوا برسول الله ﷺ وينصرونه، فرسول الله ﷺ أرسل للناس جميعًا وأُمروا بالإيمان به واتباعه لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ}﴿١٥٨﴾ وقد أخذ الله تعالى الميثاق على النبيين بذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}﴿٨١﴾ كما وأمر أهل الكتاب باتباع النور الذي أنزل معه ﷺ لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}﴿١٥٧﴾ فلمّا كفر الروم به ﷺ بعد بعثته، هزمهم المسلمون في العام الخامس عشر

الهجري، وأغرى الله تعالى بينهم العداوة والبغضاء لمّا نسوا ميثاقهم بالإيمان به ﷺ ونصره لقوله تعالى في سورة المائدة:{ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ}﴿١٤﴾.

ثمّ قال تعالى:{ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ} معشر الإنس والجن{ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ} يوم القيامة{ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ} وتتنازعون وتتقاتلون{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ} كقوله تعالى في سورة الزمر:{ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ}﴿٢٦﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}﴿٩٧﴾ وأكّد ذلك فقال:{ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ} المستكبرين المعرضين، ف{ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ} يا رسول الله ﷺ{ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ} والدلائل والمعجزات{ وَٱلذِّكۡرِ} الذي أوحي إليك، والشَّرف والرِّفعة لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ}﴿٤٤﴾ كما ورد في

تفسير الماوردي{ ٱلۡحَكِيمِ} فيما شرّع لكم، والمُحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الملخص: -

لما أحسّ ووجد عيسى (عس) الكفر من بني إسرائيل، نصره الحواريون، ومكر بني إسرائيل لقتله (عس)، فمكر الله تعالى بهم، وألقى تعالى الشَّبه على رقيبهم، فقتلوا صاحبهم وصلبوه، ورفع الله تعالى عيسى (عس) إليه، وبشَّره تعالى بجعل الذين اتبعوه منتصرين على الذين كفروا إلى يوم القيامة، على أن يؤمنوا برسول الله ﷺ بعد بعثته، ولمّا نقض الرُّوم العهد بالإيمان برسول الله ﷺ هزمهم المسلمون في العام الخامس عشر من الهجرة، وأغرى بينهم العداوة إلى يوم القيامة، وبيّن تعالى أنّه معذِّب الذين كفروا، وموفِّ الذين آمنوا أجورهم في الدنيا والآخرة، والله لا يحب الظالمين.

(٥٩-٦٤) بيان حقيقة خلق عيسى (عس)، ودعوة كفّار أهل الكتاب للمباهلة وإلى كلمة سواء لعبادة الله وحدة.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ
بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا
وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢

فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾

بيّن الله تعالى بشرية مريم- عليها السلام- بأنّها من آل عمران، ثمّ أكّد تعالى بشرية عيسى (عس) قائلًا:{ إِنَّ مَثَلَ} خلق{ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ} الذي أعطى كل شيء خَلْقَهُ ثمّ هدى، والذي لا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه{ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} كما بيّن تعالى أنّ عيسى (عس) كان يأكل الطعام في قوله تعالى في سورة المائدة:{ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ...}﴿٧٥﴾ ولا حاجة لله تعالى في الطعام، ونهى تعالى النصارى أن يغالوا في عيسى وأمّه- عليهما السلام- فقال في سورة النساء:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا}﴿١٧١﴾.

وسبب نزول الآيات مختصرًا كما ورد في تفسير الطبري" وذلك أن رهطًا من أهل نجران قدموا على محمد ﷺ فقالوا لمحمد: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال: من هو؟ قالوا: عيسَى، تزعم أنه عبدُ الله! فقال محمد: أجل، إنه عبد الله، قالوا له: فهل رأيت مثلَ عيسى، أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل فقال: قل لهم إذا أتوك:" إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم".

ثمّ جزم تعالى فقال لرسوله ﷺ والمؤمنين:{ ٱلۡحَقُّ} كُلّه{ مِن رَّبِّكَ} وفي خلق عيسى (عس){ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ} المُرتابين الشاكّين{ فَمَنۡ حَآجَّكَ} بعد ذلك وخاصمك وجادلك{ فِيهِ} أي في عيسى (عس){ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ} الذي أُوحي إليك{ فَقُلۡ} لهم وللنصارى{ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ} على صعيدٍ واحد{ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ} مجتهدين مخلصين الدعاء متضرعين{ فَنَجۡعَل} في ابتهالنا أن{ لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ}.

ومختصر ما ورد في تفسير السمرقندي" فواعدهم رسول الله ﷺ بأن يخرجوا للملاعنة، فجعلوا وقتاً للخروج، وتفرقوا على ذلك، ثم ندموا، فلمّا كان ذلك اليوم خرج رسول الله ﷺ وأخذ بيد الحسن والحسين، وخرج معه علي بن أبي طالب وفاطمة، فلما اجتمعوا في الموضع الذي واعدهم، طلب منهم

الملاعنة، فقالوا نعوذ بالله، فقال لهم:" إِمَّا أَنْ تُلْعَنُوا، وَإِمَّا أَنْ تُسْلِمُوا، وَإِمَّا أَنْ تُؤَدُّوا الجِزْيَةَ" فقبلوا الجزية.

ثمّ قال تعالى:{ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ} والقصاص والحكم{ ٱلۡحَقُّۚ} والعدل{ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ} في الكون{ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ} الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفُوا أحد، الغالب في كل أسمائه وصفاته، الغني عن خلقه، والذي لا يقبل إلّا دينه وشرعه، ولا مُعقِّب لحكمه{ ٱلۡحَكِيمُ} فيما يقضي من قَدَر، وما يمضي من سنن وجزاءات، وفيما يُشرِّع ويَحكم{ فَإِن تَوَلَّوۡاْ} وأعرضوا واستكبروا وعاندوا{ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ} يشقيهم في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثمّ قال تعالى لرسوله ﷺ:{ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ} حقٍّ وعدل{ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ} لا نختلف فيها، الأمر الأول{ أَلَّا نَعۡبُدَ} ولا نطيع{ إِلَّا ٱللَّهَ} ثانيًا{ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا} ولا نجعل له ولدًا ولا مثلًا ولا ندًا ولا شبيهًا، ثالثًا{ وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا} يُشرِّعون{ مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ} كقوله تعالى في سورة آل عمران:{... وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ}﴿٧٩﴾ وقال:{ فَإِن تَوَلَّوۡاْ}

وأعرضوا واستكبروا{ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ} مستسلمون لدين الله تعالى وشرعه وحكمه.

الملخص: -

يؤكد تعالى أنّ خلق عيسى (عس) من تراب كخلق آدم (عس)، وأمر بمباهلة من يجادل في ذلك بجعل لعنة الله على الكاذبين، وأكّد تعالى أن لا إله إلّا هو العزيز الحكيم، وأن يدعوا كفّار أهل الكتاب إلى كلمة سواء بأن لا يُعبد إلّا الله، ولايتخذ بعضنا بعضًا أربابًا يشرعين من دون الله، فإن تولوا وأعرضوا فقولوا اشهدوا أنَّا مسلمون.

(٦٥-٧١) تأكيد أن إبراهيم (عس) كان مسلمًا، وبيان أولى الناس به، والاستنكار على كفّار أهل الكتاب، وتلبيسهم الحق بالباطل.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ
بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ
تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ
إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ
أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٦٩ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ

تَشۡهَدُونَ ٧٠ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١

اختصم كفّار أهل الكتاب في دين إبراهيم (عس)، فقال يهود المدينة المنورة كان يهوديًا، وقال نصارى نجران كان نصرانيًا، فردّ الله تعالى عليهم فقال:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ} وتتخاصمون{ فِيٓ} دين{ إِبۡرَٰهِيمَ} (عس) فيدعي كلٌ منكم أنّه على دينه{ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ} فكيف يكون إبراهيم (عس) يهوديًا أو نصرانيًا؟ وكان غاية كلٌ منهم من المحاجّة في دين إبراهيم (عس) نسبة الشرف والرفعة لنفسه ولدينه.

وسبب نزول الآية ما ورد في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبارُ يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيمُ إلا يهوديًّا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا! فأنزل الله عز وجل فيهم:" يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراةُ والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون".

ثمّ قال تعالى:{ هَٰٓأَنتُمۡ} أي هب أنّكم، كما ورد في تفسير الراغب الاصفهاني{ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ} وجادلتم{ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ} من دينكم الذي أُوحي إليكم وثبت عندكم صحته كما ورد في تفسير الطبري{ فَلِمَ تُحَآجُّونَ}

وتتخاصمون وتُجادلون{ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ} من أمر إبراهيم (ع‌س) ودينه{ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ} كلّ شيء{ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ} إلّا ما عُلِّمتم، ثمّ ردّ الله تعالى عليهم فقال:{ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا} موحدًا معرضًا عن كل دين وهدي غير دين الله تعالى{ مُّسۡلِمٗا} مستسلمًا منقادًا لدين الله تعالى وشرعه عقيدةً وعبادةً وأخلاقًا ومعاملات{ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ} كما أشركتم بعيسى وعُزير، وادعائهم أنّهم أبناء الله كما قال تعالى في سورة المائدة:{ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}١٨.

ثمّ بيّن تعالى فقال:{ إِنَّ أَوۡلَى} وأحقّ وأصدق{ ٱلنَّاسِ} ولايةً{ بِإِبۡرَٰهِيمَ} (ع‌س) وعلى مِلته{ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ} وآمنوا بدينه واقتدوا به، كلوط (ع‌س) لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}٢٦ ثمّ قال تعالى:{ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ} محمد ﷺ{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ} برسول الله ﷺ، وفي ذلك تشريف ورِفعةً لهذه الأمّة بنسبة ابراهيم (ع‌س) إلى الإسلام، وتأكيدًا لسلامة الدين والعقيدة{ وَٱللَّهُ وَلِيُّ} وناصر ومؤيد وملجأ{ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ}.

ثمّ بيّن تعالى فقال:{ وَدَّت} وتمنت{ طَّآئِفَةٞ} وجماعة{ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ} معشر المسلمين، ويستزلونكم عن دينكم وعن رسولكم ﷺ{

وَمَا يُضِلُّونَ} بمكرهم وخداعهم{ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ} في الدنيا والآخرة{ وَمَا يَشۡعُرُونَ} وسبب نزول هذه الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان أنها نزلت فِي عمَّار بن ياسر وحُذَيْفة بن اليمان، وذلك أن اليهود جادلوهما ودعوهما إلى دينهم.

ثمّ عاتب تعالى كفّار أهل الكتاب فقال:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ} التي أنزلت على محمد ﷺ{ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ} وتعرفونه كما تعرفون أبنائكم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ}١٤٦ وأمرهم فقال:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ} وتخلطون وتمزجون{ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ} كما قال تعالى في سورة التوبة:{ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ...}٣٠ ثمّ قال:{ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}٨١ فعلى البشرية أن تعلم أنّ الرسول ﷺ أرسل للناس جميعًا، وأَمَرهم الله تعالى باتباعه لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ}١٥٨ وأنّ جميع الرسالات نُسخت بالدين الإسلامي وهو خير منها لقوله تعالى في سورة البقرة:{ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ

مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ}﴿١٠٦﴾ لتجتمع الرسالات على دين واحد، وقد توعد تعالى من كفر بالخلود في النّار يوم القيامة كما قال تعالى في سورة البينة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ}﴿٦﴾.

الملخص: -

أكّد الله تعالى أنّ إبراهيم (عس) كان مسلمًا مستسلمًا لوحي ربه، ولم يكن من المشركين، وأبطل دعوى كفّار أهل الكتاب بأنّه منهم ببيان أنّ التوراة والإنجيل أُنزلت من بعده، وأكّد تعالى أنّ أولى وأحقّ النّاس به (عس) الذين اتبعوه في دينه، وهذا النبي ﷺ والذين آمنوا معه، وتمني كفّار أهل الكتاب إضلال المسلمين عن دينهم، واستنكر تعالى عليهم كفرهم برسول الله ﷺ، والذي يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، فوجب على هذه الأُمّة تبليغ النّاس أنّ الرسالات نسخت بما هو خير منها، لتجتمع الرسالات على دين واحد، وأنّ الرسول ﷺ أرسل لجميع النّاس، وأنّ الله تعالى توعد من كفر برسوله ﷺ الخُلود في النّار.

(٧٢-٧٧) بيان إحدى حِيَل كفّار أهل الكتاب لإضلال المسلمين، وتحريم استحلالهم أموال غيرهم، وتحذيرهم العقوبة في الدنيا والآخرة.

وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ

ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ
وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥
بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ
ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا
يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧

بيّن تعالى إحدى حِيل بعض يهود لإضلال المؤمنين فقال:{ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ} وجماعة{ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ} أي يهود المدينة المنورة{ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} بمحمد ﷺ{ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ} أي أوّله{ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ} يرتابون في رسولهم فـ{ يَرۡجِعُونَ} عن دينهم كافرين، وقالوا:" نظرنا فِي التوراة، فإذا النعت الَّذِي فِي التوراة لَيۡسَ بنعت محمد ﷺ"، قالوا ذلك مكرًا حتى لا تكون النبوّة في غيرهم لما ورد مختصرًا في تفسير مقاتل بن سليمان.

وقالوا:{ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ} ولا تصدقوا{ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ} وتوراتكم، فقال تعالى لرسوله ﷺ:{ قُلۡ} لهم{ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ} الحق والصدق والعدل هو{ هُدَى ٱللَّهِ} الذي أوحاه لرسوله ﷺ، وقالوا:{ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ

أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ} أي ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم في التوراة، ولا تؤمنوا أن يحاجّكم أحدٌ عند ربكم كما ورد في تفسير الطبري وغيره، فقال تعالى لرسوله ﷺ:{ قُلۡ} ردًا على افترائهم وكذبهم{ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ} والنبوّة{ بِيَدِ ٱللَّهِ} وليست بأيديكم، وهو تعالى:{ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ} من عباده، بعلمه وعدله وحكمته، ولا يظلم ربك أحدًا{ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ} الفضل{ عَلِيمٌ} بمن يستحق فضله وكَرَمَه، فهو تعالى{ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ} بعدله وعلمه وحكمته{ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ} على خلقه أجمعين، فاختص رسوله محمد ﷺ وأمته بهذا الفضل والدين والشرف والرفعة دون سائر البشر.

ثمّ أشار تعالى إلى أمانة بعض أهل الكتاب فقال:{ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ} أي أربعون أوقية من الذهب، أو المال الكثير{ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ} لا يُنقص منه شيئًا{ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ} حتى{ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ} موثقًا تطلبه منه، وسبب استحلالهم أموال النّاس{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ} كذبًا{ لَيۡسَ عَلَيۡنَا} جُرم ولا إثم ولا عقوبة{ فِي} الاستيلاء على أموال{ ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ} العرب وغير اليهود{ سَبِيلٞ} أي من أي وجه، فردّ الله تعالى فقال:{ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} أنّهم كاذبون، ثمّ قال تعالى:{ بَلَىٰۚ} أي بلى ليس على أحد جُرم ولا إثم ولا عقوبة لـ{ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ} الذي أخذه تعالى عليهم،

ومصدقًا لما معهم، كالميثاق الذي أخذه تعالى على النبيين بالإيمان برسوله ﷺ ونصره كما في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}﴿٨١﴾ ثمّ قال:{ وَٱتَّقَىٰ} محارم الله تعالى{ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ}.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ} ويستبدلون{ بِعَهْدِ ٱللَّهِ} الذي أُخذ عليهم بالإيمان برسوله ﷺ ونصره كأهل الكتاب{ وَأَيْمَٰنِهِمْ} أي ويستبدلون بحلفهم وبقسمهم{ ثَمَنًا قَلِيلًا} زهيدًا في الدنيا{ أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ} ولا حظًا ولا نصيبًا حسنًا{ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ} نظرة رحمة{ وَلَا يُزَكِّيهِمْ} أي ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم كما ورد في تفسير الطبري في الدنيا{ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة.

الملخص: -

يبيّن تعالى مكر طائفة من اليهود بإعلانهم إيمانهم بالرسول ﷺ أوّل النهار وكفرهم به آخره، بدعوى أنه ليس بالصفة التي جاءت في التوراة، ليرتد من أسلم عن دينه، وقولهم: ولا تؤمنوا إلّا لمن تبع دينكم، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، ولا أن يحاجّكم أحد عند ربكم، فبيّن تعالى أنّ الفضل بيده تعالى يختصُّ به من يشاء، فاختص رسوله ﷺ والمؤمنين

بفضله ورفعته، ثمّ أشار تعالى إلى أمانة بعض اليهود وخيانة بعضهم لزعمهم أن لا إثم عليهم في الاستيلاء على أموال غير اليهود بغير حق، وأكّد تعالى أن لا إثم على من يُوَفِّي بعهد الله وميثاقه ويتقي، وتوعد الذين يستبدلون ثمنًا قليلًا بعهدهم وأيمانهم بعذاب أليم يوم القيامة، وعدم تزكية قلوبهم من الكفر في الدنيا.

(٧٨–٨٥) بيان إحدى حِيَل يهود، وأنّ الرسل لا تدعوا إلى الكفر، والعهد على النبيين الإيمان برسوله ﷺ ونصره، وعدم قبول دين غير الإسلام.

وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ
ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ
ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ
تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ
وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا
مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ
أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ
عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ
وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤ وَمَن يَبۡتَغِ
غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥

أشار تعالى إلى بعض حِيل اليهود فقال:{ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم} يُحرِّفون{ بِٱلۡكِتَٰبِ} الذي أُنزل عليهم، وما كتموا من نعت رسول الله ﷺ وصفته، وما في كتبهم من أعلام نبوته وآيات رسالته كما ورد في تفسير الماتُرِيدِي{ لِتَحۡسَبُوهُ} ولتظنوا أنّه{ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ} أي التوراة{ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ} الذي بين أيديهم{ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} أنّهم كاذبون.

ثمّ ردّ الله تعالى على كفّار أهل الكتاب زعمهم اتخاذ الولد فيقول:{ مَا كَانَ} ومن المحال{ لِبَشَرٍ أَن} يصطفيه الله تعالى ويختاره للنّاس، ثمّ{ يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ} تعالى معرفة عِلم{ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ} بين الناس{ وَٱلنُّبُوَّةَ} توحى إليه{ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ} كذبًا{ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ} أي أنْ الله لا يصطفى لنبوته الكذبة، ولو فعل ذلك بشر لسلبه اللّهُ عزَّ وجلَّ آيات النبوة وعلاماتها كما ورد في كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج{ وَلَٰكِن} يأمرهم بأن يـ{ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ} موحدين عابدين مستسلمين لهدي الله تعالى، وهم يدعون

النّاس لعبادة الله تعالى وحده، فيا كفّار أهل الكتاب كونوا كذلك{ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ} النّاس{ ٱلْكِتَٰبَ} التي أوحيت إليكم{ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} وتتعلمون، ثمّ قال تعالى:{ وَلَا يَأْمُرَكُمْ} أي ومن المحال أن يأمركم{ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ} من دون الله تعالى يشرعون لكم دينكم، وكيف؟{ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}.

ثمّ بيّن الله تعالى فقال:{ وَإِذْ} أي واذكروا يوم{ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} جميعًا مقسمًا عليهم{ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ} أي محمد ﷺ لقوله تعالى في سورة البقرة:{ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ}﴿٢٨٥﴾ ثمّ أستحلفهم فقال:{ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ} وأقرّهم على ذلك فـ{ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ} بهذا الميثاق{ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ} وعهدي وميثاقي{ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ} يوم القيامة على من نقض هذا الميثاق من أُممكم{ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ} وفي هذه الآية دلالة واضحة على نسخ شرائع وأحكام كل ما نزل قبل بعثته ﷺ، ليجمع الله تعالى كل من آمن بِنَبِي أو رسول على دين واحد تبعًا لدينه ﷺ، وبهذا يكون الميثاق الذي أخذ على الأنبياء تشريفًا ورفعةً لرسوله ﷺ{ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ} وأعرض ونقض الميثاق{ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلۡفَٰسِقُونَ} المارقون المعرضون عن هدي الله تعالى، فمن لم يؤمن برسوله ﷺ فقد كفر، لقوله تعالى في سورة البينة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ}﴿٦﴾.

ثمّ قال تعالى:{ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ} بنقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم؟{ وَلَهُۥٓ} تعالى{ أَسۡلَمَ} واستسلم وانقاد له{ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا} كقوله تعالى في سورة الإسراء:{ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا}﴿٤٤﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَكَرۡهٗا} فيحيهم ويميتهم ويبعثهم متى شاء{ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ} وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم لقوله تعالى في سورة النور:{ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}﴿٢٤﴾.

ثمّ قال تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين:{ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا} من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ} مستسلمون منقادون، لا نعصي له أمرًا، ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ

ٱلۡإِسۡلَٰمِ} والاستسلام والانقياد لله تعالى{ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ} وفي جهنّم خالدين.

الملخص: -

أكّد تعالى تحريف بعض كفّار أهل الكتاب الذي أوحي إليهم، وتَعَمُد الكذب على الله، وأكَّد تعالى أن من المحال أن يكذب أنبياء ورُسل الله على النّاس فيأمرونهم بالشرك، وبيّن تعالى أنّه أخذ الميثاق على النبيين بالإيمان برسوله ﷺ ونصره، واستنكر عليهم نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم، وأمر المؤمنين بالإيمان والإقرار بما جاء به النبيون والاستسلام لما جاء من عند الله تعالى، وبيّ تعالى أنَّه من ابتغى غير ذلك فهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

(٨٦-٩١) بيان سننه تعالى في الكفر بعد الإيمان والجزاء يوم القيامة.

كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ

أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

بيّن تعالى سننه فيمن كفر برسوله ﷺ بعد الإيمان به، وشهد أنّه ﷺ حقّ فقال:{ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ} أي من المحال أن يهدي الله تعالى{ قَوْمًا كَفَرُوا۟} برسول الله ﷺ{ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ} به{ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ} ﷺ والإسلام{ حَقٌّ} وصِدقٌ وعَدل{ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ} والدلائل والبراهين على ذلك، كنصره على من كفر{ وَٱللَّهُ} من سننه وجزاءاته التي لا تتخلف عن أحد{ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} إلى دينه وهديه، بل يُضلهم بسبب كفرهم بعد إيمانهم كما قال تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٧﴾.

ثمّ قال تعالى:{ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ} والطرد من رحمته في الدنيا والآخر{ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ} يُؤمِنُون على لعنة الله تعالى لهم، ومن سننه تعالى أن يطبع على قلوبهم الكفر فلا يخرج منها لقوله تعالى في سورة النحل:{... وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ}١٠٨ وهم{ خَٰلِدِينَ فِيهَا} أي في جهنّم{ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ} ولا يؤجلون، ثم استثنى تعالى فقال:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ} لمن تاب وآمن{ رَّحِيمٌ} لا يعاجلهم بالعقوبة.

ونزلت هذه الآية كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا عن مجاهد قال: جاء الحارث بن سُوَيد فأسلم مع النبي ﷺ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه، فأنزل الله عزَّ وجلّ فيه القرآن فقال:" كيف يَهدي الله قومًا كفروا بعدَ إيمانهم" إلى "إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ" قال: فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمتُ لصَدُوقٌ، وإنّ رسول الله ﷺ لأصدقُ منك، وإنّ الله عز وجل لأصدق الثلاثة، قال: فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه"، وقد حَلَم الله تعالى ورَحَم الحارث فلم يعاجله بالعقوبات التي هي من سننه، وحجبها عنه بعد كفره، وأمهله تعالى لعلمه المسبق بالغيب وبتوبته والرجوع لدينه.

ثمّ جزم تعالى فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} عنادًا واستكبارًا{ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا} وعصيانًا وإصرارًا{ لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ} في الدنيا{ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ} عن هدي الله تعالى ودينه وصراطه المستقيم، وسننه تعالى فيهم وجزاءاته أن لا يغفر لهم ولا يهديهم لقوله في سورة النساء:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ

ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا}﴿١٣٧﴾ وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير الطبري: أولئك أعداء الله اليهود، كفروا بالإنجيل وبعيسى، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد ﷺ والفُرْقان.

وكيف لا يؤمن اليهود، وقد بيّن الله تعالى لهم على جبل الطور أنّ المفلحين منهم هم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي عندما دعا موسى (ع‍س) في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}﴿١٥٧﴾.

وقد أخبر عيسى ابن مريم (ع‍س) اليهود ببعثته ﷺ من بعده في قوله تعالى في سورة الصف:{ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ} إلى قوله تعالى:{... وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿٧﴾.

وبيّن رسول الله ﷺ أنّه أرسل للناس جميعًا، وأمرهم الله تعالى باتباع الرسول الأمي ﷺ في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}﴿١٥٨﴾.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ} عوضًا عن كفره{ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا والأخرة كقوله تعالى قي سورة الزمر:{ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ}﴿٢٦﴾ ثمّ قال:{ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ} من عذاب الله تعالى يوم القيامة.

الملخص: -

بيّن تعالى أنّه لا يهدي قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنّ الرسول ﷺ حق، وجاءتهم البينات والبراهين على صدقه، وبيّن تعالى أنّ عليهم لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين يُؤمِنون، إلّا من تاب وأصلح فإنّ الله يتوب عليه ويغفر له، أمّا الذين كفروا بعد إيمانهم ثمّ ازدادوا كفرًا فلن تقبل توبيهم، ولن يُقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به، وما لهم في الآخرة من ناصرين من عذاب الله تعالى.

(٩٢-٩٥) الأمر بالإنفاق من الطيب، وبيان أنّ ما حُرِّمَ على بني إسرائيل هو الذي حَرَّمه يعقوب (عس) على نفسه.

لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾

يقول تعالى:{ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ} والبر كلمة شاملة لقوله تعالى في سورة البقرة:{... وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ}﴿١٧٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ} في سبيل الله{ مِمَّا تُحِبُّونَۚ} ولو وهبها الرسول ﷺ لأقرب الأقربين، لما ورد في تفسير عبدالرزاق" جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِفَرَسٍ لَهُ كَانَ يُحِبُّهَا فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهَا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَكَأَنَّ زَيْدًا وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُ ﷺ قَالَ:" أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ قَبِلَهَا".

فعلى المؤمن أن ينفق من طيبات الكسب لقوله تعالى في سورة البقرة:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}﴿٢٦٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ} قليل أو كثير{ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ} وبكل شيء عليم، لقوله تعالى في سورة يونس:{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ}﴿٦١﴾.

ثمّ أكدّ تعالى فقال:{ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ} وإسرائيل هو يعقوب (عس)، ومختصر ما ورد في التفاسير عن ما حَرَّم يعقوب (عس) على نفسه بعد أن أصيب بعرق النساء، العروق، ولُحوم الإبل وألبانها، والتي كان يُحبُّها، فلمّا شافاه الله تعالى استن به أولاده من بعده من غير أن يحرمه الله تعالى عليهم كما ورد في تفسير الطبري، وكان ذلك{ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ} ومختصر ما ورد في التفاسير لسبب نزول الآية أنّ يهود المدينة المنورة قالوا:" كلُّ شيءٍ أصبحنا اليوم نُحرِّمُهُ، فإنه كان مُحرَّمًا على نوح وإبراهيم، فكذّبهم الله تعالى فقال:{ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} فيما تدَّعون، ثمّ توعدهم

تعالى فقال:{ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ} البيان والتوضيح{ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} المكابرون.

إلّا أنّ الله تعالى حرَّم على بني إسرائيل طيبات أحلّت لهم بسبب ظلمهم، لقوله تعالى في سورة النساء:{ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا}﴿١٦١﴾ ومما حُرِّم تعالى عليهم قوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ}﴿١٤٦﴾.

ثمّ قال تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين:{ قُلۡ} لليهود{ صَدَقَ ٱللَّهُۗ} في كل ما أخبر به{ فَٱتَّبِعُواْ} يا بني إسرائيل{ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ} المائل عن كل دين سوى دين الله تعالى، والمستمسك بحبل الله وحده{ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ} فمِلَّة إبراهيم (عس) هي مِلّة الرسول محمد ﷺ لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}﴿١٦١﴾ وقد ذمّ تعالى الرغبة عن مِلّة إبراهيم في قوله تعالى في سورة البقرة:{ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ}﴿١٣٠﴾.

الملخص: –

أكد تعالى أنّ البِرّ يُدرك بالنفقة من طيبات الكسب ومما يُحَبّ، وأنّ كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم يعقوب (عس) على نفسه لما مرض، وكان ذلك من قبل أن تُنَزَّل التوراة كالعروق ولحوم الإبل وألبانها، وأمر تعالى اليهود باتباع ملة محمد ﷺ لأنها هي مِلَّة إبراهيم (عس).

(٩٦–١٠١) تأكيد أنّ الكعبة أول بيت وضع للناس، والأمر بالحج، والاستنكار على كفّار أهل الكتاب، وصدهم الناس عن الدين، والتحذير من اتباعهم.

إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ
ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ
مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ يَٰٓأَهۡلَ
ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ
ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ
عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾

أكَّد تعالى قائلًا:{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ} في الأرض لعبادة الله تعالى، وحَجَّه آدم ومن بعده كما ورد في تفسير الطبري وغيره{ لَلَّذِى بِبَكَّةَ} أي بمكّة، وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان" أن الْمُسْلِمِين واليهود اختصموا فِي أمر القبلة، فَقَالَ المسلمون: القبلة الكعبة، وقالت اليهود: القبلة بيت المَقْدِس" فنزلت الآية، وهو أوّل بيت وضع للنّاس لما ورد في صحيح الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ (رلع) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، فَهُوَ مَسْجِدٌ".

ثمّ قال تعالى عن البيت الحرام:{ مُبَارَكًا} ومن بركاته أنّه أمنًا للناس، ويجبى إليه ثمرات كل شيء، لقوله تعالى في سورة القصص:{... أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}﴿٥٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ} لحج النّاس{ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ} ودلائل وبرهين، على أنّه أوّل بيت، أوّلها{ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ} والمشعر الحرام كما ورد في بعض التفاسير، ثانيًا{ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ} ولما ورد في سنن الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ:" إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَامٌ، حَرَّمَهُ اللهُ، لَمْ يَحِلَّ فِيهِ الْقَتْلُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُحِلَّ لِي سَاعَةً، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهُ إِلا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلا يُخْتَلَى خَلاهُ"، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلا الإِذْخِرَ، فَإِنَّهُ لِبُيُوتِهِمْ وَلِقَيْنِهِمْ، فَقَالَ:" إِلا الإِذْخِرَ، وَلا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا"، ثمّ قال تعالى:{ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ} فرض{ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ} ثمّ قال تعالى:{ وَمَن كَفَرَ} وأعرض واستكبر{ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ}.

ثمّ استنكر تعالى على كفّار أهل الكتاب كفرهم بمحمد ﷺ فقال:{ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ} التي أنزلها على رسوله ﷺ، والذي يعرفونه كما يعرفون أبنائهم لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}﴿٢٠﴾ وقد أخذ الله تعالى الميثاق عليهم بالإيمان به ﷺ ونصره لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}﴿٨١﴾ كما وبشّرهم عيسى (عس) به ﷺ لقوله تعالى في سورة الصف:{ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}﴿٦﴾ وبيّن تعالى أنّه ﷺ أُرسل

للناس جميعًا في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ}﴿١٥٨﴾ ثمّ حذّر الله تعالى بني إسرائيل فقال:{ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ} لا تخفى عليه خافية.

ثمّ استنكر تعالى على كفّار أهل الكتاب مرّة أخرى فقال:{ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ} وتُضِلون النّاس{ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} ودينه ورسوله ﷺ{ مَنۡ ءَامَنَ} من النّاس و{ تَبۡغُونَهَا} أي وتريدونها{ عِوَجًا} وضلالّا عن هديه تعالى{ وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ} بإنّ الدين هو الإسلام، وأنّ الرسول هو محمد ﷺ كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ} وسننه لا تتخلف عن أحد.

ثمّ حذّر الله تعالى المؤمنين فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ} ومختصر ما ورد في تفسير الطبري في سبب نزول الآية، أنّ اليهود غاظهم الألفة بين الأوس والخزرج بعد إسلامهم، فعمدوا إلى فَتى شابًّا من يهودَ، فذَكّرهم يَوْم بُعاث وما كان قبله، فتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثبوا السلاحَ، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فخرج إليهم فقال:" يا معشرَ المسلمين،

الله الله، أبِدعوى الجاهلية وأنا بين أظهُرِكم، بعد إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا؟ فعرف القوم أنها كيدٌ من عدوهم، فألقوا السلاح وبكَوْا وعانقَ بعضُهم بعضًا"، ثمّ قال تعالى:{ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ} وتتقاتلون{ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ} ويتشبث ويستمسك به{ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ}.

الملخص: -

بيّن تعالى أنّ البيت الحرام هو أوّل بيت وضع للنّاس في الأرض لعبادة الله تعالى، وفيه آيات بينات تدل على ذلك، وفرض تعالى حجَّه على الناس فحجه آدم ومن بعده، ثمّ استنكر تعالى على كفّار أهل الكتاب وصدهم الناس عن سبيله، واتخاذهم سبيلًا معوجًّا عن الإسلام، وحذّر تعالى المؤمنين من طاعة كفّار أهل الكتاب، وأكّد تعالى بأنّه من يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم.

(١٠٢-١٠٩) الأمر بتقوى الله تعالى، وجمع الكلمة، والدعوة للخير، والتحذير من التفرق.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢
وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ

أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ
ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣
وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ
ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ
بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ
وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا
كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ١٠٧ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ
١٠٨ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩

يُنبه الله تعالى المؤمنين لأمور، أوّلها:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ} وذلك بأن يُطَاعَ وَلا يُعْصَى في كل ما أمرٍ ونهي، وَأن يُذْكَرَ فلا يُنْسَى، وَأن يُشْكَرَ فلا يُكْفَرَ، ثانيًا:{ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ} مستسلمون لما شرع لكم من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، ثالثًا:{ وَٱعۡتَصِمُواْ} وتمسّكوا{ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ} أي بكتابه وبسنَّة رسوله ﷺ{ جَمِيعٗا} وكونوا أمّة واحدة، رابعًا:{ وَلَا تَفَرَّقُواْۚ} شيعًا وأحزابًا، ولا تقاتلوا، واعلموا أنّ الله تعالى برّأ رسوله ﷺ منهم إن تفرقوا لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ

يَفْعَلُونَ}﴿١٥٩﴾ ولما ورد في مسند الإمام أحمد عَنْ أَبِي مُوسَى (رلع) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:" إِذَا تَوَجَّهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَهُمَا فِي النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ:" إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ".

خامسًا:{ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ} بعد أن هداكم للإسلام، و{ إِذۡ كُنتُمۡ} قبل إسلامكم قبائل{ أَعۡدَآءٗ} يقتل بعضكم بعضًا{ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ} ودينه{ إِخۡوَٰنٗا} متحابيّن{ وَكُنتُمۡ} في جاهلية و{ عَلَىٰ شَفَا} وشفير وحافّة{ حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ} بكفركم{ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ} بهذا الدين فـ{ كَذَٰلِكَ} وبمثل ذلك المثال{ يُبَيِّنُ} ويُفصّلُ{ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ} وشرائعه وأحكامه{ لَعَلَّكُمۡ} يقينًا{ تَهۡتَدُونَ}.

سادسًا:{ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ} وجماعات{ يَدۡعُونَ} الناس{ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ} والإسلام، وقد حذّر تعالى من كتمان الرسالة فقال في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ}﴿١٥٩﴾ وبيّن تعالى أنّ دعوة الناس للإسلام من أشرف الأعمال وأَجَلِّها لقوله تعالى في سورة فصلت:{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}٣٣ ودعوة النّاس للإسلام سبيل المؤمنين لقوله تعالى في سورة يوسف:{ قُلْ هذه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}١٠٨.

سابعًا:{ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ} والذي يَحُول دون حُلُول عقوبة الله تعالى لما جاء في صحيح الإمام البخاري عن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ (رلع) عن النبيِّ ﷺ قال:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ ولَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ فَتَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ"، ولما ورد في مسند الإمام أحمد عن عدي بن عميرة (رلع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة"، فإن التزموا بكل ذلك فأولئك{ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} في الدنيا والآخرة.

ثامنًا:{ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ} شيعًا وأحزابًا{ وَٱخۡتَلَفُواْ} فاقتتلوا كأهل الكتاب{ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ} والهدى بعدم التفرق، فكفروا بتفرقهم واقتتالهم{ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ}﴿٥٦﴾.

ولهم عذاب عظيم{ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ} بطاعة الله تعالى{ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ} لمخالفتها هدي الله تعالى{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ} فيقال لهم:{ أَكَفَرۡتُم} وعصيتم وتقاتلتم{ بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ} في

جهنّم{ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ} وتتفرقون وتتقاتلون{ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ} باعتصامهم بحبل الله جميعًا{ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ} فـ{ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ} وهديه ووعيده{ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ} والصدق والعدل فلا تقربوها ولا تعتدوها{ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمًا لِّلۡعَٰلَمِينَ} فبيّن لكم شرائعه وأحكامه.

ثمّ حذر الله تعالى فقال:{ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ} ولا يعلم جنود ربك إلّا هو، فله تعالى الخلق والأمر لقوله تعالى في سورة الأعراف:{... أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ}﴿٥٤﴾ فاحذروه{ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ} وتصير{ ٱلۡأُمُورُ} في الدنيا والآخرة.

الملخص: -

يأمر الله تعالى المؤمنين باعتصامهم بدينه وعدم التفرق، وذكّرهم بنعمه عليهم قبل الإسلام، وشرع لهم دعوة الناس للدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحذّرهم من التفرق.

(١١٠-١١٧) تأكيد أنّ أمّة الإسلام هي خير أمة للنّاس، وتهوين شأن كفّار أهل الكتاب، وبيان أنّ منهم مؤمنين، وبيان جزاء الكافرين.

كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ

لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ
ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ
يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ
يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ
ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ
عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ
خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ
أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ
ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾

يؤكِّد تعالى قائلًا:{ كُنتُمْ} يا أمّة محمد ﷺ في قضاء الله تعالى وقدره، وقبل خلق السماوات والأرض، وفي اللوح المحفوظ، وعند جميع الأمم{ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} ومختصر ما ورد في سبب نزول الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان" أن يهودًا قالوا للمسلمين: إنّ ديننا خيرٌ مما تدعوننا إليه" فنزلت.

ومن الآيات الدالة على أنّ هذه الأمّة هي خير أمّة أخرجت للناس أخذ ميثاق جميع النبيين بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره إذا بُعث في قوله تعالى

في سورة آل عمران:{ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}﴿٨١﴾ وأنّه ﷺ أرسل لجميع النّاس، وأُمِروا باتباعه لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ}﴿١٥٨﴾ وجعله الله تعالى أمامًا لجميع الأنبياء والمرسلين ليلة الإسراء والمعراج.

ثمّ بيّن تعالى بعض خصال هذه الأمّة فقال:{ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ} ثانيًا:{ وَتُؤۡمِنُونَ} ويُصدِّقون{ بِٱللَّهِۗ} ثمّ قال تعالى:{ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ} بما أُنزل على محمد ﷺ{ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ} كقوله تعالى في سورة المائدة:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ}﴿٦٥﴾ ثمّ بيّن تعالى فقال:{ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ} بالله ورسوله ﷺ{ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ} المعرضون عن هدي الله تعالى ورسوله ﷺ، ثمّ أكّد تعالى فقال:{ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ} بألسنتهم وأيديهم، وذلك أن رؤساء اليهود عمدوا إلى مؤمنيهم فآذوهم لإسلامهم" كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، ثم قال تعالى:{ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ} منهزمين{ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ} من الله تعالى، فقد{

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ} من الله تعالى{ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ} وقُوتِلوا، وحلّت عيهم لعنة الله لقوله تعالى في سورة المائدة:{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}٧٨ إلّا أن يؤمنوا.

ثمّ استثنى تعالى هزيمتهم فقال:{ إِلَّا بِحَبْلٍ} وعَون{ مِّنَ ٱللَّهِ} لهم كقوله تعالى في سورة النساء:{... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْۚ ...}٩٠ أو{ وَحَبْلٍ} وعون{ مِّنَ ٱلنَّاسِ} لهم{ وَبَآءُو} ورجعوا بكفرهم{ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ} وطبعت{ عَلَيْهِمُ} الذِّلة و{ ٱلْمَسْكَنَةُۚ} والفاقة، وسبب{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ} فكفروا بعيسى بن مريم (عس) وبمحمد ﷺ{ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ} كما قتلوا يحي (عس) وزكريا (عس) وسعوا لقتل عيسى (عس) وخاتم الرسل ﷺ بإلقاء صخرة عليه من بيوتهم، وبسم الشاة، ولـ{ ذَٰلِكَ} استحقُّوا ونالوا تلك العقوبات{ بِمَا عَصَواْ} الله تعالى{ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} على محارمه تعالى وشرائعه.

ثمّ استثنى تعالى من آمن من أهل الكتاب فقال:{ لَيْسُواْ سَوَآءًۗ} كالذين كفروا، فـ{ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ} التي أنزلت على رسوله ﷺ{ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ} قيل بين صلاة المغرب والعشاء كما ورد في بعض التفاسير{ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} مع المصلين، و{ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ

وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ} ثمّ قال تعالى:{ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ} سواءً فعله رسول الله ﷺ أو لم يفعله، كقوله تعالى في سورة المزمل:{... وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرًا وَأَعۡظَمَ أَجۡرًاۚ ...}۝٢٠ ثمّ قال تعالى:{ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ} وفي هذه الآيات رَدّ على زعم يهود قولهم لمن آمن منهم:" لقَدْ خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينًا غيره، وَقَدْ عاهدتم الله بعهدٍ ألّا تَدِينُوا إِلّا بِدينكم" كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان".

ثمّ حذّر الله تعالى الكافرين منهم فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} برسوله ﷺ{ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ} كقوله تعالى في سورة التوبة:{ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ}۝٥٥ ثمّ قال تعالى:{ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ} ثمّ بيّن تعالى مآل نفقاتهم فقال:{ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ} أي برد شديد{ أَصَابَتۡ حَرۡثَ} وزرع{ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ} بمعاصيهم{ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ} وأفسدته{ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ} بتلك العقوبة{ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ} بكفرهم.

الملخص: –

بيّن الله تعالى أنّ أمة محمد ﷺ هي خير أمّة أخرجت للناس، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإيمانهم بالله تعالى، وكان الخير لكفّار أهل الكتاب أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وهوّن تعالى من شأنهم، إلا أن يُعانوا بقوة من الله تعالى ومن الناس، وبيّن تعالى أنّ من أهل الكتاب مؤمنين حقًا، وأمّا من كفر منهم فلن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله تعالى من شيئ.

(١١٨-١٢٠) نهي المسلمين عن اتخاذ بطانة من غيرهم، وتأكيد عداوة من كفّار أهل الكتاب.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾

يستحسن لفهم هذه الآيات معرفة مكونات مجتمع المدينة المنورة قبل الإسلام، فكان يسكنها خمس قبائل، وهم الأوس والخزرج ويهود بني قريظة وبني قينقاع وبني النظير، وسبب تواجد اليهود في المدينة المنورة أنّهم كانوا

يترقبون بعثة الرسول ﷺ ليؤمنوا به ويقاتلوا العرب، وظنّوا أنّ الرسالة ستستمر في ذرية إسحاق (عس)، فلمّا بُعث الرسول ﷺ علموا أنّه من ذرية أسماعيل (عس) فكفروا به إلّا قليل منهم، وآمن الأوس والخزرج، والذين كان يجمعهم مع اليهود مصالح ومودة ومصاهرة كما بيّنت بعض التفاسير، ففضح الله تعالى حقيقة كفرهم ولِيحذرهم المسلمين، وليقدموا مصلحة دينهم على كل المصالح الأخرى.

فنهى الله تعالى المؤمنين عامة، والأوس والخزرج خاصّة فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً} وأخلاء وأصحاب أسراركم وخواصِّكم{ مِّن دُونِكُمۡ} أي من غير المؤمنين، كقوله تعالى في سورة المائدة:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿٥١﴾ ثمّ فصّل تعالى فقال: فهم{ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا} أوّلًا، أي لا يقصِّرون ولا يَتوانَون ولا يَتَوَرَّعون على افساد أمركم، بل يحرصون على أن يُورِثُونَكم الخبال وفساد الرأي والأمر، ومختصر سبب نزول الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان أنّ رؤساء اليهود زينوا لبعض المسلمين ترك دينهم، وكاد بعضهم أن يفعل، فنزلت.

ثانيًا:{ وَدُّواْ} وأحبوا لكم{ مَا عَنِتُّمۡ} أي ما يَشُقُّ ويَتعسَّر عليكم، ثالثًا:{ قَدۡ بَدَتِ} وظهرت{ ٱلۡبَغۡضَآءُ} والكراهية والمُقيت لكم{ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ} وألسنَتِهم،

رابعًا:{ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ} من بُغض ومَقت وكراهية{ أَكۡبَرُۚ} وأعظم من ذلك كُلِّه، فقد كان من كفر من يهود يثيرون الفِتَن بين الأوس والخزرج، وينبشون ماضيهم ليدب القتال بينهم كما قال تعالى في سورة البقرة{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ}﴿١٠٠﴾ ثمّ قال تعالى:{ قَدۡ بَيَّنَّا} ووضحنا{ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ} والدلائل والبراهين التي تنهاكم عن اتخاذهم بطانة{ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ} وتفهمون حِيلهم ومكرهم.

ثمّ قال تعالى: فـ{ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ} أصبحتم{ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ} البتَّة{ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ} أي وتؤمنون بكل ما أَنزَل تعالى من كتاب{ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا} نفاقًا وكذبًا{ وَإِذَا خَلَوۡاْ} وانفردوا ببعضهم{ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ} لشدَّة بغضهم وكراهيتهم لكم{ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ} وحرقة الجوف عليكم على ما هداكم الله تعالى له، وأيّدكم بنصره، فـ{ قُلۡ} وقولوا لهم{ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ} وحُرقة أجوافكم، وسَيُتِم الله نعمته عليكم ويستخلفكم في الأرض ليزدادوا غيظًا وحُرقة{ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} وما تخفيه وتوسوس به، فتجدهم{ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ} ونصر وفتح وغنيمة ودخول النّاس في دينكم{ تَسُؤۡهُمۡ} وتُألمهم وتؤذيهم{ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ} وهزيمة وقتل كيوم أحد{ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ} كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ وَإِن تَصۡبِرُواْ} على ما أمركم الله به، وعلى ما

يصيبكم من أذاهم، وتأليب وتحريض النّاس عليكم{ وَتَتَّقُواْ} الله فيما أمركم الله به ونهاكم عنه{ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ} كقوله تعالى في سورة الأنفال:{ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ}﴿١٨﴾ وسيستدرجهم الله تعالى ويكيد لهم كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ}﴿١٨٣﴾ فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ} من مكر وفساد وصدّ عن سبيله تعالى{ مُحِيطٌ} بخبثهم لا يغيب عنه شيء، وسننه وجزاءاته تعالى ماضية فيهم في الدنيا والآخرة لا يُعجزه شيئ، فله تعالى جنود السماوات والأرض.

الملخص: -

ينهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ الكافرين برسول الله ﷺ بطانة وخواصَّ لهم، وأكَّد تعالى حرصهم على أن يُورِثُوا المؤمنين الخبال وفساد الرأي والأمر، وما يشق عليكم، وقد ظهرت البغضاء بتأجيج العداوات بينكم، وما تخفي صدورهم أكبر، فتجدنهم يَدَّعُون الإيمان نفاقا، وتحترق قلوبهم ويشتد غيظهم لما يمسسكم من حسنة ونصر، ويفرحون لما يصيبكم من سيئة وقتل، والله محيط بمكرهم، وسننه تعالى قائمة فيهم في الدنيا والآخرة.

(١٢١-١٢٩) ضرب المثل لموالاته تعالى للمؤمنين يوم أحد، وتذكيرهم بنصره تعالى يوم بدر.

وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾

يذكِّر الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بموالاته لهم، ويضرب المثل لما كان يوم أُحد فيقول:{ وَإِذۡ} أي واذكر يوم{ غَدَوۡتَ} وخرجت صباحًا{ مِنۡ أَهۡلِكَ} أي عن أهله{ تُبَوِّئُ} وتُنزِل{ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} أي الجيش{ مَقَٰعِدَ} ومراكز{ لِلۡقِتَالِۗ} ومن ذلك أنّه ﷺ جعل الرُّماة على الجبل، وأوصّاهم بالثبات ومنع المشركين من أن يأتوا من خلفهم{ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} لما يكون في السماوات والأرض، ولما دار في تلك المعركة{ إِذۡ} أي ولمّا{ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ}

وهم بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار{ أَن تَفۡشَلَا} بالرجوع عن النبي ﷺ، لمّا خذل رأس المنافقين عبدالله بن أبي ابن سلول رسول الله ﷺ فرجع بثلاثمائة من الجيش إلى المدينة المنورة، وقال كذِبَا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم{ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ} أي ولي الطائفتين المؤمنتين فثبتهما، ولم يتركوا مراكزهما{ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ} وليثق{ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ}.

ثمّ ذكَّرهم تعالى بتأييده ونصره يوم بدر فقال:{ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ} إي قلّة في العدد والعُدة، والذين كان عددهم ثلاثمائة وثلاثة أو أربعة عشر، مقابل ألفًا من قريش{ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} دائمًا وأبدًا{ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ} على ما منَّ به عليكم من تأييد ونصر{ إِذۡ} أي ولمّا كنت{ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ} مُبشّرًا لهم بالنصر{ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ} لهزيمة عدوكم{ أَن يُمِدَّكُمۡ} ويُعينكم{ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ} لنصركم{ بَلَىٰٓۚ} وأكثر من ذلك فـ{ إِن تَصۡبِرُواْ} عند ملاقاة العدو في أي زمان ومكان{ وَتَتَّقُواْ} في دينكم وعباداتكم وأخلاقكم ومعاملاتكم{ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ} وسُرعتهم{ هَٰذَا} وحماسهم{ يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ} ليُذِيقُوا أعدائكم النكال لقوله تعالى في سورة الأنفال:{ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴿١٢﴾} ثمّ قال تعالى:{ وَمَا جَعَلَهُ} أي العون والتأييد من{ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ} أي بالله تعالى

وبالمدد من الملائكة، ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَمَا ٱلنَّصۡرُ} دائمًا وأبدًا{ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ} الذي لا يُغلب في اسم من أسمائه ولا في صفة من صفاته{ ٱلۡحَكِيمِ} في كل شأنه تعالى، وفيما يقضي ويُمضي من قَدَر، فذلك العون والولاء من الله{ لِيَقۡطَعَ} ويُهلك{ طَرَفًا} وطائفة{ مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ} كما قُتِل صناديد قريش ورؤسائهم وقادتهم يوم بدر{ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ} ويقمَعَهُم ويكفّ أذاهم{ فَيَنقَلِبُواْ} ويرجعوا{ خَآئِبِينَ} مدحورين مخذولين كيوم الأحزاب.

ثمّ قال تعالى:{ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ} والحُكم في{ شَيۡءٌ} من عبادي كما ورد في تفسير الطبري، ومختصر ما ورد في سبب نزول الآية في تفسير عبدالرزاق أَنَّ رَبَاعِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُصِيبَتْ يَوْمَ أُحُدٍ(والرباعية هي السن المجاورة للثنايا التي في مقدمة الفم) وشَجٌّ فِي جَبْهَتِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ:" كَيْفَ صَلُحَ قَوْمٌ صَنَعُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ"؟ فنزلت، ثمّ قال تعالى:{ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ} بعلمه وعدله وحكمته تعالى{ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ} بإعراضهم وعصيانهم واستكبارهم{ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ} بكفرهم بالله وبرسوله ﷺ وعداوتهم والمؤمنين.

ثمّ قال تعالى:{ وَلِلَّهِ} تعالى مُلك{ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ} وما بينهما فـ{ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ} بحكمته وعلمه وعدله، ولا يظلم ربك أحدًا{ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ} بعدله وعلمه وحكمته، وما ربك بظلام للعبيد{ وَٱللَّهُ غَفُورٌ} لمن تاب وأناب وغَيَّر ما بنفسه لقوله تعالى في سورة الرعد:{... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ

مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ...}﴿١١﴾ وهو تعالى{ رَّحِيمٌ} بعباده، وبالمؤمنين رؤوف رحيم.

الملخص: -

يذكِّرُ تعالى بموالاته للمؤمنين وتثبيته لهم، يوم أنزل الرسول ﷺ الجيش مقاعد للقتال يوم أُحُد، لمّا أرادت طائفتان من الأنصار الرجوع مع رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول بثلث الجيش إلى المدينة المنورة، وبنصره تعالى يوم بدر ومَدَده بالملائكة، ووعده تعالى مضاعفة عددهم لخمسة آلاف إن صبروا واتقوا، ليُهلك طرفًا من الذين كفروا كيوم بدر، أو يُخزيهم فيرجعوا خائبين كيوم الأحزاب، مبيّنًا أنّ أمر العباد له وحده، فإن شاء تاب عليهم أو يعذبهم، بعلمه وعدله وحكمته وهو الغفور الرحيم.

(١٣٠-١٣٦) النهي عن استحلال الربا، والأمر بطاعة الله ورسوله ﷺ، والمسارعة في الاستغفار، وبيان بعض صفات وجزاء المتقين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن

يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ
جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ
وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦

ينهى تعالى المؤمنين عن استحلال أموال الربا وأكل ثمنه فيقول:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ} وتستحلوه{ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ} أي الزيادة المتكررة عند تأجل أجل السداد في كل مرة{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} في كل ما أمرتم به ونهيتم عنه من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ لَعَلَّكُمۡ} جزمًا{ تُفۡلِحُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}٦٤ ثمّ قال تعالى:{ وَٱتَّقُواْ} عذاب{ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ} اعدادًا رهيبًا وشديدًا{ لِلۡكَٰفِرِينَ} فوقودها النّاس والحجارة لقوله تعالى في سورة التحريم:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ}٦ وفيها سلسلة من أصناف العذاب لقوله تعالى في سورة الحاقة:{ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ}٣٢ ومن شجرة تنبت في أصل الجحيم طعامهم الزقوم لقوله تعالى في سورة الصافات:{ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ

﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾
طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا
ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى
ٱلۡجَحِيمِ}﴿٦٨﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ} في كل ما أمرتم به ونهيتم عنه{ لَعَلَّكُمۡ} يقيناً{ تُرۡحَمُونَ} إن صدقتم، وسوف تُمتحنون لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ}﴿٤﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَسَارِعُوٓاْ} وبادروا{ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ} إن زللتم وعصيتم{ وَجَنَّةٍ} أي وسارعوا إلى جنّةٍ{ عَرۡضُهَا} بعرض{ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ} أمّا عِظم مُلك الله تعالى فلا يعلمه إلّا الله، فالمسافة بين شحمة أذن مَلَك من ملائكة حملة العرش الثمانية إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، لما ورد في سنن أبي داوود عن جابر بن عبدالله (رلع) عن النبيّ ﷺ قال:" أُذِنَ لي أن أُحدِّثَ عن مَلَكٍ مِنْ ملائكةِ الله من حَمَلة العرش: إن ما بين شَحمةِ أذُنه إلى عاتِقِه مَسيرةُ سبعمائةِ عام"، وتلك المسافة تساوي ستة عشرة وأربعة من عشرة (١٦,٤) مليون

كيلومتر تقريبًا، مقدرة بِمَسِير الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بمسيرةِ ثمانية (٨) إيّام، والتي تعادل ثلاثمائة وأربعون (٣٤٠) كيلومتر تقريبًا، والسنة الهجرية مُقدرة بخمسمائة وخمسون (٥٥٠) يومًا.

والجنّة{ أُعِدَّتْ} بما لا يخطر على قلب بشر لقوله تعالى في سورة السجدة:{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿١٧﴾ ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رلع) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ:" أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ"، وهي{ لِلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ} في سبيل إقامة الدين في الأرض{ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ} أي عند اليسر والعُسر كصفة أولى، ثانيًا:{ وَٱلْكَٰظِمِينَ} المُمسِكين عن{ ٱلْغَيْظَ} والغضب، لما له من عِظم الأجر، لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ (رلع) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ"، ثالثًا:{ وَٱلْعَافِينَ عَنِ} زلات{ ٱلنَّاسِۗ} إذا جهلوا{ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} فيؤتيهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ}﴿١٤٨﴾ رابعًا:{ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً} أي قُبحً أو شناعة من الذنوب والمعاصي{ أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ}

بأعمال دون الفاحشة كسوء الخلق{ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ} وندموا{ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ} وخطاياهم{ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ} لما ورد في مسند أبي داوود عن أبي بَكْرٍ (رلع) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ، إِلَّا غَفَرَ لَهُ"، خامسًا:{ وَلَمۡ يُصِرُّواْ} ويُقيموا عمدًا{ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} أنها معصية، فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم} وثوابهم{ مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ} عن ذنوبهم ومعاصيهم في الدنيا، وتُجب عنهم عقوبة الدنيا، وتمحى من صحائف أعمالهم{ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ} في الآخرة{ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ} وكقوله تعالى في سورة الفتح:{ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا}٥.

الملخص: -

ينهى تعالى عن استحلال أموال الربا، ويأمر بتقواه، واتقاء عذاب النّار المعدة للكافرين اعدادًا رهيبًا، والأمر بالمسارعة لمغفرةٍ وجنّة عرضها السماوات والأرض، والتي أعدت اعداد مبهرًا للمتقين، فهم الذين ينفقون في سبيل إقامة دين الله في العسر واليسر، والمُمسِكِين عن الغضب، والمتجاوزين عن إساءات الغير، والمستغفرين من

الفواحش وظلمهم لأنفسهم من غير إصرار، فأولئك لهم مغفرة من ذنوبهم في الدنيا وخلود في جنّات النعيم.

(١٣٧-١٤٥) الأمر بالاتعاظ بعقوبة المكذبين، وبيان أنّ القرآن هدًى للمتقين، والأمر بالصبر، وبيان أنّ الابتلاء من سننه تعالى لأهل الإيمان.

قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا
تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ
ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن
قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ
مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ
عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۚ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن
تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن
يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

يوجِّه تعالى المؤمنين للاتعاظ بما حل بمن كفر فيقول:{ قَدۡ خَلَتۡ} ومضت{ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ} وجزاءات فيمن آمن ومن كفر في الدنيا{ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ} لتتعظوا{ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ} وجزاء{ ٱلۡمُكَذِّبِينَ} ففي{ هَٰذَا} القرآن{ بَيَانٞ} واضح{ لِّلنَّاسِ} فأهلك تعالى الكافرين في الدنيا كما قال في سورة الفجر:{ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ}١٤ ويجعل تعالى نجاة المؤمنين حقًّا عليه، لقوله تعالى في سورة يونس:{ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ١٠٢ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ}١٠٣ ثمّ قال تعالى:{ وَهُدٗى} أي وفي القرآن هدًى من الضلال{ وَمَوۡعِظَةٞ} بما حلّ بمن قبلكم{ لِّلۡمُتَّقِينَ}.

ثمّ أمر تعالى فقال:{ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ} بما أصبكم يوم أُحد{ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ} في بدر وأحد، كقوله تعالى في سورة النساء:{ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}١٠٤ فقتلاكم في الجنّة وقتلاهم في النّار{ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} فـ{ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ} ويصبكم{ قَرۡحٞ} وقتل

وجراح يوم أُحد{ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ} الكافرين من قريش{ قَرْحٌ} وقتل وجراح وأسر{ مِّثْلُهُۥ} يوم بدر{ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ} دّول نصرٌ وهزيمة{ نُدَاوِلُهَا} ونقلبها{ بَيْنَ ٱلنَّاسِ} بعلمه تعالى وعدله وحكمته، ولا يظلم ربك أحدًا{ وَلِيَعْلَمَ} أي ولأجل أن يُرِيَ ويُظهر{ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} حقًا وصدقًا، أولًا{ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ} أي لينالوا الشهادة في الدنيا، وليكونوا شهداء على النّاس يوم القيامة، ثانيًا{ وَٱللَّهُ} من ثوابته{ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ} وإن انّنتصروا، فلا يهديهم، ولكن يمهلهم ويستدرجهم، ولعلّهم يؤمنون.

ثمّ قال تعالى:{ وَلِيُمَحِّصَ} وليختبر{ ٱللَّهُ} إيمان{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} ويظهر جليًا عُلُو إيمانهم وسُمُو درجاتهم، ثالثًا{ وَيَمْحَقَ} ويُفني{ ٱلْكَٰفِرِينَ} المستكبرين، رابعًا{ أَمْ حَسِبْتُمْ} وظننتم{ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ} حقيقة ومكانة{ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ} بأموالهم وأنفسهم{ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ} في البأساء والضرّاء وحين البأس{ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ} والشهادة في سبيله تعالى{ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ} في غزوة بدر{ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ} يوم أُحد بأعينكم{ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} وتبصرون، ومختصر ما ورد في سبب نزول الآية ما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان" أنّه لمّا أخبر اللَّه تعالى عن قتلى بدر وما هُمْ فِيهِ من الخير، قالُوا: يا نَبِيّ اللَّه أرنا يومًا كيوم بدر، فأراهم اللَّه تعالى يوم أحد"، وانهزم المنهزمون".

ثم أكّد تعالى فقال:{ وَمَا مُحَمَّدٌ} ﷺ{ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ} ومضت{ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ} الكثير{ أَفَإِيْن} أي وهل إن{ مَّاتَ} في أجله المسمى عند الله تعالى{ أَوْ قُتِلَ} في معركة{ ٱنقَلَبْتُمْ} كفّارًا{ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ} من بعده{ وَمَن يَنقَلِبْ} كافرًا مرتدًا خائبًا{ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ} وما يضر إلّا نفسه بكفره في الدنيا والآخرة{ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ} المؤمنين الصادقين جزاءً حسنًا في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}﴿٦٤﴾.

ثمّ تيقنوا أنّه{ وَمَا كَانَ} ولن يكون{ لِنَفْسٍ} من إنس أو جنّ أو حيوان أو نبات{ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ} أينما كانت{ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ} عند الله تعالى{ وَمَن} كان{ يُرِدْ ثَوَابَ} وأجر وغنيمة الحياة{ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا} وما له في الآخرة من نصيب{ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ} وسعى لها سعيها{ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ} في الدنيا والآخرة{ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ} كقوله تعالى في سورة الإسراء:{ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا}﴿١٩﴾.

الملخص: –

يوجِّه تعالى المؤمنين للاعتبار في سننه التي أمضاها في الناس، وأكدّ أنّ في القرآن هدًى وموعظة للمتقين، وأمرهم أن لا يَضعُفوا ولا يحزنوا عند نزول المصائب، فكما أصابهم قتلٌ وجراح يوم أُحد، فقد أصاب المشركين مثله يوم بدر، وهم الأرفع والأسمى في ميزانه تعالى، فقتلا المؤمنين في الجنّة، وقتلا الكافرين في النار، وهو تعالى الجاعل الأيام دُول، ليعلي شأن المؤمنين والصابرين، ويتخذ منهم شهداء في سبيله وعلى خلقه يوم القيامة، وليمحق الكافرين ويهلكهم، ثمّ بيّن تعالى أنّ الرسول ﷺ بشر يدركه الموت والقتل، وعليهم الثبات على الدين، وأنّه لن تموت نفس إلّا بإذن الله تعالى، المانح لثواب الدنيا دون الآخرة، والوهاب ثوابه وفضله لمن أراد في الدارين.

(١٤٦-١٥٢) الحث على الصبر والدعاء عند ملاقاة العدو، والتحذير من طاعته الكافرين، وتأكيد نصره تعالى للمؤمنين.

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ
أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ
يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ
عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ

﴿١٥٠﴾ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ
سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم
مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ
ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ
عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

لشد أزر المسلمين ضرب الله تعالى المثل لأتباع كثير من النبيين فقال:{ وَكَأَيِّن} أي وكونوا ككثير{ مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ} مُتَّقون مُخلصون{ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ} ولا فتروا{ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} من جراح وقتل{ وَمَا ضَعُفُواْ} وما فترت هِمَمَهم{ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ} وما تراخوا وما استسلموا{ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ} والذين لهم البشرى لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ}﴿١٥٥﴾ وهم الصادقون المتقون لقوله تعالى في سورة البقرة:{... وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ}﴿١٧٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ} ودعائهم عند لقاء عدوهم{ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا} خطأنا وعمدنا{ وَإِسۡرَافَنَا} وإفراطنا{ فِيٓ أَمۡرِنَا} من لَهوٍ أو مباحات{ وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا} عند لقاء العدو{ وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} كما وعدتنا{

فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا} من نصر وتمكين بسننه تعالى في رسله والمؤمنين لقوله تعالى في سورة غافر:{ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ}﴿٥١﴾ كذلك{ وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ} والنعيم المقيم{ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} كقوله تعالى في سورة المائدة:{ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}﴿٨٥﴾ ويكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون لقوله تعالى في سورة الزمر:{ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}﴿٣٥﴾.

ثمّ عمَّم تعالى الأمر بعدم طاعة غير المؤمنين فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} برسوله ﷺ ودينكم، كاليهود والنصارى والمشركين ومن شاكلهم{ يَرُدُّوكُمۡ} كُفّارًا{ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ} بعد إيمانكم{ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ} في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى في سورة البقرة{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ}﴿١٠٠﴾ فليس لكم حاجةً في طاعة أحد{ بَلِ} فليَكن{ ٱللَّهُ} هو{ مَوۡلَىٰكُمۡۖ} الحق{ وَهُوَ خَيۡرُ} وأحسن أفضل{ ٱلنَّٰصِرِينَ}.

ثمّ ضرب تعالى مثلًا لموالاته ونصره فقال:{ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ} عند قتالكم{ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ} أي عقوبة لهم بسبب شركهم بالله{ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ} ولا حُجة ولا دليل ولا برهان{ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ} في الآخرة{ وَبِئْسَ مَثْوَى} ومأوى وملاذ{ ٱلظَّٰلِمِينَ} وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير الطبري" لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أُحُد متوجهين نحو مكة ندموا فقالوا: بئس ما صنعتم، إنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلا الشرير تركتموهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فقذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب، فانهزموا.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ} بنصركم في أُحُد في بادئ الأمر{ إِذْ تَحُسُّونَهُم} وتذِيقوهم الهزيمة{ بِإِذْنِهِۦۖ} تعالى، ولا يكون شيئًا إلّا بإذنه{ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ} في الثبات على الجبل{ وَتَنَٰزَعْتُمْ} بالنزول لجمع الغنيمة و{ فِي ٱلْأَمْرِ} الذي وكِّلتم به{ وَعَصَيْتُم} الرسول ﷺ{ مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ} من النصر على عدوكم، بسبب أنّ{ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا} والغنيمة{ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَٰخِرَةَۚ} وهم الذين رابطوا على الجبل حتى استشهدوا{ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ} لمّا اردتم متابعتهم إلى مكة بعد انتصارهم{ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ} وليختبركم مرة أخرى{ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ} معصية رسولكم ﷺ{ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ}

فلم يستأصلوكم بعد هزيمتكم، وليعلم المؤمنين أنه لا نصر مع مخالفة الرسول ﷺ.

الملخص: -

لشد أزر المسلمين ضرب تعالى المثل لثبات كثير من المؤمنين مع أنبيائهم، وبيّن أنهم لم يعجزوا ولم يضعفوا ولم يذلوا، بل يدعون ربهم غفران ذنوبهم وإسرافهم، وأن يثبت أقدامهم وينصرهم على القوم الكافرين، فمنحهم تعالى ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وذلك من سنن الله تعالى لهم، وبيّن تعالى أنّ طاعة الكافرين مردها إلى الكفر والخسران في الدارين، بل فليجعلوا الله تعالى مولاهم الحقّ، فهو الذي يلقي في قلوب عدوهم الرعب، ولقد نصرهم تعالى في أُحُد أوّل الأمر، ثمّ فشلوا لمّا عصى بعضهم الرسول ﷺ وتنازعوا في جمع الغنيمة وحب الدنيا، ثمّ صرفهم عن متابعة الكافرين وعفا عنهم من فضله.

(١٥٣-١٥٥) الإشارة إلى بعض ما دار في غزوة أُحُد والغاية منها.

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ
غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ
يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخْفُونَ فِىٓ

أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ
قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ
وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ١٥٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥

لا زال الحديث عن غزوة أُحُد، حيث يمكن تقسيم جيش المسلمين إلى أربع طوائف، الطائفة الأولى طائف الرسول ﷺ والمؤمنين الصادقين، وكذلك الذين لم ينزلوا من الجبل، والطائفة الثانية هم الذين نزلوا عن الجبل لأجل الغنيمة، والطائفة الثالثة هي التي فرت عند الهزيمة إلى المدينة المنورة، والطائفة الرابعة هي طائفة المنافقين التي رجعت مع عبدالله بن أبي بن سلول قبل المعركة.

ومختصر وصية الرسول ﷺ للذين على الجبل كما ورد في تفسير الطبري" أنّ الرسول ﷺ قال لعبدالله بن جبير وهو أمير الرماة: انضَح عنا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، وقال له: أُثبت مكانك لا نؤتيَّن من قبلك"، وقال للرماة:" اثبتوا مكانكم، ولا تبرحوا وإن رأيتمونا قد هَزَمناهم، فإنّا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم".

فقصّ الله تعالى بعض ما دار في تلك الغزوة فقال عن الطائفة التي فرت عند الهزيمة:{ إِذۡ تُصۡعِدُونَ} في الوادي هاربين{ وَلَا تَلۡوُۥنَ

عَلَىٰٓ أَحَدٖ} ولا تلتفتون لنداء{ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ} ويناديكم مع من بقي معه من المؤمنين الصادقين من الطائفة الأولى، وهو ﷺ{ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ} أي من ورائكم{ فَأَثَٰبَكُمۡ} بفراركم عقوبة{ غَمَّۢا} وكرب وحزن{ بِغَمّٖ} أي بالقتل والهزيمة لأصحابكم، فبيّن لكم ذلك{ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ} من نصر وغنية{ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ} من كرب وحزن وقتل وهزيمة{ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ} فاحذروا مخالفة ربكم ومعصية رسولكم ﷺ.

ثمّ قال تعالى:{ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم} أي على الرسول ﷺ والمؤمنين الصادقين، والطائفة الثالثة التي فرّت{ مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ} أي غمّ الهزيمة والقتل{ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا} ليذُهب عنهم غمّهم{ يَغۡشَىٰ} ويُصيب ويُظل{ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ} من أهل الإخلاص واليقين، فاستراحت أجسادكم واطمأنت قلوبهم{ وَطَآئِفَةٞ} لم تَنل ذلك الأمن، عقوبةً لهم بسبب أنهم{ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ} نجاة{ أَنفُسُهُمۡ} فانسحبوا قبل المعركة مع رأس المنافقين، وهم الطائفة الرابعة، وبسبب أنهم{ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ} أي أنّ الله تعالى لن ينصرهم{ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ} وظنّ الكفّار بالله تعالى، فـ{ يَقُولُونَ هَل لَّنَا} أي ليس لنا{ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ} فـ{ قُلۡ} لهم{ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ} كقوله تعالى في سورة الأعراف:{... أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ}﴿٥٤﴾ والحقيقة أنهم{ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ} فـ{ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ} لبقينا في المدينة ولم نخرج معك عند

أُحُد، و{ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ} أي وما قُتل أصحابنا{ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ} في المدينة المنورة كما أردتم{ لَبَرَزَ} ولظَهر{ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ} أي لقتلوا في فُرشهم{ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ} وليمتحن حقيقة{ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ} ويظهر حقيقة{ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} وما تُخفيه وما تتحدث به.

ثمّ أكّد تعالى فقال عن الطائفة الثالثة التي فرّت:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ} وانهزموا هربًا{ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ} في أُحُد{ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ} وأوقعهم في المعصية والهرب{ بِبَعۡضِ} أي بسبب بعض{ مَا كَسَبُواْۖ} من الذنوب{ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} لا يعاجل بالعقوبة في الدنيا.

الملخص: -

يُذكِّر تعالى بما دار يوم أُحُد، يوم فرّت طائفة من المؤمنين إلى المدينة عند الهزيمة، وعدم استجابتهم لنداء الرسول ﷺ، فأنزل تعالى عليهم الغم، وأنزل على رسول ﷺ والمؤمنين النعاس فاستراحت أنفسهم وقلوبهم، أما طائفة المنافقين الذين همتهم نجاة أنفسهم وانسحبوا قبل المعركة، بسبب ما يخفون ما في أنفسهم من الشكّ في وعد الله تعالى، والخوف من القتل، وبيّن تعالى أنّ الطائفة التي تولت من المؤمنين قد أوقعها الشيطان في المعصية بسبب بعض ذنوبهم، ولقد عفا الله عنهم.

(١٥٦-١٦٠) النهي عن التأسي بأقوال وأفعال الكافرين، والإشارة إلى مآل المؤمنين، والحث على مشاورتهم، وتأكيد أنّ النصر من عنده تعالى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠

ينهى الله تعالى المؤمنين عن التأسي بأعمال الكافرين في أقوالهم وأفعالهم فيقول:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} بالله تعالى وبرسوله ﷺ وما أُنزل عليه، وهم المنافقون من اليهود{ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ} المنافقين في شأن طائفة أخرى{ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ} لكسب أرزاقهم أو تجارتهم{ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى} مجاهدين مع المؤمنين لإقامة الدين في الأرض، ثمّ ماتوا في سبيل الله، قالوا:{ لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا} وعلى ديننا،

وأخذوا برأينا ونُصحنا{ مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ} بعيدًا عن ديارهم، ولكن{ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ} أي ليجعل الله مقولتهم في الفئة التي آمنت{ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ} في الدنيا ويوم القيامة، عقوبةً لهم بكفرهم{ وَٱللَّهُ} هو الذي{ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ} في الأجل المسمى عنده{ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ} لا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض، كما وردت المعاني في تفسير الطبري حيث قال: أنها نزلت في رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول.

ثمّ طمئن تعالى المؤمنين فقال:{ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ} في سبيله{ لَمَغۡفِرَةٞ} أي ستنالون مغفرة{ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ} وبشرى في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}٦٤ كما ولهم{ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ} أي خيرًا مما يجمعه النّاس والمنافقون من زينة الحياة الدنيا، فلا تخافوا من الموت ولا القتل في سبيل الله تعالى.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَئِن مُّتُّمۡ} معشر المؤمنين{ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ} الذي تؤمنون به وبرحمته{ تُحۡشَرُونَ} يوم القيامة، وليزيدهم من فضله لقوله تعالى في سورة الشورى:{ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ}٢٦ ولهم

الحياة الطيبة في الدنيا ويجزيهم تعالى بأحسن ما كانوا يعملون لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾.

ثمّ بين تعالى منّته على المؤمنين فقال:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ} أي فبالرحمة التي استودعها الله قلب رسوله ﷺ{ لِنتَ لَهُمْ ۖ} فلانت وطاعت قلوبهم{ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا} جافيًا{ غَلِيظَ} قاسي{ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ} ونفروا وتفرّقوا{ مِنْ حَوْلِكَ ۖ} فلازموك واطمأنت قلوبهم لك{ فَٱعْفُ عَنْهُمْ} واصفح وتسامح عن زلتهم، لنزولهم عن الجبل وفرارهم بعضهم إلى المدينة المنورة يوم أحد{ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ} الله ما صدر منهم ليتوب الله عليهم ويرحمهم لقوله تعالى في سورة النساء:{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا}﴿٦٤﴾ { وَشَاوِرْهُمْ} مستقبلًا{ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ} الذي تريد، لتستطيب نفوسهم{ فَإِذَا عَزَمْتَ} بعد ذلك على فعل شيء{ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ} بنصره وتوفيقه ولا تتردد{ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ} المعتمدين عليه، ثمّ تيقنوا أنّه{ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ} على وجه الأرض{ وَإِن يَخْذُلْكُمْ} ويتخلى عنكم{ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ}.

الملخص: –

ينهى تعالى المؤمنين أن يتأسوا بالكافرين والمنافقين الذين يقولون لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو غزوا في سبيل الله: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، ولكن ليجعل الله تعالى مقولتهم حسرة عليهم وفي قلوبهم في الدنيا ويوم القيامة، وهو تعالى الذي يحي ويميت كلٌ في أجله المسمى، ولإن كان ذلك فلمغفرة ورحمة من الله خيرٌ مما يجمعه الناس في الدنيا، وبرحمة الله لنت لهم، فَاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر لتطمئن قلوبهم، فإذا عزمت فتوكل على الله، ولإن نصركم تعالى فلا غالب لكم، وإن يَخذُلكم فلا ناصرَ لكم من دونه، فتوكلوا واعتمد على الله.

(١٦١–١٦٨) بيان شِيَم الرسل، وأنّ من اتبع رضوان الله ليس كمن أعرض، وتعظيم شأن الرسول، وبيان العِبَر من هزيمة أُحُد، ودَحض المنافقين.

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦١ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ
بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ
وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ
رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ

قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ
ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ
لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾
ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ
ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾

بيّن الله تعالى جانبًا من شيم رسله الذين اصطفاهم للنّاس فقال:{ وَمَا كَانَ} ولن يكون{ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ} فليس ذلك من خصالهم، ولا من شِيَمهم، ولا من أخلاقهم، فقد اصطفاهم تعالى بسابق علمه قبل خلق السماوات والأرض، كما اصطفى رسوله ﷺ، وذلك لما ورد في سنن الإمام أحمد بن حنبل عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رلع) قَالَ:" إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ". وبذلك المعيار اختار رُسُلَه، فهم صفوة الخلق للناس، ومن ادعى غير ذلك فيهم فقد كذَّب الله تعالى.

ثمّ قال تعالى{ وَمَن يَغۡلُلۡ} من النّاس فيستأثر لنفسه شيئًا من الغنيمة قبل توزيعها{ يَأۡتِ} في صحف أعماله{ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ} كما ورد في موطأ الإمام مالك عن أبي هريرة (رلع) قال: بَيْنَمَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ فَأَصَابَهُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا"،{ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ} نقيرًا ولا فتيلًا ولا قطميرًا.

ثمّ قال تعالى:{ أَفَمَنِ} أي وهل يكون جزاء من{ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ} بِفعلِ ما أُمر به، وترك ما نُهي عنه{ كَمَنۢ بَآءَ} ورجع{ بِسَخَطٍ} وغضب{ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ} وملجئه{ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ} الذي صار إليه، فـ{ هُمۡ} أي الذين اتبعوا رضوان الله وباءوا بسخطه{ دَرَجَٰتٌ} في الجنان، ودركات في النيران{ عِندَ ٱللَّهِۗ} يوم القيامة{ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ} لا تخفى عليه خافية.

ثمّ قال تعالى:{ لَقَدۡ مَنَّ} وأنعم وجاد{ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} بِنعمة عظيمة{ إِذۡ} أي يوم{ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا} عربيًا لقوله تعالى في سورة الشعراء:{ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ}﴿١٩٥﴾ تصديقًا لقوله تعالى في سورة ابراهيم:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ...}﴿٤﴾ و{ مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ} أي

يعرفونه كما يعرفون أنفسهم{ يَتۡلُواْ} ويُرتل{ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ} ومعجزاته وبراهينه وأحكامه{ وَيُزَكِّيهِمۡ} ويسموا ويُطهِّر عقيدتِهم وعبادتِهم وأخلاقِهم ومعاملاتِهم{ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ} أي القرآن وأحكامه، والكتابة والقراءة{ وَٱلۡحِكۡمَةَ} من التشريع، والسُنّة، والعِبَر والمواعظ من قصص الأنبياء{ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ} بعثته ﷺ{ لَفِي ضَلَٰلٖ} وضياع وشرك{ مُّبِينٍ} واضح جلي.

ثمّ استنكر تعالى فقال:{ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ} وهزيمة يوم أُحُد{ قَدۡ أَصَبۡتُم} غنيمة{ مِّثۡلَيۡهَا} فأسرتم، ولم يكن لهم أسرى، وأخذتم فداء الأسرى، وقتلتم منهم سبعون يوم بدر، وقتل منكم سبعون يوم أُحُد{ قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ} وكيف يكون{ هَٰذَاۖ} الخذلان، وقد وُعِدنا بالنصر، فـ{ قُلۡ هُوَ} أي القتل والهزيمة يوم أُحُد{ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ} إذ عصيتم رسولكم ﷺ، وتركتم الجبل، واستعجلتم الغنيمة، واعلموا{ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات{ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ} واعلموا أنّ ما أصابكم{ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ} يوم أُحُد{ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ} ولا يكون شيء في الكون إلّا بإذنه{ وَلِيَعۡلَمَ} ولِيَتَبيّن{ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} حقًا وصدقًا أولًا{ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ} منهم وتظهر حقيقتهم ثانيًا، إذ{ وَقِيلَ لَهُمۡ} وأُخذ العهد عليهم{ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} بالعهد الذي تَعاهدتُّم مع الرسول ﷺ والمؤمنين{ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ} العدو عن المدينة، فانسحبوا قبل المعركة، و{

قَالُواْ} نفاقًا وكذبًا:{ لَوۡ نَعۡلَمُ} أنّه سيكون{ قِتَالٗا} ضد المشركين{ لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ} فـ{ هُمۡ} بفعلهم ونِفاقِهم وكَذِبِهم{ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ} فهم{ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم} وألسنَتِهم{ مَّا لَيۡسَ} حقيقةً{ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ} ويُضمِرون، فهم{ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ} المنافقين{ وَقَعَدُواْ} في المدينة المنورة{ لَوۡ أَطَاعُونَا} يعنون الرسول ﷺ والمؤمنين، ولم يخرجوا منها{ مَا قُتِلُواْۗ} في غزوة أُحُد، فـ{ قُلۡ} لهم{ فَٱدۡرَءُواْ} وامنعوا{ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ} في الأجل المسمى عند الله{ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} بما تدَّعون.

الملخص: -

ما كان ولن يكون من خلق نبي اصطفاه تعالى للناس أن يأخذ لنفسه شيئًا من الغنيمة قبل توزيعها، ومن يغلل من النّاس يأتي يوم القيامة بإثم غُلوله، ثم توفّى كل نفس ما كسبت، وليس من اتبع رضوان الله كمن نال غضبه، ولقد منّ وأنعم الله تعالى على المؤمنين ببعثة الرسول ﷺ، والذي هو من أنفسهم، يتلوا عليهم آياته ويُزكي دينهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة والعِبَر ممن سلف بعد أن كانوا في ضلالٍ واضح مُبين، أمّا سبب ما كان يوم أُحُد فمخالفتهم أمر رسولهم ﷺ، وفرار بعضهم، واستعجالهم الغنية، وليتميّز المؤمنين عن المنافقين، العاجزين عن ردّ الموت عن أنفسهم في الأجل المسمى عند الله.

(١٦٩-١٧٥) بيان نعيم الشهداء، وخروج الرسول إلى بدر الصغرى بعد غزوة أحد، وتأكيد أنّ الشيطان يخوف أوليائه.

وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ
﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم
مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ
ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ
وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ
﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ
إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ
يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

بَشّر الله تعالى الرسول ﷺ والمؤمنين فقال:{ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} يوم أُحُد وغيره، ونالوا الشهادة منه تعالى{ أَمۡوَٰتَۢاۚ} كبقيّة الأموات{ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ} ولما ورد عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في جوف طيرٍ خضر، تَرِد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طِيب مأكلِهم ومشربِهم ومقِيلِهم، قالوا: من يُبَلِّغ إخواننا أنا أحياء في الجنة

نُرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يَنكُلوا عن الحرب؟ فقال الله تبارك وتعالى: أنا أبلغهم عنكم، وأنزل الله{ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا"}.

فهم{ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ} في الجنان{ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ} ولم ينالوا الشهادة بعد{ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ} بعد الشهادة{ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ} على ما فاتهم من نعيم الدنيا، كما و{ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ} يوم القيامة{ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة التوبة:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ}٢٢.

ثم تحدثت الآيات عن غزوة بدر الصغرى، والتي تواعد الرسول ﷺ لملاقاة أبو سفيان مرة أخرى بعد عام واحد من غزوة أحد، والتي تخلّف عنها أبو سفيان، فقال تعالى:{ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ} أي لنداء الله والرسول ﷺ{ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ} وآلام الجراحات يوم أُحُد، فـ{ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ} بعمل الصالحات وترك المنهيات{ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ} وهم{ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ} أي منافقي المدينة المنورة من يهود{ إِنَّ ٱلنَّاسَ} أي قريش ومن معهم{ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ} جيشًا وسلاحًا وعددًا

وعُدّة{ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ} الذي نتوكل عليه.

ومختصر ما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان" أن المشركين انصرفوا يوم أُحُد وكان لهم الظفر، قال النَّبِيّ ﷺ: إني سائر فِي أثر القوم(أي لبدر الصغرى) فَدَبَّ المنافقون إلى الْمُؤْمِنِين فقالوا: أتوكُم فِي دياركم فوطئوكم قتل، فكيف تطلبونهم وهم اليوم عليكم أَجرأ، وأنتم اليوم أرعب، فوقع فِي أنفس الْمُؤْمِنِين قول المنافقين، فاشتكوا ما بهم من الجراحات فأنزل اللَّه- عَزَّ وَجَلّ- إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وأنزل تَعَالَى" إِنْ تكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ"، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ لأطلبنهم ولو بنفسي، فانتدب مَعَ النَّبِيّ ﷺ سبعون رَجُلا من المهاجرين والأنصار حَتَّى بلغوا صفراء بدرٍ الصغرى، فبلغ الخبر أبا سُفْيَان، فأمعن عائدا إلى مكة مرعوبا، وقد أَبلغ أَبُو سُفْيَان رجلًا يريد المدينة فَقَالَ: بلغنا أن محمدًا فِي الأثر، فَأَخْبَرَه أن أَهْل مكة قَدْ جمعوا جمعًا كثيرًا لقتالكم، وأنهم لقوا أبا سُفْيَان فلاموه بكفه عنكم، بعد الهزيمة، فرُدُّوه، فَإِن رَدَدتَ عنّا محمدًا فلك عشر ذَودٍ من الإبل إذا رجعت إلى مكة، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ نعم الملتجأ ونعم الحرز فأنزل اللَّه" الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصابَهُمُ الْقَرْحُ".

ثمّ قال تعالى:{ فَٱنقَلَبُواْ} ورجعوا من بدر الصغرى{ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ} باتباعهم أمر الله ورسول

ﷺ{ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ} ثم بيّن تعالى سبب رجوع أبا سفيان إلى مكة مرعوبًا فقال:{ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ} وأعوانه الذين رجعوا إلى مكّة خائبين{ فَلَا تَخَافُوهُمۡ} مستقبلًا{ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ}.

الملخص: .

طمئن تعالى الرسول ﷺ والمؤمنين ألّا يحزنوا على شهداء يوم أُحُد وعلى كل شهيد، فهم أحياء عند ربهم يرزقون، ويستبشرون لمن خَلفَهُم، ثمّ امتدح تعالى المؤمنين الذين استجابوا لنداء الرسول ﷺ من بعد ما أصابتهم جراحات يوم أُحُد حتى وصلوا بدر الصغرى، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ورجع أبو سفيان إلى مكّة مرعوبًا، وبيّن الله تعالى أنّ الشيطان هو الذي خوَّف أوليائه، فرجع المؤمنين إلى المدينة بنعمة من الله وفضل، لم يمسسهم سوء.

(١٧٦-١٨٠) الأمر بعدم المبالاة بالمسارعين في الكفر، ومن سننه تعالى وتمحيص المؤمنين، وبيان أنّ شر البخل مرتد على صاحبه.

وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ
أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ
ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧ وَلَا يَحۡسَبَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ

يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠

أَجلى الرسول ﷺ بعد غزوة بدر الكبرى يهود بني قينقاع من المدينة المنورة بعد قولهم: لا تغرّنك نفسك، أنك قتلتَ نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تأت مثلنا، وبعد انتصار المشركين يوم أحد، سارع بقية منافقي الدينة المنورة من بني قريظة وبني النضير إلى الكفر، وتواعد الرسول ﷺ وأبو سفيان لِلّقاء مرة أخرى في بدر بعد عام واحد من أُحُد، وانهزم أبو سفيان لمّا علم وصول الرسول ﷺ ومن معه إليها، فهوّنَ الله تعالى أمر المسارعين إلى الكفر منهم فقال:{ وَلَا يَحۡزُنكَ} أي ولا يُضِيرك{ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ} من منافقي المدينة المنورة وغيرهم، فـ{ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۚ} أبدًا، ولكن{ يُرِيدُ ٱللَّهُ} بإمهالهم{ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا} حسنًا في الدنيا ولا{ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ} كقوله تعالى في سورة المائدة:{... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١}.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ} من منافقي المدينة المنورة{ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ} ولا دينه ولا المؤمنين{ شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ} في الدنيا والآخرة كقوله تعالى في سورة النساء:{ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}١٠١ ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ} ونُمهِلُهم{ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ} بل هو شرٌ لهم{ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ} لنذرهم في طغيانهم يعمهون و{ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ} وذُنوبًا{ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ} في الآخرة.

ثمّ بيّن تعالى أنّ من سننه تمحيص إيمان المؤمنين واختبارهم فقال:{ مَّا كَانَ ٱللَّهُ} ولن يكون{ لِيَذَرَ} ويترك{ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ} بعد إسلامهم{ حَتَّىٰ يَمِيزَ} ويُفرّق{ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ} منهم{ وَمَا كَانَ} ولن يكون{ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ} أبدًا{ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي} ويصطفي ويختار{ مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ} بسابق علمه وعدله وحكمته، فاجتبا محمد ﷺ لكم{ فَـَٔامِنُواْ} معشر المؤمنين{ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ} إيمانًا راسخًا وبعد هزيمة أُحُد{ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ} في الدنيا والآخرة كقوله تعالى في سورة غافر:{ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ}٥١ ولقوله تعالى في سورة سبأ:{ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ

إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ}﴿٣٧﴾.

ثمّ حذّر الله تعالى مانعي الزكاة فقال:{ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ} في الدنيا والآخرة كقوله تعالى في سورة التوبة:{ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}٦٧ و{ سَيُطَوَّقُونَ} في جهنّم بـ{ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ} كقوله تعالى في سورة التوبة:{... وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ}﴿٣٥﴾ ثمّ قال تعالى{ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ} فلا مُلك لأحد فيهما{ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} لا تخفى عليه خافية، فأنفقوا في سبيل الله فيما استخلفكم فيه، وأدوا زكاة أموالكم ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، فيأمن ويسعد المجتمع.

الملخص: –

يطمئن الله تعالى الرسول ﷺ والمؤمنين بعد هزيمة أُحُد من مسارعة منافقي المدينة المنورة كبني قريظة وبني النضير وغيرهم إلى الكفر، ومراده تعالى من إمهالهم ألّا يجعل لهم حظًا حسنًا في الدنيا،

وليزدادوا إثمًا، ولهم عذاب مهين في الآخرة، ومن سننه تعالى تمحيص المؤمنين، ليتميز الخبيث عن الطيب، وليس الله بمطلعكم على الغيب، وحذّر تعالى منع أداء الزكاة لما لها من آثار حميدة على المجتمع المسلم.

(١٨١-١٨٦) بيان عِلمه تعالى بزعم يهود، وتأكيد أنّ الموت والابتلاء حق، وأنّ الجلَد على أذى الكفّار والمشركين من عزم الأمور.

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ
وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ
أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن
قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن
كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ
﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ *
لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن
قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ
عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

أكّد تعالى علمه بزعم يهود فقال:{ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ} وزَعمَ وكَذِبَ{ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ} من يهود{ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ} وسبب نزول الآية مختصرًا كما ورد في تفسير الطبري" أن النبي ﷺ كتب مَعَ أَبِي بَكْر الصِّدِّيق (رلع) إلى يهود قينقاع يدعوهم إلى إقامة الصَّلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضًا حسنًا، فقَالَ فنحاص اليهودي: إن الله فقير حين يسألنا القروض ونحن أغنياء، فغضب أبو بكر فضربه، فاشتكى إلى رسول الله ﷺ، فأنكر، فنزلت الآية تُصدِّق أبا بكر الصديق (رلع)، ثمّ توعدهم تعالى فقال:{ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ} في صُحف أعمالهم{ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ} من قبل{ وَنَقُولُ} لهم{ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ} في جهنّم، فـ{ ذَٰلِكَ} الجزاء العدل{ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ} في الدنيا{ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ}.

وهم{ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ} كذبًا وزورًا{ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ} وأوصانا{ أَلَّا نُؤۡمِنَ} ولا نصدق{ لِرَسُولٍ} أبدًا{ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ} كما كان في الأوّلين لنؤمن، فـ{ قُلۡ} لهم{ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ} والمعجزات والحجج والبراهين{ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ} وطلبتم{ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ} من قبل{ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} في دعواكم{ فَإِن كَذَّبُوكَ} فلا يحزنك كفرهم{ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ} كثير{ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ}

والمعجزات والدلائل والبراهين{ وَٱلزُّبُرِ} أي وبالكتب المنزلة{ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ} الجلي الواضح في أوامره ونهيه.

ثمّ جزمَ تعالى فقال:{ كُلُّ نَفۡسٖ} من ملائكة وإنس وجن وحيوان وطير ونبات{ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ} قبل القيامة{ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ} حقوق{ أُجُورَكُمۡ} كاملة غير منقوصة، كقوله تعالى في سورة هود:{... وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ}﴿١٠٩﴾ { يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ} وصُرف ونُحّيَ وأُبعِد{ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ} ونَجى وظَفر{ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ} التي تعظمونها{ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ} الذي لا خلود له، ثمّ أقسم تعالى فقال:{ لَتُبۡلَوُنَّ} وتختبرون{ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ} أي في نفقات أموالكم من زكاة وصدقات، وفي سبيل الله تعالى{ وَأَنفُسِكُمۡ} ببذل الجهد في سبيل الله، ودعوة الناس للإيمان، وإقامة اللدين في الأرض{ وَلَتَسۡمَعُنَّ} على مدى الزمان{ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ} كاليهود والنصارى{ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ} كما قاتلوكم في غزوة بدر وأُحُد والأحزاب وغيرها، إلّا أنّ كفّار أهل الكتاب سيؤمنون بعد نزول عيسى وقبل موته لقوله تعالى في سورة النساء:{ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا}﴿١٥٩﴾ { وَإِن تَصۡبِرُواْ} على دينكم وأذاهم{ وَتَتَّقُواْ} فيما أمركم الله به نهاكم عنه{ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ} وعلو الهمم لتحقيق المراد، والوصول للغايات، وتحقيق الطموحات،

كقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ}١٥٧.

الملخص: -

بيّن تعالى عِلمه بزعم يهود وقولهم: إنّ الله فقير وهم أغنياء، وهو مُدونٌ في سجل أعمالهم، وقتلهم للأنبياء من قبل بغير الحق، ليذوقوا عذاب الحريق، وسمع افترائهم: بألّا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقرابين تأكلها النار، وقد كان لهم ذلك من قبل، فكفروا وقتلوا بعض رُسِلهم، فلا غرابة في تكذيبهم رسول ﷺ، ثمّ جزم تعالى أن الموت والبلاء من سننه، وأن الصبر على أذى كفّار أهل الكتاب والمشركين والمُضي لإقامة الدين في الأرض لمن عزم الأمور.

(١٨٧-١٨٩) أخذ ميثاق أهل الكتاب بتصديق الرسول ﷺ، والإثم على الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا

تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

أخذ الله تعالى ميثاق الذين أتوا الكتاب بالإيمان برسوله محمد ﷺ وتصديقه ونصره فقال:{وَإِذۡ} أي واذكروا لمّا أو يوم{ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ} أي من يهود ونصارى{ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ} أي لَيُبينُنَّ صدق رسول الله ﷺ وما أرسل به{ لِلنَّاسِ} عامّة{ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ} أي ولا تكتمون خبره ﷺ، ومن تلك المواثيق الميثاق العام الذي أُخذ على كل الأنبياء، بما فيهم اليهود والنصارى، بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ}﴿٨٢﴾.

أمّا بني إسرائيل فقد أُخذ عليهم عدة مواثيق أخرى، كالإيمان بِرُسل الله تعالى عامّة ونصرهم في قوله تعالى في سورة المائدة:{ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن

تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ}﴿١٢﴾
وهذا الميثاق يشمل الإيمان بكل الرُّسل وبمحمد ﷺ وبعيسى (عس) عند بعثتِهما.

فلما أُرسل عيسى (عس) لبني إسرائيل، آمنت به طائف من بني إسرائيل وكفرت طائفه لقوله تعالى في سورة الصف:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ}﴿١٤﴾ وبيّن عيسى (عس) أنه أُرسل إلى بني إسرائيل، وبشَّرهم ببعثة الرسول محمد ﷺ في قوله تعالى في سورة الصف:{ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ}﴿٦﴾.

كما أخذ الله تعالى على بني إسرائيل ميثاقًا خاصًا بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره على جبل الطور، وبيّن تعالى أنّه ﷺ مذكور عندهم في التوراة والإنجيل، وذلك لمّا دعا موسى (عس) ربه كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا

لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ}﴿١٥٧﴾.

وبيّن تعالى أنّ اليهود والنصارى يعرفون الرسول ﷺ كما يعرفون أبنائهم كما قال تعالى في سورة البقرة:{ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}﴿١٤٦﴾ ثمّ قال تعالى:{ فَنَبَذُوهُ} وتركوا الميثاق الذي أُخذ عليهم{ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ} أي بكتمان خبر رسول الله ﷺ{ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ} ليحافظوا على مصالحهم الدنيوية ومكانتهم بين أقوامهم{ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} بنقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم.

كما بيّن تعالى غاية كفّار أهل الكتاب من نقضهم مواثيقهم فقال في سورة التوبة:{ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ

نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ}٣٣.

ثمّ قال تعالى:{ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ} من تكذيب وكفر برسوله ﷺ{ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ} وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير الطبري" أن رجالًا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله ﷺ إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو، تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذا قدم من السفر اعتذروا إليه، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فأنزل الله تعالى فيهم:" لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا"، فقال تعالى عنهم{ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ} في الدنيا لقوله تعالى في سورة التوبة:{ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ}٨٥ كما{ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة{ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ} وله تعالى جنود السماوات والأرض يسلط ما يشاء على من يشاء بعدله وحكمته، وما ربُّك بظلام للعبيد{ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ}١٨٩.

الملخص: -

ذكَر تعالى أنّه أخذ مواثيق الذين أتوا الكتاب ببيان وتصديق رسوله ﷺ، وأنّهم نبذوا وتركوا مواثيقهم وراء ظهورهم، ليشتروا به ثمنًا قليلا من متاع الحياة الدنيا، وحِفظ مكانتهم الدنيوية، وإطفاء نور الله تعالى الذي

أنزله على رسوله ﷺ، فلهم عذاب مهين في الدارين، وأكّد تعالى حُلُول عقوبته على الذين يفرحون بما أتوا من أعذار لتجنب الجهاد في سبيل الله، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

(١٩٠-١٩٥) بيان أنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات ودلائل لأولي الألباب، وبيان بعض صفاتهم وجزائهم.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

يؤكِّد تعالى قائلًا:{ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ} واضحات على عظمة الله تعالى وقدرته{ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ}

ولذلك أمر تعالى بالنظر في كيف بدأ الخلق حيث قال في سورة العنكبوت:{ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}﴿٢٠﴾ وفي هذه الآية دلالة على أنّ الله تعالى أودع في الأرض أمور يُستدل بها على مراحل بَدأ الخلق، وقد أشار تعالى إلى بعض تلك المراحل، فبيّن تعالى أنّ السماوات والأرض كانتا كتلة واحدة كما قال في سورة الأنبياء:{ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ ...}﴿٣٠﴾ وكانتا دُخانًا كما قال تعالى في سورة فصلت:{ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ}﴿١١﴾ كما وأرشد تعالى للنظر في رفع السماء في قوله تعالى في سورة الغاشية:{ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ}﴿١٨﴾ وكيف بُنيت كما قال تعالى في سورة ق:{ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ}﴿٦﴾ وأشار تعالى إلى تمدد الكون في سورة الذاريات حيث قال:{ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}﴿٤٧﴾.

كما وأرشد تعالى إلى النظر في اختلاف الليل والنهار، والذي جعل تعالى من الليل سكنًا ولرؤية زينة السماء، والنهار معاشًا ولرؤية نعم الله تعالى التي لا تُعد ولا تحصى في الأرض، وفي اختلاف الليل والنهار طولًا وقِصرًا نعمة الفصول الأربعة المتعاكسة على الكرة

الأرضية للنصف الشمالي والنصف الجنوبي، أي بمجموع ثمان فصول في العام الواحد، لتوفير الغذاء للخلق، وهجرة الطيور والأسماك وغير ذلك.

ومن الملاحظ أنّ ذكر الليل والظلمات يسبق ذكر النهار والنور عمومًا في القرآن العزيز كما هو في هذه الآية، للدلالة على أنّ الليل هو الأصل في الكون، فبيّن تعالى أنّ الليل يغطي النهار كما قال تعالى في سورة الرعد وسورة الأعراف:{... يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ...}﴿٣﴾﴿٥٤﴾ وبيّن تعالى أنّ السماء مظلمة كما في قوله تعالى في سورة النازعات:{ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا}﴿٢٩﴾.

أمّا النهار فهو معجزة أخرى، فعندما تسبح أشعة الشمس في الفضاء لا يكون نهارًا، ولكن إذا دخلت أشعة الشمس الغلاف الجوي للأرض تحولت أشعتها إلى نهار، والنهار ليس إلّا طبقة رقيقة على الأرض يبلغ أقصى سمكًا له أربعمائة وثمانون (٤٨٠) كيلومتر فقط، والذي يعادل أربعة من مئة (٠,٠٤) من قُطر الأرض تقريبًا، والذي شبهه تعالى بسلخ الحيوان كما قال تعالى في سورة يس:{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ}﴿٣٧﴾ ففي اختلاف الليل والنهار آيات تدل على ابداع خلق الله تعالى لهما.

ثم ذكر تعالى بعض صفات أولي الألباب فقال:{ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ} في جميع أحوالهم{ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ} وفي صلواتهم{ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} فهم الذين يدعون ربهم قائلين:{ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا} وعبثًا{ سُبۡحَٰنَكَ} المُنزّهِ عن كل نقص{ فَقِنَا} وجنبنا{ عَذَابَ ٱلنَّارِ} ويدعون قائلين:{ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ} وعذّبته وأهنته، فلا تجعلنا منهم{ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ} المنكرين المستكبرين{ مِنۡ أَنصَارٖ} في الآخرة{ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا} أي رسولك ﷺ{ يُنَادِي} داعيًا الناس{ لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ} بما جاء به ﷺ{ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا} ما تقدم من{ ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ} وامحُ{ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ} زمرة وجُمُوعِ{ ٱلۡأَبۡرَارِ} ويدعون قائلين:{ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ} ألسنة{ رُسُلِكَ} في الدنيا{ وَلَا تُخۡزِنَا} ولا تُهنّا ولا تفضحنا{ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ}.

فطمئنهم تعالى فقال:{ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ} فـ{ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ} كالمهاجرين والأنصار{ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ} في سبيل الله وإقامة دينه في الأرض{ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ} في الدنيا{ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا} وجزاءً{ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ}.

الملخص: –

أكَّد تعالى أنّ في مراحل خلق السماوات والأرض من كتلة وحدة، وفتقهما وجعلهما دخانًا، وفي رفع السماوات واتساعها، واختلاف الليل والنهار سكنًا ومعاشًا وطولًا وقِصرًا، لينشأ عنه أربع فصول متعاكسة على الكرة الأرضية لآيات ودلائل وبراهين على عظمة وابداع خلق الله تعالى وتقديره، والذي يُقِرُّهُ أولي الألباب، الذين يذكرون الله في جميع أحوالهم، ويدعونه أن يجنبهم النّار، فأكَّد تعالى أنَّه لا يضيع عمل عاملا من ذكر أو أنثى، وأنّ لباذلي جهدهم في سبيله، وإقامة دينه في الأرض جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا.

(١٩٦–٢٠٠) الإرشاد إلى عدم الاغترار برغد عيش الكفار في الدنيا، وبيان جزاء المتقين وبعض صفاتهم.

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ١٩٨ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٩٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠

يرشد تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين قائلًا:{ لَا يَغُرَّنَّكَ} ولا يَفتِننّك ولا يَخدَعنّك{ تَقَلُّبُ} وتَنَعُّم{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ} بنعم الله تعالى، فليست إلّا{ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ} بالنسبة لخلودهم في النّار، وهم مستدرجون بتلك النِعم إلى جهنّم لقوله تعالى في سورة التوبة:{ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴿٨٥﴾} ثمّ قال تعالى:{ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ} الذي مهدوه لأنفسهم بكفرهم واستكبارهم وإعراضهم عن دين الله تعالى{ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ} بفعل ما أمروا به وانتهوا عمّا نهوا عنه{ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا} ومستقرًا حسنًا ومثوًى طيبًا{ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ} ولهم الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء بأحسن ما كانوا يعملون في الآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴿٩٧﴾}.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ} والأبرار هم الذين قال الله تعالى فيهم في سورة البقرة:{... وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ}﴿١٧٧﴾.

ثمّ بيّن تعالى أنّ من أهل الكتاب مؤمنون صادقون فقال:{ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ} مرتين لقوله تعالى في سورة القصص:{ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ}﴿٥٤﴾ و{ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ}.

ثم أوصى تعالى المؤمنين بالصبر فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ} على شرائع دينكم من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، وعلى ما يصيبكم من بلاء، فللصابرين البشرى في الحياة الدنيا لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ}﴿١٥٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَصَابِرُواْ} إخوانكم ليصبروا، وصابروا على مقاومة خصومكم وأعدائكم{ وَرَابِطُواْ} أي لازموا الثغور التي يأتي منها العدو للنيل منكم ومن دينكم{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} أي

فيما أُمرتم به ونهيتم عنه من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ لَعَلَّكُمۡ} حتمًا{ تُفۡلِحُونَ} فللمحسنين الحسنة في الدنيا، ويوفون أجرهم بغير حساب في الآخرة لقوله تعالى في سورة الزمر:{ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ}﴿١٠﴾.

الملخص: -

يُنبِّه تعالى المؤمنين لعدم الاغترار بما يتقلب فيه الكافرين من نعيم في الدنيا، فهو متاع قليل يُستدرجون به إلى جهنم، لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا وضيافة من عند الله تعالى، وبيان أنّ من أهل الكتاب مؤمنون حقًا، ولا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا، فلهم أجرهم الحسن عند ربهم مرتين، ويحثُّ تعالى المؤمنين بالصبر على دينهم، ومصابرة أعدائهم، والمرابطة في سبيله تعالى لإقامة دين الله في الأرض.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النساء ترتيبها (٤) آياتها (١٧٦)

(١-٤) الحض على تقوى الله تعالى والمحافظة على أموال اليتامى، وبيان حقوقهن والزواج منهن.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا
زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ
وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ
ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا
٢ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ
مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ
ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن
شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤

سورة النساء من السبع الطوال، وفيها كرّم الله تعالى النساء وشرّفهن وبيّن حقوقهن، فكانت البنت من النساء قبل الإسلام توأد حية خشية العار، وكانت لا ترث شيئاً البتة كونها لا تحمل السلاح، بل كانت جزءًا من الميراث، يرثها الابن الأكبر بعد وفاة الزوج، وكان اليهود لا يأكلون مع المرأة أثناء حيضها، ويعتزلونها في الفراش.

فحرّم تعالى وأد البنات في قوله تعالى في سورة التكوير:{ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ}٩.

وساوى الله تعالى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، كما قال تعالى في سورة التوبة:{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}٧١

وساوى بينهم في الجزاء في قوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}﴿٣٥﴾ ولقوله تعالى في سورة التوبة أيضا:{ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}﴿٧٢﴾ ولقوله تعالى في سورة الحديد:{ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}﴿١٢﴾.

وأمـر رسـول الله ﷺ بحسـن صُـحبة الأم كمـا ورد فـي صـحيح البخاري عن أبي هريرة (رلع) قال: جاء رجل إلـى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أُمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أُمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أُمك، قال: ثم من، قال: ثم أبوك".

وأوصى الرسول ﷺ بالنساء خيرًا، وبيّن أنّ الحائض ليست نجسة أثناء حيضها لما ورد في سنن النسائي عن عائشة- رضي الله عنها- قالـت: كنـت أشرب وأنـا حـائض، ثـم أناولـه النبـي ﷺ فيضـع فـاه علـى موضـع فـيَّ فيشـرب، وأتعـرق العـرق وأنـا حـائض ثـم أناولـه النبـي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ".

فقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ} مخالفة وعقوبة{ رَبَّكُمُ} في الدنيا والآخرة، فهو{ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ} أي آدم (عس){ وَخَلَقَ مِنۡهَا} أي من تلك النفس{ زَوۡجَهَا} أي حواء- عليها السلام-{ وَبَثَّ} ونشر{ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ} كثيرات{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ} أي تحلفون به للتَّرَجِّي في قضاء حقوقكم وحوائجكم{ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ} التي تتسائلون بها لذلك، واتقوا الأرحام وقطيعتها{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا} لا تخفى عليه خافية.

ثمّ بيّن تعالى حقوق اليتامى فقال:{ وَءَاتُواْ} معشر الأوصياء{ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ} بعد رشدهم{ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ} التي تديرونها لهم، وسبب نزول الآية كما

ورد في تفسير ابن أبي حاتم" أن رجلا من غطفان، كان معه مالٌ كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم، طلب ماله، فمنعه عِمُّه، فخاصمه إلى النبي ﷺ ونزلت: وآتوا اليتامى أموالهم"، ثمّ قال تعالى:{ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ} من أموالكم التي تزهدون فيها{ بِٱلطَّيِّبِۖ} من أموال اليتامى{ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ} أي ولا تضمُّوا{ أَمۡوَٰلَهُمۡ} قبل رشدهم{ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ} فتضيع حقوقهم{ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا} وظلمًا وإثمًا{ كَبِيرٗا}.

ثمّ قال تعالى:{ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ} ولا تعدلوا{ فِي} الزواج من{ ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ} غيرهنّ مـ{ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ} الحرائر{ مَثۡنَىٰ} أي اثنتين{ وَثُلَٰثَ} أي ثلاثًا{ وَرُبَٰعَۖ} أي أربع من النساء{ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ} بينهن{ فَوَٰحِدَةً} أي فتزوجوا واحدة{ أَوۡ} تزوجوا من{ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ} إن لم تستطيعوا الزواج من الحرائر، فـ{ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ} وأحوط{ أَلَّا تَعُولُواْ} وتظلموا{ وَءَاتُواْ} أي وامنحوا{ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ} ومُهورهنّ{ نِحۡلَةٗۚ} أي هبةً وعن طيب نفس{ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ} وجادوا من مهورهن وحقوقهنّ{ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا}.

الملخص: -

يأمر الله تعالى بتقواه، ويأمر الأوصياء بِرَدِّ أموال اليتامى عند رشدهم، وعدم استبدل الخبيث من أموالهم بالطيب من أموال اليتامى، وشرع تعالى التعدد من الزواجات إن خافوا أو تحرجَّوا من العدل للنساء

اليتامى، أو الاكتفاء بالواحدة الحرَّة، أو الزواج مما ملكت أيمانهم، وأرشد إلى منح الزوجات مهورهنّ عن طيب نفس، إلّا أن يتنازلن لهم عن شيء منه.

(٥- ١٠) الأمر بالمحافظة على أموال اليتامى، وارجاع أموالهم عند رشدهم.

وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا
وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟
ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا
وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ
بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾
لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ
ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ
ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ
فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ
ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

يُحذِّر الله تعالى المؤمنين من سوء التصرف في أمول السفهاء القاصرين من اليتامى من الصبيان والنساء الصغيرات فيقول تعالى:{

وَلَا تُؤۡتُواْ} معشر الأوصياء{ ٱلسُّفَهَآءَ} أي الذين لا يحسنون التصرف في المال، سواءً كان يتيمًا أو امرأةً أو رجلًا{ أَمۡوَٰلَكُمُ} التي تديرونها لمصالحهم، و{ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ} فيها{ قِيَٰمًا} أي التي تُقِيمُون بها مصالحكم ومصالح السفهاء، ومصالح دينكم ودنياكم{ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا} أي واجعلوا لليتامى فيها رزقًا، واستثمروها لهم{ وَٱكۡسُوهُمۡ} منها حاجتهم{ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا} تَطِيبُ به خواطرهم، فلا تُعنِّفوهم.

ثمّ أرشد تعالى فقال:{ وَٱبۡتَلُواْ} أي وامتحنوا{ ٱلۡيَتَٰمَىٰ} الذين تحت رعايتكم في التصرف في شيء من المال بين الحين والآخر{ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ } سنّ{ ٱلنِّكَاحَ} والزواج{ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا} وصلاحًا في دينهم، ونباهةً في إدارتهم للمال{ فَٱدۡفَعُوٓاْ} ورُدُّوا{ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ} التي تديرونها لهم{ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ} وتُنفقونها لمصالحكم{ إِسۡرَافٗا} وتبذيرًا{ وَبِدَارًا} أي ولا تُبادروا في صرف أموالهم خشية أو قبل{ أَن يَكۡبَرُواْۚ} ويبلغوا رشدهم{ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا} منكم، أي الوَصِي{ فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ} عن أكل شيءٍ من مال اليتيم{ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ} من مال اليتيم عِوضًا عن رعايته{ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ} ومن غير إسراف{ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ} وأعدتم{ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ} التي في ذمّتكم{ فَأَشۡهِدُواْ} الشُّهود{ عَلَيۡهِمۡۚ} خشية النِّسيان أو النُّكران{ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا} وشهيدًا يوم القيامة.

ثمّ أبطل تعالى حكم الجاهلية بعدم توريث الصغار والنساء فقال:{ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ} من الإرث{ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ} بعد وفاة أحدهما{ وَلِلنِّسَآءِ} كذلك{ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ} من إرث{ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ} من مال أو غيره{ نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا} فرضه الله تعالى لهم{ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ} إلّا أن هذا الحكم منسوخ بآيات المواريث كما ذُكر في كثير من التفاسير، ويجوز للمُوصي أن يُوصِّي بما لا يزيد عن الثلث من ماله لمن لا يرثه، أو في سبيل الله{ وَقُولُواْ لَهُمۡ} أي لمن حضر القسمة من أولي القربى واليتامى والمساكين{ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًا} من البر والصلة إن لم يُوَصَّ إليهم بشيء{ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ} من الضياع، فعليهم ألّا يأمروا غيرهم بالوصية لغير الورثة، وليخافوا على وَرثَة من حضرته الوفاة من الضياع كما يخافون على ورثتهم{ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا} من أجل أن يُبقِيَ من حضرته الوفاة مالُه لوَرثتِه، ثمّ حذّر الله تعالى أكل أموال اليتامى ظلمًا فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا} بصرفها في مصالحهم بغير حق، وقبل بلوغهم الرشد{ إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ} يوم القيامة{ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا} في الآخرة.

الملخص: –

شرَّع الله تعالى للأوصياء على أموال السفهاء القاصرين عدم تمليكهم أموالهم، والإنفاق عليهم منها لإصلاح شؤونهم، وأن يقولوا لهم قولًا معروفًا يُطيِّبُ خواطرهم، وأن يختبروا اليتامى بين الحين والآخر إلى أن يبلغوا الرشد، فيدفعوا لهم أموالهم عند حسن تصرفهم فيها، ويُشهدوا عليهم، وحذّر الأوصياء من أكل أموال اليتامى ظلمًا، وأمر الأغنياء بالعفاف عن أموال اليتامى مقابل رعايتهم، وإن يأكل الوصي الفقير منها بالمعروف، وشرَّع تعالى للرجال وللنساء نصيبًا مما ترك الوالدان والأقربون، وحذّر الذين يخافون ضياع من يعولون وصية من حضرته الوفاة بالوصية لغير وارِثيهم، وتَوعَّد تعالى آكلي أموال اليتامى بغير حق من عذابه يوم القيامة.

(١١-١٤) أحكام عامّة قي تقسيم التركة.

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ

مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن
لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ
تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ
فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ
مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾

شرَّع الله تعالى للمؤمنين أحكام توزيع التركة، وأوّلها الوصية للأولاد سواء من أب أو أم فيقول:{ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ} إن توفيَّ أحدهما أن يكون{ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ} ونصيب{ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ} من التركة، ومن الحِكم من جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى من التركة، أنّه يتناسب مع المسؤوليات المالية التي يتحملها الرجل، فعلى سبيل المثال أنّ الرجل مسؤول عن رزق زوجته وأبنائه ذكورًا وإناثًا، حتى تزويجهم إلى أن يعتمدوا على أنفسهم، ومسؤول عن النفقة على والديه عند كبرهما، وقد يصل إلى الأقارب، أمّا الأنثى فهي غير مسؤوله عن شيء من ذلك، ولها المهر والسُكنى ورزقها على زوجها.

ثمّ قال تعالى:{ فَإِن كُنَّ} من ترك بعده{ نِسَآءً} فقط و{ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ} أي اثنتين فأكثر{ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ} من تركة{ وَإِن كَانَتۡ} الوارثة{ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ} من التركة.

والحكم الثاني قوله تعالى:{ وَلِأَبَوَيۡهِ} أي المتوفّى{ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ} من تركة{ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ} ذكر أو أنثى{ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ} ذكر ولا أنثى{ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ} فقط{ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ} والباقي للأب{ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ} أي للمتوفّى{ إِخۡوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ} والباقي للأب{ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ} المُتوفّى{ أَوۡ} قضاء{ دَيۡنٍۗ} عليه، ثمّ قال تعالى:{ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعًاۚ} والله يعلم ما لا تعلمون، فذلكم الحُكم{ فَرِيضَةً} عليكم{ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} فيما يُشرّع لكم.

والحكم الثالث:{ وَلَكُمۡ} معشر الأزواج{ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ} من النساء{ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌۚ} ذكر أو أنثى{ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ} ذكر أو أنثى{ فَلَكُمُ} معشر الأزواج{ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ} من تركة{ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۚ} يُقضى عن هُنّ.

والحكم الرابع:{ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ} معشر الأزواج بعد الوفاة{ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٌۚ} ذكر أو أنثى{ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٌ} ذكر أو أنثى{

فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ} سواء كانت زوجة واحدة أو أكثر{ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ}.

والحكم الخامس:{ وَإِن كَانَ رَجُلٞ} أي المُتوفّى{ يُورَثُ} من{ كَلَٰلَةً} وهو الرجل الذي ليس له أب، ولا ولد ذكر ولا أنثى، وله أم، وإخوة لأم{ أَوِ ٱمۡرَأَةٞ} أي ليس لها أب ولا ولد ذكر ولا أنثى، ولها أم وإخوة لأم{ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ} لأم{ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ} بالسوية مما ترك{ فَإِن كَانُوٓاْ} أي الإخوة لأم{ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ} اثنان فأكثر{ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ} بالسوية{ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ} وللتركة أحكام كثير أخرى يعلمها أهل الاختصاص.

فذلك{ وَصِيَّةٗ} وشرعٌ{ مِّنَ ٱللَّهِۗ} فرضه عليكم{ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ} فيما يقضي ويشرع من أحكام، فـ{ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ} وحكمه وشرعه{ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ} في الآخرة، ولهم الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء بأحسن ما كانوا يعملون في الآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}﴿٩٧﴾ ثمّ قال تعالى{ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} بطاعة الله ورسوله{ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ} عنادًا وإعراضًا واستكبارًا وعصيانًا{ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ} فيها{ عَذَابٞ مُّهِينٞ} في الآخرة،

أمّا في الدنيا فلا يهديه الله تعالى لدينه إلا أن يتوب، لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ}٧.

الملخص: –

بيّن تعالى أنّ حظ الذكر مثل حظ الأنثيين عند وفات أحد الأبوين أو الأقربين، وإن كان الورثة إناث فقط فلهن ثلثا ما ترك، وإن كانت واحدة فلها النصف، ولكل واحد من أبويه السُّدس إن كان له ولد ذكر أو أنثى، فإن كان له أبوان فقط فلأمه الثلث، وأن كان له إخوة لأم فلأمه السُدس، من بعد تنفيذ الوصية وسداد الدَّيْن، وللزوج من زوجته النصف إن لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد فله الربع، وللزوجة واحدة أو أكثر الربع من تركة الزوج، إن لم يكن له ولد، فإن كان له ولد فلهنّ الثُّمُن، من بعد تنفيذ الوصية وقضاء الدَّيْن، وإن كان المتوفّى كلالة، أي ليس له أب، ولا ولد ذكر ولا أنثى، وله أم، وأخوة لأم، فلكل منها السُّدُس، وإن كان الإخوة لأم أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث بالتساوي، من بعد إنفاذ وصيته وسداد ديْنه.

(١٥-١٨) بيان عقوبة الفاحشة، ومستحقي التوبة، ومن لا يستحقها.

وَٱلَّـٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾

بيّن الله تعالى حكم الزنا في أوّل الأمر فقال:{ وَٱلَّـٰتِي} أي النساء اللاتي{ يَأۡتِينَ} ويرتكبن{ ٱلۡفَٰحِشَةَ} بالزنا{ مِن نِّسَآئِكُمۡ} سواء متزوجات أو غير متزوجات كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا{ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ} أي فاطلبوا شهداء{ عَلَيۡهِنَّ} بفِعل الفاحشة، بشرط ألّا يقلوا عن{ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ} أي من المسلمين{ فَإِن شَهِدُواْ} عليهنّ بفعل الفاحشة{ فَأَمۡسِكُوهُنَّ} أي فاحبسوهنّ{ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ} في بيوتهن{ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا} أي أو أن يجعل الله تعالى لهنّ حكمًا آخر، ثمّ قال تعالى:{ وَٱلَّذَانِ} قيل البكران الذين لم يحصنا{ يَأۡتِيَٰنِهَا} أي

فاحشة الزنا{ مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ} بالألسن ليندما ويتوبا كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ} ثم نَسخ تعالى ذلك الحكم بقوله تعالى في سورة النور:{ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ}﴿٢﴾ فمئة جلدة لكل منهما إن كانا أبكارًا، فإن كانا محصنين فالرجم، لما ورد في سنن الإمام أحمد بن حنبل عن أبي هريرة (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" الولد للفراش، وللعاهر الحجر"، ولم يَنسخ تعالى عدد الشهود{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا} لمن تاب وأناب من قريب.

ثمّ بيّن تعالى حكم قُبول التوبة فقال:{ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ} التي يقبلها تعالى ويتجاوز فيها عن الذنب{ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ} من غير إصرار على المعصية{ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ} أي " وهم بِربهم مؤمنون، ثم يرجعون إلى طاعة الله، وإلى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار، وتَرك العَود إلى مثله من قبل نزول الموت بهم" كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا{ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ} والله يحب التوابين ويحب المتطهرين{ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا} بمن يستحق المغفرة{ حَكِيمٗا} في كل شؤونه وشرائعه وأحكامه، ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ} لا ينقطعون عنها{ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ

ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ} فلا تنفعهم توبتهم، كما قال تعالى لفرعون في سورة يونس:{ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ}﴿٩١﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ} معرضين عنادًا واستكبارًا، فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الزمر:{ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ}﴿٢٦﴾.

الملخص: -

كان الحُكم العام في النساء اللاتي شُهِد عليهنَّ بالزنا الحبس في البيوت حتى الموت، أو أن يحكم الله فيهن غير ذلك، وفي البكران اللذان لم يحصنا الإيذاء بالألسن، ثم نُسخ الحُكمين بمئة جلدة لغير المحصن، والرجم للمحصن، ولم يُنسخ عدد الشهود، وبيّن تعالى أنّه يتوب على الذين يعملون السوء بجهالة ثمّ يتوبون من قريب، وليست التوبة لمن تاب عند الموت، ولا الكافرين، فأولئك لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

(١٩-٢٤) بيان بعض أحكام الأزواج، وما يحرم من النساء.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ
بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا
كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا
فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ
وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٢١﴾ وَلَا
تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ
وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ
وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ
أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي
حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ
ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ
ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ
ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ
مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ
بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾

أقر الله تعالى صداق المرأة للزَّواج منها، وحرّم أن تكون ميراثًا يرثه الورثة كما كان في الجاهلية فقال:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ} فكان الرجل في الجاهلية إذا مات أبوه أو أخوه أو ابنه وترك امرأته، فإن سبق وارِث الميت فألقى عليها ثوبه، فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه، أو ينكحها غيره فيأخذ مهرها، وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهي أحق بنفسها" كما ورد في تفسير الطبري، ثمّ قال تعالى:{ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ} أي لا تُبقوا النساء في عصمتكم إن كرهتموهن{ لِتَذۡهَبُواْ} أي لترجِعُوا{ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ} من المهر{ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ} يعني العصيان البيّن، أو النشوز أو الزنا، فإذا كان نشوزًا فقد حلت الفدية على المرأة كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان.

ثمّ قال تعالى:{ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ} وإحسان، وأدُّوا حقوقهن التي فرضها الله تعالى لهنّ، أو سَرِحُهُنّ بإحسان، كما حثّ تعالى على الصبر عليهن فقال:{ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا} فلا تستعجلوا فراقهنّ، وقد أوصى الرسول ﷺ بالنساء خيرًا لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء"، ثمّ قال تعالى:{ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ

زَوۡجٖ} أُخرى{ مَّكَانَ زَوۡجٖ} عندك{ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا} صداقًا ذهبًا، والقنطار ألف ومائتا دينار كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، أو مالًا كثيرًا{ فَلَا تَأۡخُذُواْ} ولا تستردُّوا{ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ} عند طلاقها، ولا تحتالوا لأخذ شيءٍ منه كقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ... }﴿٢٣١﴾.

ثمّ استنكر تعالى محاولات استرداد شيء من الصداق فقال:{ أَتَأۡخُذُونَهُۥ} أي وبأيّ حق؟ وبأيِّ حكم؟ وبأيّ شرع تأخذونه؟ أتأخذونه{ بُهۡتَٰنٗا} على الله{ وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا}؟{ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ} وتستحلونه{ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ} واستحللتم فروجهن{ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا} أي بإمساك بمعروف أو تسرحٌ بإحسان، بشهادة الله والملائكة والحاضرين.

ثمّ أبطل تعالى نكاح ما نكح الآباء السائد في الجاهلية فقال:{ وَلَا تَنكِحُواْ} معشر الأبناء{ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ} فهنّ حرام على كل أولادهم الذكور{ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ} في الجاهلية، ثمّ قال:{ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ} أي بمثابة الزنا{ وَمَقۡتٗا} يُبغضه تعالى{ وَسَآءَ سَبِيلًا} وشرعًا ومنهجًا وطريقًا.

ثمّ بيّن تعالى اللاتي يحرم الزواج منهن فقال:{ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ} أي الزواج من هنّ{ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ} وما علاهنّ من النساء{ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم} أي النساء اللاتي تربونهن في بيوتكم، وهنّ{ مِّن} ذرية ونسل{ نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ} واستحللتموهن{ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ} أن تنكحوهن{ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ} أي وحرّم عليكم نكاح زوجات أبنائكم{ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ} كزوجات{ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ} في الجاهلية، والذي أصبح حرام في الإسلام{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا} لما كان في الجاهلية.

ثمّ قال تعالى:{ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ} أي وحرُم عليكم المتزوجات{ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ} كسبايا الحرب{ كِتَٰبَ ٱللَّهِ} وشرعه الذي فرضه{ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم} نكاح وزواج{ مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ} من النساء، بشرط{ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ} أي لتعفُّوا ولتحصنوا فروجكم من الفاحشة{ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ} أي لا للزنا{ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ} أي بالنكاح والزواج{ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} ومُهورهنّ{ فَرِيضَةٗۚ} عليكم من الله{ وَلَا جُنَاحَ} ولا حرج{ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ

ٱلۡفَرِيضَةِۚ} من شروط النكاح، كتأجيل شيئًا منه، أو زيادة فيه أو نقصان{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} فيما فرض عليكم، وما تراضيتم عليه.

الملخص: -

أقرّ تعالى المهر للزواج من النساء، وحرّم أن تكون المرأة ميراثًا كالمتاع، وحرّم استرجع شيئًا من مهورهن عند تطليقهن، إلّا أن يأتين بفاحشة الزنا، وأمر بِحُسن معاشرتهن، والصبر عليهنّ إذا كرهتموهنّ فعسى أن يجعل الله فيهنّ خيرًا كثيرًا، ونهى تعالى التحايل لاسترجاع شيءٍ من مهورهن للزواج من غيرهن، وحرّم تعالى نكاح ما نكح الآباء والمحرمات الأُخر من النساء، وشرع الصداق لهنّ للزواج منهن، وبيّن أن لا حرج فيما تراضوا به من بعد الفريضة.

(٢٥-٢٨) حكم من لا يستطع الزواج من الحرائر المحصنات المؤمنات.

وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ

خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ
ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ
ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾

لتطهير المجتمع من الفاحشة شرّع تعالى للفقراء الغير قادرين على الزواج من الحرائر، بالزواج من الإيماء المؤمنات المملوكات فقال:{ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا} أي الذين لا يجدون من الفضل والمال والسّعة{ أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ} العفيفات الحرائر من أهل الإيمان{ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم} أي فليتزوجوا مما مَلَكَتهُ الأيمان{ مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ} أي الإماء المؤمنات{ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ} أي بحقيقة ودرجات إيمانكم{ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ} في الإيمان، وأُخُوَّة في الدين لقوله تعالى في سورة الحجرات:{ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ...}﴿١٠﴾ كما نسب تعالى المنافقين لبعض في قوله تعالى في سورة التوبة:{ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ ...}﴿٦٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ} أي بإذن أربابهن{ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} ومهورهن{ بِٱلۡمَعۡرُوفِ} وطيب نفس، بشرط أن يكُنّ{ مُحۡصَنَٰتٍ} عفيفات ظاهرت الصلاح{ غَيۡرَ

مُسَٰفِحَٰتٖ} أي لا معلنات ولا مسرِّات بالفاحشة{ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ} وخلّان{ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ} وتزوجنَ بعد ذلك{ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ} أي الزنا{ فَعَلَيۡهِنَّ} أي فعقوبتهنَّ{ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ} الأبكار{ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ} أي خمسين جلدة.

ف{ ذَٰلِكَ} أي الحُكم بالزواج من الإماء خاصٌ{ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ} أي خاف الإثم في دينه، والوقوع في الفاحشة، وقد أرشد ﷺ غير قادرين على الزواج من الحرائر المحصنات بالصوم ليعينهم على العفاف، لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود (رلع) قال: قال لنا رسول الله ﷺ:" يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء".

ثمّ أرشد تعالى فقال:{ وَأَن تَصۡبِرُواْ} عن نكاح الإماء حتى تتمكنوا من نكاح الحرائر{ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ} وذلك أن ما تنجبه الأمة المملوكة يكون عبدًا لسيدها، فإذا تزوج الفقير أمةً فَوَلدُهُ مملوكًا لسيدها، إلّا أن يشتريه ويُعتِقَه، وذلك أعسر على الفقير{ وَٱللَّهُ غَفُورٞ} لمن اضطر للزواج من الأمة{ رَّحِيمٞ} بكم لئلا تقعوا في الفاحشة، ف{ يُرِيدُ ٱللَّهُ} بتلك الشرائع{ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ} حُكمه وشرعه{ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ} وشرائع الأمم والأنبياء{ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ} فشرع لكم ما شرع لهم{ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ} من الوقوع

في الفاحشة{ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ} بكلِ شيء، وبما يُصلحكم{ حَكِيمٌ} فيما يقضي ويُشرِّع لكم من سنن وأحكام{ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ} في دينكم{ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ} من يهود ونصارى وغيرهم{ أَن تَمِيلُواْ} عن دين الله من عقيدة وعبادات وشرائع وأخلاق ومعاملات{ مَيۡلًا عَظِيمًا} فتقعون في المعاصي، وقد حذّر تعالى من الميل عن دينه بعقوبة في الدنيا والآخرة في قوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤} و{ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ} إثم الوقوع في الفاحشة، وتوريث العبودية لأبنائكم{ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا} قليل الصبر عن المحرمات يستميله الهوى، فبيّن لكم.

الملخص: –

يريد تعالى تطهير المجتمع من الفاحشة، فشرع للذين لا يجدون سِعَةً من المال للزواج من الحرائر، أن يتزوجوا الإيماء المؤمنات المملوكات للغير بإذن أهليهن ودفع مهورهن، بشرط أن يكنّ محصنات عفيفات ولا متخذي أخدان، وعقوبتهن نصف ما على المحصنات البكر من النّساء إذا وقعن في الفاحشة، وبيّن تعالى أن الصبر عن نكاح الأمة خيرٌ من توريث العبودية للأبناء، والله غفور رحيم إن اضطروا لذلك الزواج، ويريد تعالى أي يبيّن سنن الذين من قبل، ويريد الذين

يتبعون الشهوات أن يميل المؤمنون عن هدي ربهم ميلًا عظيمًا، وقد خُلق الإنسان ضعيفًا أمام هواه وشهوت نفسه، فأرشدكم.

(٢٩-٣٣) النهي عن أكل الأموال بالباطل، وعن الكبائر، والأمر بأداء الحقوق.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا
﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ
وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ
وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ
مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

يُفني تعالى المال الحرام ويُذهبُ بركته، فحذّر تعالى من اكتسابه فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ} ولا تكتسبوا{ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ} بكل أشكاله، كاستحلال الربا والقمار والميسر، وجحود الحقوق، وأكل مال اليتيم، ومنع الصدقات، وأخذ الرشاوى، والغش في البيع والشراء وغيره، فالإنسان مسؤول يوم القيامة عن مصادر أمواله،

والأوجه التي أنفقت فيها، لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن أبي برزة الأسلمي (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تَزُول قدما عبد يوم القيامة، حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه".

ثمّ استثنى تعالى فقال:{ إِلَّآ أَن تَكُونَ} تلك الأموال مكتسبة من{ تِجَٰرَةً} و{ عَن تَرَاضٍ} وطيب نفس{ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ} انتحارًا، أو القتل بغير حق، أو بفعل ما حرّم عليكم، فسننه تعالى لا تتخلف عن أحد لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا} فيما شرع لكم من عقيدة وعبادات وأخلاق وشرائع ومعاملات، ثمّ حذّر تعالى من ذلك فقال:{ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ} أي فيأكل أموال الناس بالباطل، ويتعمد القتل لنفسه أو لغيره{ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ} يوم القيامة{ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا}.

ثمّ قال تعالى:{ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ} والكبائر كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) عن النبي ﷺ قال:" اجتنبوا السبع الموبقات"، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال:" الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"، وورد في روايات أخرى

وشهادة الزور، لـ{ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ} صغائر{ سَيِّـَٔاتِكُمۡ} في الدنيا{ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا} في الآخرة، بل ولهم البشرى في الحياة الدنيا لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}٦٤ ويزيدهم تعالى هدىً ويؤتيهم تقواهم لقوله تعالى في سورة محمد:{ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}١٧.

ثم قال تعالى:{ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ} وسبب نزول الآية ما ورد في سنن الإمام الترمذي عن أم سلمة أنها قالت: يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث"، فأنزل الله{ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض}، فـ{ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ} من الإثم{ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ} كذلك، فالكَسبُ للحسنات والاكتساب للسيئات لقوله تعالى في سورة البقرة:{ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ...}٢٨٦ ثمّ قال تعالى:{ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ} العظيم ليرزقكم من جوده وكرمه وإحسانه{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا} ورقيبًا لا تخفى عليه خافية.

ثمّ قال تعالى:{ وَلِكُلّٖ} أي من الرجال والنساء{ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ} أي ورثة من الأولاد والوالدين والأزواج والإخوة وابناء العمومة، وقيل أنّ

الموالي هم العَصَبة كالعم، وابن العم، وذوي القربى كما ورد في تفسير السمرقندي{ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ} من تركة{ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ} وكان الرجل قبل الإسلام يعاقد الرجل إذا أحبه، أن يكون له من الميراث كما لولده، فلمّا نزلت آيات المواريث، لم يكن للمُعاقَد نصيبًا من التركة، فبيّن تعالى جواز الوصية للمتعاقد معه{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا} فأطيعوه تعالى في ما أمر، واحذوا مخالفته.

الملخص: -

حرّم الله تعالى اكتساب الأموال بالباطل، وأجاز ربح التجارة عن طيب نفس، وحرّم القتل ظلمًا للنفس أو الغير، وأمر باجتناب الكبائر لتكفِير صغائر الذنوب في الدنيا، وليدخلهم مُدخلًا كريمًا في الآخرة، ونهى تعالى عن تمني ما فضل الله تعالى البعض على البعض، وبيّن أنّ للرجال والنساء نصيبًا مما اكتسبوا من إثم، وأباح تعالى الوصية للقربى والمُتَعاقَد معهم.

(٣٤-٤٢) بيان قوامة الرجال، وسبل الإصلاح بين الأزواج، والأمر بعبادته تعالى والإنفاق في سبيله، والنهي عن البخل والتحذير من عقوبته.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ
مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي
تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ
أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ
شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا
يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ
بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي
ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ
وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا
لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا
عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ
عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن
لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ

هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾

يشرع تعالى قائلًا:{ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ} من زوجات وبنات، برزقهنّ وتعليمهنّ وتأديبهن وتَولي أمر حاجاتهن، لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أُم المؤمنين عائشة زوج النبي ﷺ حدثته قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال:" من يَلِيَ من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن، كنَّ له سترا من النار"، ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك"، ثمّ قال تعالى:{ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ} في الجسم وما فرضه تعالى لهم من التركة، والقدرة على السعي في الأرض، والجهاد في سبيل الله، وشهادة رجل عن امرأتين، وحضور الجُمعة وصلاة الجماعة، والزواج بأكثر من واحدة{ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ} على أُسرهم.

ثمّ خصَّ تعالى فقال:{ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ} العاملات بالخير، المطيعات لله تعالى ولأزواجهن، تجدهنّ{ قَٰنِتَٰتٌ} قائمات بالليل{ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ}

أي مؤتمنات في أموال أزواجهن وأولادهم وأعراضهم{ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ} لهم من حقوق، لما ورد في مسند الإمام أبي داوود عن أبي هريرة (رل ع) قال: قال رسول الله ﷺ:" خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها".

ثمّ قال تعالى:{ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ} وعصيانهن{ فَعِظُوهُنَّ} بالله تعالى اولّا{ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ} ثانيًا{ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ} ضربًا غير مُبرِّح ولا شائن ثالثًا{ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ} ولا تعتدوا{ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ} وبأي ذريعة{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا} قائمًا بالحق، مترفعًا عن الظلم{ كَبِيرٗا} في كل شأنه، لا يكلِّف نفسًا إلّا وُسعها، ولا يعاجل بالعقوبة، ويعفوا عن كثير، فأحسنوا إليهن{ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ} وفراق{ بَيۡنِهِمَا} أي بين الزوجين{ فَٱبۡعَثُواْ} واحتكِموا لـ{ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ} فـ{ إِن يُرِيدَآ} حقًّا{ إِصۡلَٰحٗا} لا نشوزًا ولا فراقًا{ يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ} ويصلح شأنهما{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا} بخائنة الأنفس وما تخفيه الصدور{ خَبِيرٗا} بخلفه.

ثمّ أمر تعالى بطاعته فقال:{ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ} في كل ما شرع لكم من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ} فهو تعالى عزيز لا يقبل الشرك، ويَترُك من أشرك لِشِركِه، ثمّ خصّ تعالى الإحسان من العبادة فقال:{ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا} وبرًّا{ وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ} والرَّحِم{ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ} عمومًا{ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ} أي الذي له

قرابة رَحم أو نسب{ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ} أي الذي ليس له قرابة{ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ} أي الصديق الجار{ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ} أي المسافر الذي لا مال له{ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ} من العبيد، تعزيزًا للعلاقات الاجتماعية، وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض الذي يَنشُده تعالى لخلقه.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا} متبخترًا{ فَخُورًا} وهم{ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ} صدقةً وزكاةً{ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ} وجوده، ومعرفة رسوله ﷺ{ وَأَعۡتَدۡنَا} وأعددنا{ لِلۡكَٰفِرِينَ} في الآخرة{ عَذَابٗا مُّهِينٗا} مُذلًا مخزيًا{ وَٱلَّذِينَ} أي وكذلك الذين{ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ} ورياء{ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ} حقًا{ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا} بسوء فِعاله{ فَسَآءَ قَرِينٗا} وصاحبًا، كقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ}٣٧ ثمّ قال تعالى:{ وَمَاذَا} سيكون{ عَلَيۡهِمۡ} من وِزر ومشقة وعناء{ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ} زكاةً أو صدقات{ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا} لا تخفى عليه خافية.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ} أو وزن{ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا} عشرًا إلى سبعمائة ضعف لقوله تعالى في سورة

البقرة:{ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ ...}﴿٢٦١﴾ كما{ وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ} وفضله وإحسانه{ أَجۡرًا عَظِيمٗا} لا حدَّ له{ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ} المختالين الباخلين الآمرين به، والكاتمين فضله وصدق رسوله ﷺ{ شَهِيدٗا} فـ{ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ} فيكونون ترابًا{ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا} مما ائتمنوا عليه وأمروا بتبليغه.

الملخص: -

بيّن تعالى أن الرجال يقومون بتدبير حاجات نسائهم من نفقة وتعليم وتأديب، وبيّن مراحل علاج النشوز بالموعظة والهجران في المضاجع والضرب غير المُبَرِّح إذا اقتضى الحال، فإن أطاعوا فلا يُبغى عليهن بذريعة، وأن يحتكما لحكمين للإصلاح بينهما إن خيف الشقاق، ودعا تعالى لعبادته وتوحيده وبِر الوالدين والأقربين والمساكين، وتوعد المختالين والمرائين والآمرين بالبخل، وكاتمي فضله تعالى وصدق رسوله ﷺ بعذاب مهين.

(٤٣–٤٨) التحريم المرحلي للخمر، والأمر بالتطهر للصلاة، ودعوة كفّار أهل الكتاب للإسلام، وتحذيرهم من المشاقة والكفر.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

نهى تعالى أوّل الأمر عن أن يصلي المسلم مخمورًا قبل تحريمها نهائيًا فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ

تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ} وتقرأون وترتلون، وقال النبي ﷺ لمّا نزلت:" إن ربكم يُقدِّم في تحريم الخمر" كما ورد في تفسير الطبري، حتى نزل قوله تعالى في سورة المائدة:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ}۝٩٠ ثم قال تعالى:{ وَلَا جُنُبًا} أي ولا تقربوا الصلاة وأنتم غير متطهرين{ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ} أي مسافرين{ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ} عن الجنابة، ثمّ عمَّم تعالى فقال:{ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا} أي مما على وجه الأرض، بشرط أن يكون{ طَيِّبٗا} نظيفًا طاهرًا غير نجس{ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ} منه{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ} منذ الأزل{ عَفُوًّا غَفُورًا} فرخصَّ لكم بالتيمم للصلاة عند عدم وجود الماء.

ثمّ استنكر تعالى على مَن كفر مِن يهود فقال:{ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ} بكفرهم وعداوتهم لرسول الله ﷺ، وليحافظوا على مكانتهم الدنيوية وحظوظها، وهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، وأَخذ تعالى العهد عليهم بالإيمان به ونصره في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ

إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}﴿١٥٧﴾ ثمّ بيّن تعالى غايتهم من كل ذلك فقال:{ وَيُرِيدُونَ} بكفرهم وعداوتهم{ أَن تَضِلُّواْ} معشر المسلمين{ ٱلسَّبِيلَ} الحقّ الذي هداكم الله تعالى له{ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ} فبيّن لكم، فلا تتخذوا منهم وليًا ولا نصيرًا{ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا} ومؤيدًا{ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ} العزيز{ نَصِيرٗا} وظهيرًا.

ثمّ فضحهم تعالى فقال:{ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ} المنزّل عليهم في التورة{ عَن مَّوَاضِعِهِۦ} ومقاصده ومعانيه{ وَيَقُولُونَ} عنادًا للرسول ﷺ والمؤمنين{ سَمِعۡنَا} القرآن{ وَعَصَيۡنَا} ما أُوحي إليك{ وَٱسۡمَعۡ} أنت منّا{ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ} أي ولا نسمع منك{ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا} واستهتارًا{ بِأَلۡسِنَتِهِمۡ} وقصدهم الأرعن والأهوج والأحمق{ وَطَعۡنٗا} وتجريحًا ولمزًا{ فِي ٱلدِّينِۚ} المُوحى إليك{ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا} بما جاءك من عند الله{ وَٱسۡمَعۡ} منّا{ وَٱنظُرۡنَا} وأمهلنا لنرى رأينا{ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ} وأجدى وأهدى{ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ} وعداوتهم ونقضهم ميثاقهم{ فَلَا} تجِدهم{ يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا}.

ثمّ حذّرهم تعالى فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا} على رسولنا ﷺ وهو{ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم} من التوراة{ مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ} ونمحو ونمسخ{ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ} أي نردّ وجوههم

إلى قفاها كما ورد في تفسير الطبري{ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ} بمسخٍ{ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ} فجعلناهم قردةً{ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا} لا محالة ولا مردَّ له، ثمّ جزم تعالى فقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ} بعدله وعلمه وحكمته، ولا يظلم ربك أحدًا، ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه مَعِيَ غيري، تركته وشركه"{ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ} كذبًا وزورًا، واكتسب{ إِثۡمًا عَظِيمًا} لا يُغتفر.

الملخص: -

نهى تعالى أن يصليَ المؤمن مخمورًا قبل تحريمه أبدًا، ولا يصلوا جنبًا إلّا مسافرين حتى يغتسلوا، ويتيمموا بالطيب مما على وجه الأرض، بمسح وجوههم وأيديهم، واستنكر تعالى على من كفر من يهود شرائهم الضلالة بالعهد الذي أخذ عليهم، ويودُّون بذلك إضلال المسلمون عن دينهم، والله تعالى وليُّهم وناصرهم، وبقولهم للرسول ﷺ اسمع منّا ولا نسمع لك، فلعنهم تعالى بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إلّا قليلًا، وحذَّرهم بطمس وجوههم وردِّها على قفاها إن لم يؤمنوا برسوله ﷺ، أو يلعنهم تعالى كما لعن أصحاب السبت قِردةً، والله تعالى لا يغفر الشِّرك، ويغفر ما دون ذلك.

(٤٩-٥٧) الاستنكار على كفّار أهل الكتاب، وبيان جزائهم وجزاء من آمن.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا
﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ
كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ
ٱللَّهُۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا
لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن
فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا
﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ
جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
أَبَدًاۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

استنكر تعالى على كفّار أهل الكتاب فقال:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ} وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان مختصرًا أنّ يهودًا دخلوا بأولادهم إلى النبي ﷺ فقالوا: هل لهؤلاء ذنوب؟ فقال النبي ﷺ: لا، فقالوا: والذي تحلف به، ما نحن إلا

كهيئتهم، نحن أبناء الله وأحباؤه، وما من ذنب نعمله بالنهار، إلا غُفر لنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل، إلا غُفر لنا بالنهار، وزعموا أنهم يدخلون الجنة، وأنهم أهل طاعته كما ورد في تفسير الطبري، فدحض تعالى زعمهم فقال:{ بَلِ} الحق أنّ{ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ} بعلمه وعدله وحكمته{ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا} ولا شيئًا قليلًا، ولو بمقدار خيط النوى الذي في شَقِّه، ثمّ استنكر تعالى كذبهم فقال:{ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ} أي بالكذب{ إِثۡمًا} واضحًا جليًّا{ مُّبِينًا}.

ثمّ استنكر تعالى فقال:{ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ} ويصدقون{ بِٱلۡجِبۡتِ} كالأصنام والكهان والسحرة كما ورد في قاموس لسان العرب{ وَٱلطَّٰغُوتِ} أي الشياطين كقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ...}﴿١٠٢﴾ والطاغوت هو كل شرع وحُكم يخالف شرع الله تعالى{ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ} أي مُشركي قريش{ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا} وسبب نزول الآيات ما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان مختصرًا، أن كعب بن الأشرف وحُيي ابن أخطب انطلقا في ثلاثين من اليهود إلى مكة بعد قتال أُحُد، فقال أبو سفيان ابن حرب: إن أحب الناس إلينا من يعيننا على قتال هذا الرجل، حتى نَفنِيَ أو يَفنُوا، فقال كعب لأبى سفيان: ليجيء منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون، فنلصق أكبادنا بالكعبة فنعاهد

رب هذا البيت لنَجتَهِدنَّ على قتال محمد، ففعلوا، وقال أبو سفيان لكعب بن الأشرف: أنت امرؤ من أهل الكتاب، فنحن أهدى أم ما عليه محمد؟ فقال: إلى ما يدعوكم محمد؟ قال: أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، ونُقرِي الضيف، ونَفُك العاني الأسير، ونسقي الحجيج، ونُعمِّر بيت ربنا، ونَصِل أرحامنا، فقال كعب: أنتم والله أهدى مما عليه محمد. وسبب عداء كفّار اليهود ومنافقيهم أنّ الرسول ﷺ أجلى يهود بني قينقاع من الدينة المنورة بعد غزوة بدر الكبرى بعد تَجَبُرِهم على دعوة الرسول ﷺ لهم للإسلام، وأجلى بني النضير بعد غزوة أُحد لمّا تآمروا على قتله باسقاط حجر عليه من مساكنهم، ولم يبقى بالمدينة سواى بني قريظة.

ف{ أُوْلَٰٓئِكَ} من كفر من يهود{ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ} وطردهم من رحمته في الدنيا والآخرة{ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا} في الدنيا والآخرة، ثمّ فضح الله تعالى بُخلهم فقال:{ أَمۡ} أنّ سبب تزكيتهم لأنفسهم وكفرهم أنّ{ لَهُمۡ نَصِيبٌ} وشيئًا{ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ} الذي لله تعالى، ولو كان لهم شيئًا من الملك{ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ} ولا يعطون{ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا} أي بمقدار النقير الذي في خلف نواة التمر، لشِدَّة بخلهم{ أَمۡ} الحقيقة أنهم{ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ} كرسوله ﷺ والمؤمنين{ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ} وهديه ودينه{ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا

عَظِيمًا} فجعل تعالى النبوّة والملك في ذريته لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ}﴿٨٦﴾ ثمّ قال تعالى:{ فَمِنْهُم} أي من اليهود{ مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ} أي برسول الله ﷺ{ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ} بمن كفر برسوله ﷺ{ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا} تُسعَّرُ بهم النار.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا} والقرآن والحجج والبراهين على صدق النبي الأمي ﷺ{ سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا} لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم{ كُلَّمَا نَضِجَتْ} وشُويت وفُحِّمت{ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا} طَرِيَّةً{ غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟} سوء{ ٱلْعَذَابَ ۗ} وفي هذه الآية إشارة إلى أنّ الجلد هو مركز الإحساس{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا} ليس كمثله شيء، ولا يُغلب في صِفة ولا اسم من أسمائه، ولا يقبل الكفر ولا مخالفة شرعه{ حَكِيمًا} في كل شَئنِه، وفيما يشرع، وما يُمضي من سنن، ويقضي من أحكام{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ}

من كل عيبٍ في خَلقٍ أو خُلق{ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا} ممدود لا نهاية له، لا نصبَ فيه ولا صخب.

الملخص: -

استنكر تعالى كذب كفّار يهود بتزكيتهم أنفسهم بأنّهم لا يعذّبون في الآخرة، وإيمانهم بالأصنام والسحرة والكهنة، وما تتلوه الشياطين على ملك سليمان، وزعمهم أنّ المشركين أهدى من المؤمنين سبيلًا، فلعنهم الله ولن يجدوا نصيرًا في الآخرة، أم أنّ سبب كفرهم وتزكية أنفسهم أنّ لهم نصيبًا من ملك الله تعالى، أم أنهم يحسدون رسوله ﷺ والمؤمنين لما آتاهم الله من فضله، وقد آتى تعالى إبراهيم الكتاب والحكمة وملكًا عظيما، فجزائهم أنّ كلما نضجت جلودهم تبدّل بغيرها ليذوقوا العذاب في جهنّم، والمؤمنون يُدخِلهم تعالى جنّات خالدين فيها، وأزواجًا مطهرات من كل عيب وفي ظلٍ ظليلا.

(٥٨-٦٣) الأمر بأداء الأمانات، وطاعة الله ورسوله ﷺ وأولي الأمر، والاحتكام إلى شرعه، وفضح المنافقين وتحذيرهم العقوبة.

إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن
تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن
تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ

ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ
أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ
عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ
جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ
ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا
﴿٦٣﴾

شرَّع تعالى للمؤمنين أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بينهم بالعدل فقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ} يا خير أمّة أخرجت للناس{ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِۚ} والقسط{ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا} ونِعم ما{ يَعِظُكُم} ويرشدكم{ بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ} قبل خلق السماوات والأرض{ سَمِيعًۢا بَصِيرًا} لكل شيء.

ونزلت كما ورد مختصرًا في تفسير مقاتل بن سليمان في عثمان بن طلحة، الذي كان معه مفاتيح الكعبة من قبل فتح مكّة، فطلب العباس بن عبد المطلب (رلع) من الرسول ﷺ بعد فتحها أن يجعل فيهم السقاية والحجابة، ليَسُود بها الناس، فقال له عثمان بن طلحة: إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فادفع إليَّ المفتاح، فأخذها الرسول ﷺ

وطاف بالبيت فأنزل الله تعالى" إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" فقال النبي ﷺ لعثمان: خذه(أي المفتاح) بأمانة الله، فقال العباس (رلع) للنبي ﷺ: جعلت السقاية فينا والحجابة لغيرنا، فقال النبي ﷺ: أما ترضون أني جعلتُ لكم ما تدرون، ونحيت عنكم ما لا تدرون، ولكم أجر ذلك، قال العباس (رلع): بلى.

ثمّ أمر تعالى بطاعته فقال:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ} في كل ما أمركم ونهاكم{ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ} ﷺ{ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ} بما لا يتعارض مع شرع الله تعالى ورسوله ﷺ{ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ} واختلفتم واختصمتم{ فِي شَيۡءٖ} ما{ فَرُدُّوهُ إِلَى} حُكم{ ٱللَّهِ} تعالى من كتابه العزيز{ وَٱلرَّسُولِ} من سُنَّة وتشريع{ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ} حقًا{ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ} فـ{ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ} لكم في الدنيا والآخرة{ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا} على صدق إيمانكم، ونزلت هذه الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان مختصرًا، أّن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد على سرية فيهم عمّار بن ياسر، حتى دنوا من الماء فنزلوا قريبا منه، وبلغ العدو أمرهم فهربوا، وبقي منهم رجل فجمع متاعه، وجاء ليلا فلقي عمّارا، فقال: يا أبا اليقظان، إن القوم سمعوا بكم، فهربوا ولم يبق غيري، وقد أسلمت، وشهدت ألا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فهل الإسلام نافعي؟ فقال عمّار: ينفعك، فأقم، فلما أصبح خالد غار بخيله، فلم يجد إلا هذا

الرجل وماله، فقال عمّار: خلِّ عن هذا الرجل وماله، فقد أسلم وهو في أماني، قال خالد: فيم أنت تجير دوني وأنا أمير عليك، فلما رجعا إلى المدينة أجاز النبي ﷺ أمان عمّار ونهاه أن يجير الثانية على أمير، فقال خالد: يا نبي الله يسبني هذا العبد الأجدع، وشتم خالد عمّارا، فقال النبي ﷺ: لخالد لا تسب عمّارًا، فمن سب عمّارًا سب الله، ومن أبغض عمارًا أبغضه الله، ومن لعن عمّارًا لعنه الله، ثمّ قال النبي ﷺ لخالد: قم فاعتذر إليه، ففعل.

ثمّ استنكر تعالى فقال:{ أَلَمۡ تَرَ إِلَى} المنافقين{ ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ} وصدّقوا{ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ} من ربِّك{ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ} و{ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى} حكم{ ٱلطَّٰغُوتِ} الذين يخالفون شرع الله تعالى ورسوله ﷺ{ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ} ولا يحتكموا إليه{ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا} عن الحق والصراط المستقيم، جزاء مُرادهم الاحتكام للطاغوت عنادًا وعصيانًا واستكبارًا، تصديقا لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧}

ومختصر ما ورد في سبب نزول الآيات كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا، أن رجلًا من المنافقين يَدَّعي الإسلام اختصم مع رجل

يهودي، فقال اليهودي نختصم إلى أهل دينك، فاختلفا، ثمّ اتفقا على أن يأتيا كاهنًا من جهينة، فنزلت.

والأمر الثاني أنّه{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ} أي لزاعمي الإيمان{ تَعَالَوۡاْ} واحتكموا{ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ} من قرآن{ وَإِلَى} حكم{ ٱلرَّسُولِ} ﷺ{ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ} أي عن الرسول ﷺ{ صُدُودٗا} كبيرًا عظيما{ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم} وحلّت عليهم{ مُّصِيبَةُۢ بِمَا} أي بسبب ما{ قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ} من كفر ونفاق واعراض عن حكم الله تعالى{ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ} كذبًا{ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا} فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ} حقيقة{ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ} من كُفر ونفاق{ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ} وعن كذبهم{ وَعِظۡهُمۡ} بسننه تعالى التي لا تتخلف عن أمثالهم في قوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وأنذِرهم{ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا} واضحًا جليًا.

الملخص: –

أمر تعالى برد مفاتح الكعبة إلى عثمان بن طلحة الذي كانت عنده المفاتيح قبل فتح مكّة، وأمر تعالى بطاعته ورسوله وأُمَرائه ﷺ، وردِّ حُكم كل خلاف لكتابه تعالى وسُنّة رسوله ﷺ، واستنكر على مُراد المنافقين أن يحتكموا إلى الطاغوت المخالفين لشرع الله تعالى ولرسوله ﷺ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدًا لخُبثهم وسوءِ فِعالهم.

(٦٤-٧٠) بيان وجوب الإيمان بالرسل، وتمادي كفّار أهل الكتاب، وشروط الإيمان، وجزاء المؤمنين.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ
أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ
ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ
فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن
لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ
وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾

لا زالت الآيات تتحدث عن كفّار أهل الكتاب من يهود الكافرين برسول الله ﷺ، والذي يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، وأُمروا بالإيمان به ونصره، فقال تعالى:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا} أي للنّاس{ مِن رَّسُولٍ} من آدم (عس) إلى محمد ﷺ{ إِلَّا لِيُطَاعَ} وليُؤمن به{ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ} تعالى{ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ} أي كفّار أهل الكتاب{ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ} بالكفر والاعراض والاستكبار على رسوله ﷺ{ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ} من كفرهم

وإعراضهم واستكبارهم{ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ} ﷺ{ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا} يقبل توبتهم{ رَّحِيمٗا} بهم ويغفر ذنوبهم.

فرسول الله ﷺ أرسل للنّاس جميعًا لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ}﴿١٥٨﴾ فمن أصرّ على الكفر فقد ظلم نفسه وعرَّضها لعقوبة الله تعالى، ففي الدنيا له المعيشة الشديدة القاسية، وفي الآخرة يُحشر أعمى، لقوله تعالى في سورة طه:{... فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثمّ أقسم تعالى مؤكدًا فقال:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ} ولا يتحقق لهم الإيمان{ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ} ويحتكموا إليك ﷺ{ فِيمَا} أي في كل ما{ شَجَرَ} وتنازعوا واختصموا فيه{ بَيۡنَهُمۡ} أوّلًا{ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا} ولا غضاضة، ولا أدنى ضيق في أنفسهم{ مِّمَّا قَضَيۡتَ} وحكمت لهم ثانيًا{ وَيُسَلِّمُواْ} ويُذعنوا{ تَسۡلِيمٗا} تامًا، ليتمسكوا بالعروة الوثقى كما قال تعالى في سورة لقمان:{ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ}﴿٢٢﴾ ثمّ أكّد تعالى تلكأ

وتواني كفّار أهل الكتاب في إيمانهم فقال:{ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ} أي على كفّار أهل الكتاب{ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ} مجاهدين في سبيل الله{ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم} وهاجروا كما هاجر الرسول ﷺ والمؤمنون{ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ}.

فبسبب كفر أهل الكتاب من يهود برسول الله ﷺ أقام الله تعالى فيهم سننه وجزاءاته، فأَجلى رسول الله ﷺ بني قينقاع من المدينة المنورة بعد تحديهم له، فارتحلوا لخيبر، ثمّ أجلى رسول الله ﷺ بني النضير من المدينة المنورة لمّا تآمروا على قتله بإلقاء صخرة عليه من على بيوتهم، فمنهم من ارتحل إلى الشام ومنهم من التحق بخيبر، حيث الحصون والرجال والسلاح، فأصبحت خيبر وكرًا خبيثًا للفتن ضد المسلمين، ومن خيبر تأمروا مع مُشركي العرب والأحزاب وبني قريظة لاستئصاله والمؤمنين من المدينة المنورة، فلمّا هزم الله تعالى الأحزاب، أمر تعالى رسوله ﷺ بقتال بني قريظة، فقتل مقاتليهم، وسبى نسائهم وأطفالهم، وقسِّمت أموالهم، ولمّا أمِن رسول ﷺ من مشركي العرب بعد صُلح الحديبية، فتح ﷺ خيبر، ثمّ أجلاهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رلع) من جزيرة العرب بوصية رسول الله ﷺ، فخسروا دنياهم وآخرتهم.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ} ويؤمرون{ بِهِۦ} من إيمان برسوله ﷺ{ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ} مما حلّ بهم في الدنيا، ومما سيصيبهم في الآخرة{ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتًا} لإيمانهم من قبل{ وَإِذًا} أي ولو فعلوا ذلك{ لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمًا} في الدنيا والآخرة{ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ} من لدنّا{ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا} لا ضلال بعده{ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ} ﷺ{ فَأُوْلَٰٓئِكَ} في الآخرة{ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ} وطاب مع{ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا} فـ{ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ} الكبير العظيم{ مِنَ ٱللَّهِۚ} العظيم الجليل{ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا} خبيرًا.

الملخص: -

أكّد تعالى أنّه ما أرسل رسولًا للناس إلّا لأجل أن يؤمن الناس به، ولو أن كفّار أهل الكتاب آمنوا برسوله ﷺ واستغفروا الله تعالى والرسول ﷺ لغُفِر لهم، ولن يَقبَل تعالى إيمانًا حتى يُحتكَمَ لكتابه تعالى ولرسوله ﷺ في كل ما يختصمون فيه، ويسلموا تسليمًا تامًا، ثمّ فضحهم تعالى فيما لو كتب عليهم القتال أو الهجرة لما فعله إلّا قليلًا منهم، فلمّا أصرّوا على الكفر أخرجوا من المدينة المنورة، ثمّ خيبر، ثم من جزيرة العرب، ومن يُطِع الله والرسول ﷺ فمع الذين أنعم عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين، وكفى بالله عليما.

(٧١-٧٦) أمر المؤمنين بأخذ الحيطة والحذر، والاستنكار على البعض، والأمر بالتّجهز لملاقاة أعداء الدين.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ
مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ
أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ
تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞
فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا
تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ
ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

يرشد الله تعالى المؤمنين بأخذ الحيطة والحذر من العدو والمنافقين المندسّين بينهم، وأن يأتمروا بأمر الرسول ﷺ فقال:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ} وحيطتكم من عدوِّكم{ فَٱنفِرُواْ} في سبيل الله ولإقامة دينه{ ثُبَاتٍ} أي جماعات، وسَرايا كالتي كان يبعثها الرسول ﷺ{ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا} مع رسول الله ﷺ في غزواته، وبما تقتضيه الضرورة

والحال، ثمّ استنكر تعالى على المنافقين المندسِّين بين المؤمنين وكشف سلوكهم فقال:{ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ} فلا يخرج ولا ينفر معكم{ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ} وقتل وجراح{ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ} بترك الخروج معهم{ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا} وحاضرًا{ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ} ونصرٌ وغنيمة{ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ} متحسرين على ما فاتهم من حظوظ الدنيا، و{ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ} وأغنم{ فَوۡزًا عَظِيمٗا}.

ثم وجّه تعالى خطابه للمؤمنين الصادقين فقال:{ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ} أي يبيعون نعيم{ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ} أي مقابل نعيم الآخرة{ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} ولإقامة دينه في الأرض{ فَيُقۡتَلۡ} ويُستشهد{ أَوۡ يَغۡلِبۡ} بنصر الله تعالى وتأييده{ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ} في الآخرة{ أَجۡرًا عَظِيمٗا}.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَا لَكُمۡ} معشر المؤمنين{ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ} قال ابن عباس: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان في مكّة، كما ورد مختصرًا في تفسير مقاتل بن سليمان، وقال الطبري في تفسيره: هم أناس مسلمون كانوا بمكة، لا يستطيعون أن يخرجوا منها ليهاجروا، فعذرهم الله من الهجرة، وهم{ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ}

أي من مكّة المكرّمة{ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا} من المشركين{ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} وفي هذه الآيات دعوة للرسول ﷺ والمؤمنين لفتح مكّة المكرّمة، لاستنقاذ أولئك المستضعفين، وهم الذين قال تعالى فيهم في سورة الفتح:{... وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}﴿٢٥﴾ فكان صلح الحديبية حماية لأولئك المستضعفين أن يصيبهم المسلمين بضر فيما لو كان قتال مع المشركين.

ثمّ بيّن تعالى غاية المؤمنين من القتال فقال:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ} ولإقامة دينه في الأرض، وليفتح الله تعالى للنّاس بركات السماء والأرض، ولا يعاقبهم تعالى في الدنيا قبل الآخرة، لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}﴿٩٦﴾ ثمّ بين تعالى غاية الذين كفروا من قِتالِهم فقال:{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ} أي في سبيل ما يملي عليهم الشيطان ومن تَبِعه، ولكي لا يقام دين الله في الأرض، ثمّ أكد تعالى ضعفهم فقال:{ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ} ومكرُهُ وحِزبَهُ{ كَانَ ضَعِيفًا} كما قال تعالى في سورة العنكبوت:{ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن

دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ ٤١.

الملخص: -

يرشد الله تعالى المؤمنين بأخذ الحيطة والحذر من العدو، والائتمار بأمر الرسول ﷺ، وأن يخرجوا للقتال جماعات وسرايا، أو معه ﷺ جميعًا كما يقتضي الحال، واستنكر على حِيل المتخلفين عن أمره ﷺ الطامعين في خير الدنيا وزينتها، وأمر تعالى المؤمنين بالقتال لنصر المستضعفين في مكّة المكرمة، وبيّن أنّ المؤمنين يقاتلون في سبيله تعالى ولإقامة دينه في الأرض، وغاية أولياء الشيطان محاربة دين الله تعالى وتعطيل شرعه وإطفاء نوره، وأكّد تعالى ضعف كيدهم، فلا تخافوهم.

(٧٧-٨٤) الاستنكار على الذين في قلوبهم مرض والرد عليهم.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧
أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ

كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ مَّآ
أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ
لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن
تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ
بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ
وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ
عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ
ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ
يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا
قَلِيلٗا ٨٣ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى
ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤

استنكر تعالى على أناس ادعو لإسلام خمسة أمور فقال:{ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ} عن قتال المشركين{ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} من قبل أن يؤذن للرسول ﷺ قتال الكافرين{ فَلَمَّا كُتِبَ} وفُرض{ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ} بعد الهجرة إلى المدينة المنورة{ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ} قِتال{ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ} أي كخوفهم من الله{ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ} ورهبة{ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ} وفرضت وشرعت{ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ} أي حتى نموت موتتنا دون قتال، فـ{ قُلۡ} لهم{ مَتَٰعُ

ٱلدُّنۡيَا} وزينتها التي تنشدونها{ قَلِيلٞ} بالنسبة لخلود الآخرة{ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ} من أعمالكم{ فَتِيلًا} أي ولا شيئًا قليلًا بمقدار الخيط الذي في طول نواة التمر، واعلموا{ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ} في سماءٍ أو أرضٍ أو بحرٍ{ يُدۡرِككُّمُ} ويُلاقِيكم{ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ} في السماء أو في قصور أو حصونٍ{ مُّشَيَّدَةٖۗ} لا يصلها إنس ولا جن.

والأمر الثاني:{ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ} وغنيمة ونصر كيوم بدر{ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ} أي النصر والغنيمة{ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ} كارهين نسبة الحسنة للرسول ﷺ، والأمر الثالث{ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ} من هزيمة وبأس وضُر كيوم أُحد{ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ} أي بسببه ﷺ، وبقولهم ذلك لمزوا الله تعالى وهم لا يشعرون، حيث أنّه تعالى هو الذي يختار رُسله، فـ{ قُلۡ كُلّٞ} من خير أو شر{ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ} حتى يَبرأَها تعالى، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذن الله ومشيئته{ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا} ولا قرآن مُبينًا، ثمّ بيّن تعالى فقال{ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ} وفضل وغنيمة{ فَمِنَ ٱللَّهِۖ} أي بسننه في جزاء الصالح من أعمالكم{ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ} ومكروه وشر{ فَمِن} ظُلم{ نَّفۡسِكَۚ} وعصيانها وإعراضها عن هدي الله تعالى، تصديقًا لسنة الله تعالى الخالدة في قوله تعالى في سورة طه:{... فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا

وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثمّ أكّد تعالى إرساله رسوله ﷺ للنّاس جميعًا فقال:{ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ} جميعًا{ رَسُولٗاۚ} ليؤمنوا وليطيعوا في كل ما أُمروا به ونُهوا عنه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات{ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا} على صِدق رسوله ﷺ، ثمّ أكّد تعالى وجوب طاعة الرسول ﷺ فقال:{ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ} وأعرض واستكبر وعاند وكفر{ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا} ولا حارسًا لمنع كُفرهم، ولا وكيلًا ليؤمنوا، فالله تعالى هو الذي يهدي من يشاء بعلمه وعدله وحكمته، ولا يظلم ربّك أحدًا، لقوله تعالى في سورة القصص:{ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ}﴿٥٦﴾.

والأمر الرابع{ وَيَقُولُونَ} للرسول ﷺ{ طَاعَةٞ} لا نعصيك{ فَإِذَا بَرَزُواْ} وخرجوا{ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ} وأضمر{ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ} في أنفسهم أمرًا{ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ} وتأمُرهم به{ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ} وما يُسِّرون{ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ} ولا تجادلهم، وكفى بالقرآن واعظًا بليغًا{ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ} لتبليغ رسالته وإقامة دينه في الأرض{ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا} لإظهار دينه على كل دين، ثمّ استنكر تعالى عليهم فقال:{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ} ما نزل من{ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا} وأخطاءً وتضاربًا وتناقضًا{ كَثِيرٗا}.

والأمر الخامس{ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ} وأفشوه بين الناس دون تريُّث وتثَبُت{ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ} ﷺ وسألوا عنه ليبيِّن لهم{ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ} والفِطنة والعلم{ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ} أي لعلم تأويله ومعناه{ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ} ويستخلصون معانيه{ مِنۡهُمۡۗ} ثمّ قال تعالى:{ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ} برسول الرحمة ﷺ، وما أوحى إليه من قرآن وهدى{ وَرَحۡمَتُهُۥ} سبحانه التي وسعت كلّ شيء{ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا} منكم.

وورد في تفسير البحر المحيط في سبب نزول الآية من رواية الإمام مسلم من حديث ابن عباس عن عمر: أن رسول الله ﷺ لما اعتزل نساءه، فدخل عمر المسجد فسمع الناس يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فدخل على النبي ﷺ فسأله: أطلقت نساءك؟ قال: لا، فخرج فنادى: ألا أن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه، فنزلت، وكان هو الذي استنبط الأمر، وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن الرسول كان إذا بعث سرية من السرايا فغلبت، أو غلبت، تحدثوا بذلك وأفشوه ولم يصبروا حتى يكون هو المحدث به، فنزلت.

ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ فقال:{ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} ولإقامة دينه في الأرض{ لَا تُكَلَّفُ} بشرائع الدين{ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ} وحُضَّ وحَفِّز{ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ} على تلك التكاليف{ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ} وكيد ومكر

وتدبير{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ} وأعرضوا واستكبروا{ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسًا} وقوّة وإحاطةً ومكرًا وتدبيرًا{ وَأَشَدُّ تَنكِيلًا} بخزيٍ في الدنيا، وخلودٍ في عذابٍ شديدٍ أليمٍ مهينٍ في الآخرة.

الملخص: -

استنكر تعالى على مُدعي الإسلام خمسة أمور، أوّلها تمنيهم عدم تشريع قتال المشركين بعد مطالبتهم به قبل فرضه، ونَسَوا أن الموت ملاقيهم ولو كانوا في بروج مشيدة، والثاني نسبتهم ما يصيبهم من خير لله تعالى، ولمزًا لرسوله ﷺ، والثالث نسبهم ما يصيبهم من شر للرسول ﷺ، والحقّ أنّ ما يُصيبهم من الشر فبسؤ أعمالهم، والرابع اعلانهم الطاعة عند الرسول ﷺ، ويُضمرون مُخالفته عند خُروجهم، والخامس إفشاء الوحي دون تريث وقبل تبيان الرسول ﷺ والعارفين به، وكفى بالله معتمدًا وللمؤمنين ونصيرًا.

(٨٥-٨٧) بيان أنّ للشفاعة الحسنة والسيئة جزاء، والأمر برد التحية بأحسن منها أو بمثلها.

مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾

حضّ تعالى على فعل الخير فقال:{ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً} فيصلح بين زوجين، أو متخاصمين، أو طائفتين، أو يقدم خيرًا لأحدٍ ولو كان غير مسلم{ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ} وأجر{ مِّنۡهَاۖ} في الدنيا والآخرة، ونصيبه من الأجر يتناسب مع مقدار المنفعة المُتحقِقة، فالدال على الخير كفاعله، ولقوله تعالى في سورة المزمل:{... وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ...}﴿٢٠﴾ كذلك{ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ} فيفسد بين زوجين أو متخاصمين أو طائفتين{ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ} ووزر وإثم{ مِّنۡهَاۗ} في الدارين، ووزره يتناسب مع عِظم الضرر النّاتج عن فساده{ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا} وحفيظًا وشهيدًا.

ثمّ أمر تعالى برد التحية فقال:{ وَإِذَا حُيِّيتُم} معشر المسلمين{ بِتَحِيَّةٖ} ما، من مسلم أو غيره{ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ} لأنّ الرد بأحسن منها أعظم أجرًا، ولتعزيز العلاقات الاجتماعية في المجتمع، وخاصّةً مع المسالمين من النّاس، لقوله تعالى في سورة الممتحنة:{ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ}﴿٨﴾ وكقوله تعالى في سورة

التوبة:{ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ}٦ فالرسول ﷺ بعث للنّاس جميعًا، ودعوة الناس للإسلام من أحسن الأعمال لقوله تعالى في سورة فُصِلت:{ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ}٣٣ فهذه الأمة هي خير أمَّة أخرجت للناس، وردِّ تحية المسالمين من النّاس سبيل من سُبُل دعوتهم للإسلام وكسب قلوبهم.

أمّا تحيَّة المسلمين فهي السلام لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدُلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"، وتحيّة السلام هي تحية آدم (عس) وذريته، لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) عن النبي ﷺ قال:" خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن"، والتحيّة بالسلام أجرها مضاعف، لما ورد في سنن الإمام أبي داوود عن عِمرانَ بنِ حُصَين (رلع) قال: جاء رجُلٌ إلى النبيَّ ﷺ فقال: السلامُ عليكُم، فردَّ عليه ﷺ، ثم جلَسَ، فقال النبي ﷺ: "عشرٌ"، ثُمَّ جاء آخرُ، فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله، فردَّ عليه ﷺ، فجلسَ، فقال:

"عِشْرونَ"، ثم جاء آخرُ، فقال: السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، فردَّ عليه ﷺ، فجلسَ، فقال: "ثلاثونَ"، أي ثلاثون حسنة، ثمّ قال تعالى:{ أَوۡ رُدُّوهَآۗ} أي بمثلها، فالأولى ردّها بأحسن منها، وذلك لما للتحية من إثر طيب بين النّاس، وهي أمان لمن يُردُّ عليه.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ} من خير أو شر لإنسان أو حيوان غير الضّار أو نبات{ حَسِيبًا} فكُل شيءٍ في الكون مُسبحٌ بحمد الله لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}﴿٤٤﴾ والسلام هي تحية أهل الجنّة لقوله تعالى في سورة يونس:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ}﴿١٠﴾ ثمّ ذكّر تعالى بالآخرة فقال:{ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ} ولا شكَّ{ فِيهِۗ} للحساب والجزاء{ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا} وبيانًا وقيلًا.

الملخص: -

للشافع بالحسنة أجرٌ من شفاعته بمقدار ما يحصل من المنفعة، وللشافع بالسيئة وزر من شفاعته بمقدار الأذى من مَضَرَّتِه، والأمر بردّ

التحية بأحسن منها وأن لا يقل عن مثلها لعموم النّاس، وتحية المسلمين السلام، وهي تحية آدم (عس) وذريته، وهي تحية أهل الجنّة، والأمر بالاستعداد بالعمل الصالح ليوم الجمع في الآخرة.

(٨٨-٩١) الأمر بإجماع الرأي في المنافقين، وفضح سلوكهم وبيان أحكام قتاهم.

فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

استنكر تعالى اختلاف المؤمنين في شأن المنافقين المعلوم نفاقهم فقال:{ فَمَا لَكُمْ} صِرتم{ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ} الظاهر نفاقهم، كعبدالله بن أبي

بن سلول لمّا خذل رسول الله ﷺ فرجع بثلاثمائة من الجيش إلى المدينة المنورة في غزوة أُحد، وقال كذبًا: لو نعلم قتالًا ما أسلمناكم، فصرتم في الرأي فيهم{ فِئَتَيۡنِ} طائفة تقول: هم منّا، والأخرى تقول: هم منافقون{ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم} وأغمسهم في نفاقهم عقوبةً لهم{ بِمَا كَسَبُوٓاْۚ} أي بسبب أفعالهم، ومن سننه تعالى أن يزيد ويُعمّق النفاق الذي في قلوبهم، لقوله تعالى في سورة البقرة:{ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ}﴿١٠﴾ ويفضح ما في قلوبهم لقوله تعالى في سورة التوبة:{ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ}﴿٦٤﴾ ثمّ قطع تعالى الرجاء من هدايتهم لعلمه تعالى حقيقتهم فقال:{ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ} وأكّد تعالى أن لا طريق لهدايته فقال:{ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا} للهدى، وسبب نزول الآيات كما ورد في تفسير مجاهد مختصرًا قال:" هم قوم خرجوا من مكة حتى قدموا المدينة يزعمون أنهم يهاجرون، ثم ارتدوا بعد ذلك، فاستأذنوا النبي ﷺ إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم، فاختلف فيهم المؤمنون، فقال بعضهم: هم منا، وقال بعضهم: هم منافقون، فبين الله عزَّ وجَلَّ حالهم، وأمر بقتالهم.

ثمّ فضح تعالى سوء نواياهم فقال:{ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ} برسول الله ﷺ{ كَمَا كَفَرُواْ} حسدًا من أنفسهم{ فَتَكُونُونَ} عند الله{ سَوَآءٗۖ} لا فضل

لكم عليهم بإيمان{ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ} ولا أصحابًا ولا مُؤيدين{ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ} إلى المدينة المنورة و{ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ} كما هاجر المهاجرون{ فَإِن تَوَلَّوۡاْ} وأعرضوا واستكبروا عن الإيمان برسول الله ﷺ{ فَخُذُوهُمۡ} وأسروهم{ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ} وأينما{ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ} وثقفتموهم من حِلٍّ أو حرم{ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا} ولا أهل مودّةً{ وَلَا نَصِيرًا} ولا مُعينا.

ثمّ استثنى تعالى قتال طائفةً من المنافقين فقال:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ} أي لهم صلةً وعهد صلح{ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم} عهد و{ مِّيثَٰقٌ} أمان{ أَوۡ} أنّهم{ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ} وضاقت{ صُدُورُهُمۡ} فلا يودُّون{ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ} فلا تقاتلوهم{ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ} ولكن كفّ الله تعالى أيديَهم عنكم{ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ} وتجنّبوكم{ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ} أي وطلبوا منكم الأمن{ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ} بيّنةً ولا سلطانًا ولا{ سَبِيلٗا} لقتالهم.

ثمّ قال تعالى:{ سَتَجِدُونَ} منافقين{ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ} ويأمنوا قتالكم{ وَيَأۡمَنُواْ} قتال{ قَوۡمَهُمۡ} ولكن{ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ} ونزلت بكم الأزمات والضوائق والمِحن{ أُرۡكِسُواْ} وتورطوا ووقعوا{ فِيهَاۚ} ضدّكم{ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ} ويكفُّوا عن قتالكم{ وَيُلۡقُوٓاْ} ويرضخوا ويذعنوا{ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ} والأمن والسلام{ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ} عن قتالكم{ فَخُذُوهُمۡ}

وأسروهم{ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ} ووجدتموهم في حلٍ أو حرم{ وَأُوْلَـٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا} وحجّةً ودليلًا{ مُّبِينًا} واضحًا لقتلاهم.

الملخص: -

أرشد تعالى إلى عدم الاختلاف في المنافقين الظاهر نفاقهم، والذين أغمسهم الله في نفاقهم وفضحهم، فمن المحال هدايتهم، وقد تمنوا كُفركم برسولكم ﷺ، فلا حرج في قتالهم، إلّا للذين لهم صِلة وعهدٌ مع قومٍ بينكم وبينهم ميثاق فلا تقاتلوهم، ثمّ حذّر تعالى من منافقين آخرين يريدون أمانكم وأمان قومهم، ولكن تتجلى خيانتهم عند أزماتكم، فأولئك لا حرج في مقاتلتهم.

(٩٢-٩٤) تحريم قتل المؤمن للمؤمن، وبيان أحكام القتل الخطأ والعمد، والأمر بالتثبت قبل الشروع في القتال.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ

لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾

بعد أن بيّن تعالى بعض الأحكام في قتال المنافقين، شرّع تعالى حُكم قَتل المؤمن للمؤمن خطأً وعمدًا فقال:{ وَمَا كَانَ} أي ما أذِن وما أباح تعالى بحال من الأحوال{ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا} أبدًا{ إِلَّا} أن يكون{ خَطَـٔٗاۚ} بغير قصد، وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير الطبري وغيره مختصرًا أنّ عياش بن أبي ربيعة أسلم وهاجر، فجاءه أبو جهل بن هشام وهو أخوه لأمه، ورجل آخر معه، فقال له: إن أُمُّك تناشدك رحمها، وحقَّها أن ترجع إليها، فربطاه حتى قدما به مكة، فكانا يعذبانه، فأسلم ذلك الرجل الذي كان مع أبي جهل، فقتله عياش، ولا يعلم بإسلامه".

فبيّن تعالى الحكم في القتل الخطأ فقال:{ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ} أي فعليه تحرير{ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ} أوّلا، إن كان يملكها، أو أن يشتري رقبة مملوكة ثم يعتقها، ثانيًا{ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ} أي إلى ورثته، وكانت الدية مائة من الأبل{ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ} فيعفوا عنه، ثمّ بيّن تعالى مسألة ثانية في القتل الخطأ فقال:{ فَإِن كَانَ} المقتول خطأً{ مِن

قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ} ويتبيّن المعنى مما ورد في تفسير الطبري عن ابن عباس:" إن ناسًا مسلمين كانوا مع المشركين في مكّة، يُكثِرون سوادهم على النبي ﷺ في غزوة بدر، فيأتي السهم يُرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله"، والمسلمون لا يعلمون إسلامهم، فالحكم فيهم{ فَتَحۡرِيرُ} أي فعلى القاتل تحرير{ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ} ولا دية عليه.

ثمّ بيّن تعالى مسألةٍ ثالثة في القتل الخطأ فقال:{ وَإِن كَانَ} المقتول مؤمنًا و{ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ} وعهد أمان وسلام{ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ} ثم قال تعالى:{ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ} أي فإن لم يجد القاتل خطأً تحرير رقبة لفقره{ فَصِيَامُ} أي فعليه صيام{ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ} لا فِطر بينهما{ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ} عن قتل المؤمن خطأً{ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا} بكل شيء{ حَكِيمٗا} فيما يشرّع.

ثمّ بيّن تعالى حُكم قتل المؤمن عمدًا فقال:{ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ} اوّلًا{ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا} في الآخرة، ثانيًا{ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ} في الدنيا والآخرة، ثالثًا{ وَلَعَنَهُۥ} تعالى، ومن اللعن ما هو ممتد إلى يوم القيامة كما لعن تعالى إبليس في قوله تعالى في سورة الحجر:{ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ}٣٥ ومن اللعن الطرد من رحمة الله تعالى بالختم على القُلوب والأسماع والأبصار فلا يدخلها إيمان لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ} ٧

وهذا من اللعن لقوله تعالى في سورة محمد:{ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ} ٢٣ ومن أسباب شدّة العقوبة في قتل المؤمن عمدًا، أنه هَدمٌ ونَقضٌ لتوحيد الله تعالى، وإقامة دينه في الأرض، إلّا أن يتوب لقوله تعالى في سورة الفرقان:{... وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا} ٧٠ والعقوبة الثالثة{ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا} في الدنيا والآخرة.

ثمّ حذّر تعالى من التسرع في القتل لأجل الغنية فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} مجاهدين{ فَتَبَيَّنُواْ} وتثبتوا قبل الإقدام على القتل{ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ} وتُريدون بقتله{ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا} وسبب نزول الآية كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: كان رجل في غُنَيْمَة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه

وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك{ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا}.

ثمّ بشّر تعالى المؤمنين فقال:{ فَعِندَ ٱللَّهِ} تعالى لكم{ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ} لم يأتي أجلها، فتبيّنوا قبل الإقدام على القتل{ كَذَٰلِكَ كُنتُم} كفّارًا{ مِّن قَبۡلُ} أن تسلموا{ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ} بالإيمان{ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا} يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

الملخص: –

بيّن تعالى حُرمة قتل المؤمن للمؤمن عمدًا بحال من الأحوال، وعلى قاتل المؤمن خطأ تحرير رقبة مؤمنة من الرق، ودية مسلمة إلى أهله، إلا أن يصدّق أولياء المقتول فيعفون عنه، فإن كان المؤمن المقتول خطأ يقاتل مع قوم عدوٍ لكم، فكفارته تحرير رقبة مؤمنة من الرق، ولا دية، وإن كان المقتول مؤمن ومن قوم بينكم وبينهم صُلح، فدية مسلمة إلى أهله، وتحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد تحرير رقبة لفقره، فصيام شهرين متتابعين توبة من الله تعالى، ومن قتل مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه، وأعد له عذاب عظيما، ألّا أن يتوب ويُصلح، وأمر تعالى بالتريث قبل الإقدام على القتل من أجل المغنم.

(٩٥-١٠٠) بيان فضل المجاهدين بالأموال والأنفس على القاعدين بعُذر وبغير عُذر، والتحذير من التخلف عن الهجرة مع القُدرة.

لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾

فاضَل الله تعالى بين أصناف من المؤمنين فقال:{ لَّا يَسۡتَوِي} في الأجر والثواب{ ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} وهم صنفان، الأوّل قاعدٌ بعذر، والثاني قاعدٌ بدون عذر، ثمّ قال تعالى{ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ} وهم الصنف الثاني{ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} وهم القُدوة{ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ} وحيث

أنّ الجهاد بالسلاح تكفَّلت به الدول في الوقت الحاضر، فهم يجاهدون لإقامة دينه تعالى في الأرض من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات ومن تَّعلُم وتَعلِيم، ودعوة الناس لدين الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره فـ{ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ} بِعُذر{ دَرَجَةً} والمعذورون هم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الفتح فقال:{ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ...}﴿١٧﴾ ومن في حُكمِهم{ وَكُلًّا} أي المجاهدون والقاعدون بِعُذر{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ} في الدنيا والآخرة{ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ} بأنفسهم وأموالهم{ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ} بدون عذر{ أَجْرًا عَظِيمًا} فتلك{ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ} تعالى{ وَمَغْفِرَةً} لذنوبهم في الدنيا{ وَرَحْمَةً} منه تعالى{ وَكَانَ ٱللَّهُ} قبل خلق السماوات والأرض{ غَفُورًا رَّحِيمًا}.

ثمّ بيّن تعالى عُقُوبة وجزاء المتخلفين عن الهجرة وعن الجهاد في سبيله بأموالهم وأنفسهم بدون عُذر، ويعيشون مع المشركين في مكّة المكرمة فقال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ} بتخلّفهم بدون عُذر، فتسألهم الملائكة{ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ} أي ما الذي شغلكم ومنعكم عن الهجرة إلى رسول الله ﷺ والجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم لتشدُّوا أزر المؤمنين{ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ} أي في مكّة{ قَالُوٓاْ} أي الملائكة:{ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا} كما

هاجر المؤمنون؟{ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا} وفلم ينفعهم عُذرهم، وسبب نزول الآية مختصرًا كما ورد في تفسير الطبري عن ابن عباس:" إن ناسًا مسلمين كانوا مع المشركين في مكّة، يُكَثِّرون سوادهم على النبي ﷺ في غزوة بدر، فيأتي السهم يُرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله"، وفي هذه الآية إشارة إلى فرض الهجرة على القادرين إلى المدينة المنورة والجهاد في سبيل الله تعالى بالأموال والأنفس.

ثمّ استثنى تعالى منهم فقال:{ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةً} ولا وسيلةً{ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلًا} ولا طريقًا للهجرة{ فَأُوْلَٰٓئِكَ} المستضعفين{ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا} ثمّ أشار تعالى إلى سننه في تيسير الهجرة لمن يعزم عليها فقال:{ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ} أي أنه سيجد له{ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا} أي سبلًا كثيرة ويسرًا لهجرته{ وَسَعَةًۚ} وتيسيرًا في الرزق، ومن الهَم والكرب كما ورد في تفسير الطبري{ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ} وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا" هاجر رجل من بني كنانة يريد النبي ﷺ، فمات في الطريق، فَسَخِر به قومه وقالوا: لا هو بلغ الذي يريد، ولا هو أقام في أهله يقومون عليه ويُدفن{ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} لهم ولأمثالهم.

الملخص: -

بيّن تعالى بأنّ للمجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم فَضلُ درجة على غير القادرين على الهجرة والجهاد في سبيله، كما ولهم فضل درجات ومغفرة من ربِّهم ورحمة على القاعدين بدون عذر، وأنّ للمتخلِّفين عن الهجرة والجهاد في سبيله بدون عُذر، ثمّ قُتلوا وهم في صفوف المشركين، فمأواهم جهنّم وساءت مصيرًا، واستثنى تعالى منهم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا للهجرة، وبيّن تعالى أنّ من سننه أن يهيئ لمن يعزم على الهجرة في سبيله سُبلًا كثيرة وسعةً وتيسيرًا، وأنّ من مات في هجرته فثواب أجره على الله.

(١٠١-١٠٤) قصر الصلاة للمسافر، وبيان كيفية أدائها عند الخوف من العدو، والأمر بإكثار الذكر بعد الصلاة.

وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ
خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿١٠١﴾
وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ
أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ
يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ
تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا

جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ
أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا
قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ
فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ
فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ
ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

بيّن تعالى للمؤمنين جواز قَصر الصلاة في السفر، وعند الخوف من العدو فقال:{ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ} مسافرين لكسب الرزق، أو سفرًا مباحًا{ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ} ولا إثم ولا حرج{ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ} الرباعية فتصلونها اثنتين{ إِنۡ خِفۡتُمۡ} أي وإن خفتم{ أَن يَفۡتِنَكُمُ} ويباغتكم أو يهجُم عليكم{ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ} فـ{ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ} للمؤمنين{ كَانُواْ} من الأزل{ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا} واضحًا ظاهرًا، لقوله تعالى في سورة البقرة:{... وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ}﴿٣٦﴾ يستثنى من الكافرين الذين قال تعالى فيهم في سورة الممتحنة:{ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ}﴿٨﴾.

ثمّ بيّن تعالى طريقة قصر الصلاة جماعة مع الرسول ﷺ فقال:{ وَإِذَا كُنتَ} ﷺ تُصلي{ فِيهِمۡ} أي أثناء السفر، أو عند الخوف من العدو{ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ} أي جماعة{ مِّنۡهُم مَّعَكَ} فيصلوا ركعة واحدة مع الرسول ﷺ{ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ} أي وليحملوا{ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ} أي الطائف الأولى{ فَلۡيَكُونُواْ} أي الطائف الثانية{ مِن وَرَآئِكُمۡ} منتبهين للعدو، فإذا أتموا الركعة الأولى قامت الطائفة الأولى ليحرسوا{ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ} أي الثانية{ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ} ركعة واحدة{ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ} واحترازهم{ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ} أثناء صلاتهم، ثمّ يجلس ﷺ للتشهد، وتُتِم الطائف الثانية الصلاة وتسلم، ثمّ تأتي الطائفة الأولى فتتم الصلاة وتسلم معه ﷺ، فقد{ وَدَّ} وتمنى{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ} وينقضّون{ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ} فيستولون على أسلحتكم وأمتعتكم، لا يستبقون منكم أحدًا.

ثمّ بيّن تعالى حالة أخرى فقال:{ وَلَا جُنَاحَ} ولا حرج ولا إثم{ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ} أو جَرحى{ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ} فيحرس بعضكم بعضًا، فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا} مخزيًا في الدنيا و{ مُّهِينٗا} في الآخرة، كقوله تعالى في سورة هود:{ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ

عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ}٣٩ ثم أرشد تعالى فقال:{ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ} في كل أحوالكم{ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ} تعظيمًا لشأنه تعالى، داعين تثبيت أقدامكم، والنصر على عدوّكم، وإلقاء الرعب في قلوبهم، وشفاء مرضاكم وجَرحاكُم.

ثمّ قال تعالى:{ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ} من عدوكم، وعدتم من سفركم{ فَأَقِيمُواْ} وأتموا{ ٱلصَّلَوٰةَۚ} كاملة دون قصر{ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ} المفروضة{ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا} لازمًا وفرضًا{ مَّوۡقُوتٗا} في أوقاتها الخمسة المعلومة، ثمّ قال تعالى:{ وَلَا تَهِنُواْ} ولا تضعُفوا ولا تيأسوا{ فِي ٱبۡتِغَآءِ} وتتبع والإغارة على{ ٱلۡقَوۡمِۖ} الذين يقاتلونكم، فـ{ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ} من الجراح والقتل{ فَإِنَّهُمۡ} أي الكافرين{ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ} إلَا أنّكم{ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ} النصر والمدد من ربكم، والنعيم في أُخراكم، وذاك الذي{ مَا لَا يَرۡجُونَۗ} والشيطان يَخذُلهم{ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا} بكل شيء{ حَكِيمًا} فيما يُشرع ويحكم لكم.

الملخص: -

شرع تعالى قصر الصلاة الرباعية في السفر وعند الخوف من العدو، وبيّن تعالى كيفية أداء الصلاة بحضرة الرسول ﷺ، فتُصلي جماعة معه ﷺ ركعة واحدة، والثانية تحرسهم، ثمّ تُصلي الجماعة الثانية ركعة مع الرسول ﷺ والأولى تحرس، وتُتِم الجماعة الثانية الركعة الثانية وتسلم، وتعود

للحراسة، وترجع الأولى لتتم الركعة الثانية وتسلم مع الرسول ﷺ، ثمّ أمر تعالى المؤمنين بكثرة الصلاة والذكر والدعاء في كل أحوالهم، وأن يُتموا الصلاة في حضرهم، وحضَّ المؤمنين أن لا يهنوا من تتبع عدوِّهم ولا ييأسوا عن قتالهم، وفما يرجوه المؤمنون من الله تعالى ما لا يرجوه الكافرون.

(١٠٥-١١٣) بيان الغاية من التنزيل، والتحذير من اكتساب الإثم واتهام الغير، والإشارة إلى فضله تعالى على رسوله ﷺ.

إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا
تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾
وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا
أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ
مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ
جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن
يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ
يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا
فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت
طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ

وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾

بيّن تعالى الغاية من إنزال القرآن فقال:{ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ} ولأمتك{ ٱلۡكِتَٰبَ} أي القرآن{ بِٱلۡحَقِّ} والعدل والصدق والعدل والقسطاس المستقيم، والدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، و{ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ} فيما شَجَرَ وتخاصموا بينهم{ بِمَآ أَرَىٰكَ} وعلّمك{ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا} مُدافعًا، وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان مختصرًا، أنّ زيد بن السمين اليهودي استودع طُعمة ابن أبيرق درعا من حديد ثمّ طلبه منه، فأنكر طُعمة الدرع، فأخبر زيد قومه، فأتوا دار طُعمة ليلًا، فلمّا أحسّهم طُعمة رماه في دار أبي مَليك الأنصاري، وأخبر قوم زيد، فأخذوه منه، وذهب قوم طُعمة للنبي ﷺ ليُبرؤوه، وقالوا: إن اليهود أتونا ليلًا وفضحونا، فصدَّقهم النبي ﷺ وبرَّأ طعمة، فقال أبي مليك: والله ما سرقتها يا أبا القاسم، ولكن طُرحت عليَّ! فنزلت الآية تفضح طُعمة.

فأرشد تعالى رسوله ﷺ فقال:{ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ} عمّا كان ف{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ} قبل الخَلق{ غَفُورٗا} لعباده{ رَّحِيمٗا} بهم، وقال:{ وَلَا تُجَٰدِلۡ} أي ولا تدافع{ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ} أي يخونون{ أَنفُسَهُمۡۚ} ويتهمون غيرهم كذبًا، ف{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا} بطبعه{ أَثِيمٗا} كثير الكذب،

فَهُم{ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ} فضيحة{ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ} ولا يخشون{ مِنَ ٱللَّهِ} العالم بخياناتهم{ وَهُوَ مَعَهُمۡ} شاهدًا{ إِذۡ يُبَيِّتُونَ} ويخفون في صدورهم{ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ} والكذب والزور{ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا} لا تخفى عليه خافية، ثمّ عاتب تعالى فقال:{ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ} ودافعتم{ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا} بحسن نواياكم{ فَمَن} سـ{ يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ} ويدافع{ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن} سـ{ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا} لنجاتهم في الآخرة.

ثمّ عرض تعالى التوبة على طُعمه وقومه فقال:{ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ} بذنبٍ أو معصية{ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ} مخلصًا{ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا} لذنوبه{ رَّحِيمٗا} لا يعاجل بالعقوبة{ وَمَن يَكۡسِبۡ} بفعله{ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ} ويجنيه{ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا} بكلِّ شيء{ حَكِيمٗا} فيما يُشرِّع، ويُمهل ولا يُهمل.

ثم حذّر تعالى الكاذبين فقال:{ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ} وِزرَ وسيِّئة{ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا} فسننه تعالى قائمة في الناس، كقوله تعالى في سورة الزمر:{ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ}﴿٢٦﴾ ثمّ أشار تعالى لفضله على رسوله ﷺ فقال:{ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ} فبصَّرك بحقيقة ما كان

بينهم{ وَرَحۡمَتُهُۥ} لك ﷺ{ لَهَمَّت} وأوشكت{ طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ} عن الحق{ وَمَا يُضِلُّونَ} بكيدهم ومكرهم{ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ} والله يدافع عن الذين آمنوا كما قال في سورة الحج:{ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ}٣٨ ثمّ قال تعالى:{ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ} من الوحي والحكمة{ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ} باصطفائك لرسالته{ عَظِيمٗا} جليلًا.

الملخص: –

بيّن تعالى أنّه أنزل القرآن حاكمًا بالحق بين النّاس، ونهى تعالى عن الجدل عن الخائنين الذين يخشون فضيحة الناس ولا يخشون عقوبة الله في الدنيا والآخرة، وبين تعالى قبول توبته للمستغفرين، وأنّ إثم الذنوب عائد على المذنبين، وحذّر من اكتساب الخطايا ورمي الآخرين بها زورًا وبهتانًا، وذكّر تعالى بفضله العظيم على رسوله بالرسالة والرعاية له من كيد الخائنين، وبما حباه تعالى واجتباه واصطفاه على الخلق أجمعين.

(١١٤-١٢٢) الحث على فعل الخير، وبيان سننه تعالى في العصاة،
وأن الشرك لا يغتفر، وبيان العهد الذي أخذه الشيطان على نفسه.

لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحِۭ بَيْنَ
ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾
وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ
بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا
﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ
ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن
يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ
وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا
يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَمَنْ
أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

ينبه الله تعالى المؤمنين فيقول:{ لَّا خَيْرَ} يجنيه الناس لدنياهم ولا لآخرتهم{ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ} وحديثهم{ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ} للمحتاجين{ أَوْ} أمر بـ{ مَعْرُوفٍ} في دين الله تعالى{ أَوْ} سعى في{ إِصْلَٰحِۭ}

خصومة{ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ} ثمّ اشترط تعالى فقال:{ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ} وخالصًا لوجهه تعالى{ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا} لا حدّ له، ولهم البشرى في الدنيا والفوز العظيم في الآخرة لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}﴿٦٤﴾ فكل فرد مسائل أمام الله تعالى عن أفعاله، لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن أبي برزة الأسلمي (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن عِلمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه"، فلإنسان إمّا أن يُمضي وقته في فعل خير ليكسب الثواب، أو في مباح مع الأهل والولد وصديق خير، وله أجر، أو يُضيِّع وقته في مباح ليس له فيه أجر، كاللعب مثلًا، فلا يجني منه خيرًا لآخرته، أو في باطل، فيجني إثمًا ووزرًا لدنياه وآخرته.

ف{ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ...}﴿١٥﴾ كما قال تعالى في سورة الجاثية، فعلى المسلم أن ينظر فيما يُمضي وقته، ويُقدم ما يستطيع من خيرٍ لدين الله تعالى، ليجد ثمرته في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة المُزمل:{... وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ

ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ...}﴿٢٠﴾ ومن واجبات المسلم إقامة الدين في الأرض لقوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...}﴿١٣﴾ ومنه دعوة النّاس لدينه تعالى، والذي هو من أفضل الأعمال لقوله تعالى في سورة فصّلت:{ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ}﴿٣٣﴾.

ثمّ حذّر تعالى فقال:{ وَمَن يُشَاقِقِ} ويخالف ويعصي ويخاصم{ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ} وتجلى ووضح{ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} فسننه تعالى وجزائه أن{ نُوَلِّهِۦ} ونصرفه إلى{ مَا تَوَلَّىٰ} من باطل، بل ويسلط الله تعالى عليه شيطانًا ليزيده ضلالًا لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ}﴿٣٧﴾ سواءً عُلِمَ بالجزاء السيئ أو لم يُعلم{ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ} في الآخرة{ وَسَآءَتۡ} وقبُحت{ مَصِيرًا} يصير إليه.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ} شيئًا أبدًا{ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ} من الذنوب{ لِمَن يَشَآءُۚ} بعلمه تعالى حقيقة ما في الصدور، وبعدله وبحكمته، ولا يظلم ربك أحدًا{ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا} عن هدي الله تعالى، ثمّ بيّن تعالى سبب الضلال

فقال:{ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا} أي أوثانًا كما ورد في التفاسير{ وَإِن يَدۡعُونَ} حقيقةً{ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا} متمردًا على الله تعالى وهديه، وقد{ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ} لعنةً أبدية لقوله تعالى في سورة الحجر:{ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ}﴿٣٥﴾ ثمّ أكّد الشيطان وأقسم{ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا} وقدرًا{ مَّفۡرُوضٗا} معلومًا عند الله{ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ} عن صراطك المستقيم{ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ} الأماني الكاذبة{ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ} وليقطعنّ{ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ} كالإبل والبقر وغيره{ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ} كالعبث بالفروج لهدم الجنسين الذكر والأنثى وغيره{ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا} وهاديًا ومرشدًا{ مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا} واضحًا، فالشيطان{ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ} كذبًا{ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا} وخداعًا، فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ} ونُزلهم ومقرّهم{ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا} ولا مهربًا ولا محيدًا، ثمّ امتدح تعالى المؤمنين فقال:{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا} وحديثًا.

الملخص: –

يُحذّر تعالى من كثيرًا مما يشتغل به النّاس، والذي لا يجنون منه خيرًا في الدنيا ولا في الآخرة، إلّا من أمر بصدقة للمحتاجين، أو

معروف عرّفه تعالى، أو إصلاح بين الناس ابتغاء مرضات الله، ومن سننه تعالى فيمن يشاقق ويعصي الرسول ﷺ وسبيل المؤمنين يغويه تعالى ويضله في الدنيا، ومنزله جهنّم في الآخرة، وأنّه تعالى يغفر ما دون الشرك به، وما يُغويهم إلّا الشيطان الذي أخذ العهد على نفسه إضلال نصيبًا مفروضًا حتى يغيرون خلق الله، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم الخلود في الجنان.

(١٢٣-١٢٦) بيان سننه تعالى العامّة فيمن أساء، ومن عمل الصالحات والحث على الالتزام بهدي الله تعالى.

لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾

أكَّد تعالى أنّ الدين ليس بالتمني فقال:{ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ} يا مشركي العرب{ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ} وسبب نزول الآية كما ذُكر مختصرًا في بعض التفاسير أنّ العرب قالت: لن نُعذب ولن نُبعث،

وقالت اليهود والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، فنزلت.

ثمّ بيَّن تعالى القاعدة العامة لسُننه في المسيئين فقال:{ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ} في الدنيا والآخرة، عَلموا بذلك أم لم يعلموا، فالله تعالى لا يهدي الكافرين عنادًا وعصيانًا كالمشركين لقوله في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ}۝٧ ويزيد الله تعالى المنافقين نفاقًا لقوله تعالى في سورة البقرة:{ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ}۝١٠ وييسر تعالى الاستهزاء في قلوب المستهزئين لئلا يؤمنوا لقوله تعالى في سورة الحِجر:{ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ}۝١٣ وقد أشرب الله تعالى في قلوب اليهود عبادة العجل عندما قالوا:" سمعنا وعصينا" كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ}۝٩٣ ثمّ قال

تعالى:{ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا} يحميه في الدنيا{ وَلَا نَصِيرٗا} من عذاب الله يوم القيامة.

ثمّ بيّن تعالى الجانب الآخر للقاعدة العامّة لسننه فقال:{ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا} والنقير هي النقرة الموجودة خلف نواة التمر، بل ويُبشّرهم تعالى بالحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء بأحسن ما عملوا في الآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}﴿٩٧﴾.

ثمّ بيّن تعالى أفضل الدين فقال:{ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا} أي ولا أحسن دينًا{ مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ} كرسول الله ﷺ والذين آمنوا معه، فأطاعوا في كل ما أُمِر به ونُهِيَ عنه{ وَهُوَ مُحۡسِنٞ} في عبادته، والله يحب المحسنين{ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ} مُخلِصًا{ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا} حيث توفرت فيه كل تلك الصفات الحسنة.

وقد أكّد تعالى أنّ دين الرسول ﷺ هو دين إبراهيم (عس) كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}﴿١٦١﴾ وقد أخذ تعالى العهد على أهل الكتاب الإيمان برسوله ﷺ ونصره عند دعوة موسى (عس)

لربّه في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}١٥٧ ومن أعرض فهم الخاسرون.

وهم يعرفون الرسول ﷺ كما يعرفون أبنائهم كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ}٢٠ وقد بيّن تعالى أنّه أرسل رسوله ﷺ للناس أجمعين، وأمرهم بالإيمان به في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ}١٥٨ وبذلك أبطل تعالى دعوة مشركي العرب وأهل الكتاب بأنّ الجنّة لهم وحدهم، وأكّد أنهم شر البرية لمّا كفروا برسوله ﷺ كما قال تعالى في سورة البينة:{ إِنَّ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ}﴿٦﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ} وهو تعالى غني عن العالمين، كما قال تعالى في سورة آل عمران:{... وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ}﴿٩٧﴾ { وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا} وعالمًا وخبيرًا.

المخلص: -

بيّن تعالى أنّ الدين ليس بالتمني كما ادعى مشركي العرب وأهل الكتاب، ولكن من يعمل سوءً يُجز به في الدنيا والآخرة، ولا يجد له وليًا ولا نصيرًا، ومن يعمل من الصالحات وهو مُحسنٌ فيدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرًا، ولا أحد أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله تعالى واتبع ملة إبراهيم حنيفا مخلصا، ولله تعالى ما في السماوات والأرض وغنيٌ عن العالمين، وقد أحاط بكل شيء علمًا.

(١٢٧-١٣٠) بيان بعض أحكام النساء واليتامى، والحثّ على الإصلاح بين الأزواج، وعند الخوف من النشوز.

وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا

نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ
خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا
تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا
تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا
حَكِيمٗا ١٣٠

يقول تعالى:{ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ} أي يسألونك{ فِي ٱلنِّسَآءِۖ} أي في حقوق النساء، وقد ورد في تفسير عبدالرزاق أنّهم كانوا في الجاهلية لا يُورِّثون النساء ولا الولدان الأطفال، فسألوا عن حُكمهم في الإسلام، فـ{ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ} ويبيّن لكم حقوقهم، فأبطل تعالى حكم الجاهلية، وأوجب تعالى لهنّ الميراث لقوله تعالى في سورة النساء:{ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا}٧ وبيّن تعالى أنّ لهنّ المهر للزواج منهنّ كما قال تعالى في سورة النساء:{ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا}٤ ثمّ قال تعالى:{ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ} أي ويبيّن لكم ما يتلى عليكم في القرآن من أحكام{ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ} الصغيرات و{ ٱلَّٰتِي} كنتم في الجاهلية{ لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ} وفُرض{ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ}

وورد في سبب نزول الآية مختصرًا في تفسير عبدالرزاق" كانت اليتيمة في حجر الرجل وفيها دمامة(أي ذميمة) فيرغب عنها، ولكن ينكحها رغبة في مالها"، فأوجب تعالى لهنّ الصَّداق، ثمّ قال تعالى{ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ} فبيّن تعالى حقوقهم، كقوله تعالى في سورة النساء:{ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا}٥ وكقوله تعالى في نفس السورة:{ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا}٦ وقال:{ وَأَن تَقُومُواْ} أي ويأمركم أن تقوموا{ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ} والعدل{ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ} لهم{ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا}.

ثمّ بيّن تعالى حكمًا آخر فقال:{ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ} وأحسّت{ مِنۢ بَعۡلِهَا} أي زوجها{ نُشُوزًا} أي نفورًا{ أَوۡ إِعۡرَاضٗا} أي رغبة في الزواج من غيرها{ فَلَا جُنَاحَ} ولا حرج{ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ} لاستدامة الزوجية{ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ} من الفراق{ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ} عند الصُلح، والمدارة كل طرف لمصلحته الخاصة، فأرشد تعالى إلى عدم الجَور فقال:{ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا}.

ثم بيّن تعالى الحكم في مسألة أخرى فقال:{ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ} أي بيّن الزوجات{ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ} وأردتم، بسبب ميلان القلب{ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ} عمَّن لا ترغبون فيهن{ فَتَذَرُوهَا} وتجعلوها{ كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ} أي لا هي كزوجة ولا هي مطلقة، وتذكروا رعايتهن لكم ولأبنائكم طيلة عِشرتهن، وأصبحن أسيرات عندكم{ وَإِن تُصۡلِحُواْ} معشر الأزواج{ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا} ثمّ قال تعالى:{ وَإِن يَتَفَرَّقَا} أي وإن اختار الزوجان الفراق بدل الصُلح، فسُننه تعالى أن{ يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا} منهما{ مِّن سَعَتِهِۦۚ} وجوده وفضله{ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا}.

الملخص: –

شرع تعالى نصيبًا من الميراث للنساء وصغار الولدان، وفرض الصَّداق للزواج من يتامى النساء، وأمر تعالى بالعدل لهم بعد أن حُرِمُوا في الجاهلية، وأرشد تعالى النساء للصلح عند توقع نشوز الأزواج، وأمر بالإحسان إليهن، ونهى الأزواج عن الميل المفرط عن الزوجات الكبيرات عند الزوجات من غيرهن، وأشار تعالى إلى سننه في التوسيع على الأزواج من فضله عند الرغبة في الفِراق.

(١٣١-١٣٦) تأكيد ملكه تعالى للسماوات والأرض، وعنده ثواب الدنيا والآخرة، والأمر بإقامة العدل والإيمان به وبرسله.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

يقول تعالى:{ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ} وخلقهما أعظم من خلق الناس كما قال تعالى في سورة غافر:{ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ}﴿٥٧﴾ فمن عِظم السماوات أنّ المسافات فيها تقاس بالسنين الضوئية، وهي المسافة التي

يقطعها الضوء في سنة واحدة، والتي تبلغ تسعة ونصف (٩,٥) ترليون كيلومتر تقريبًا، وأبعد نجم معروف يقع على بعد ثلاثة عشر (١٣) مليار سنة ضوئية، كما ورد في الموسوعة الحرة، والسماء في اتساع مستمر إلى الأجل المسمى عند الله لقوله تعالى في سورة الذاريات:{ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}﴿٤٧﴾ وقد جعل تعالى في كل سماء أمرها، وأعطى كل شيء فيهما خَلْقه وصورته وحجمه، وهداه ليقوم بوظيفته، وله تعالى الأمر فيهما، ولا يكون شيئًا في خلقه إلّا بإذنه.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا} وأرشدنا{ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ} وشرعنا لهم{ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ} ليفتح عليكم بركات السماوات والأرض، ويقيكم عقوبته لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ}﴿٩٦﴾ ثمّ حذّر فقال:{ وَإِن تَكۡفُرُواْ} معشر النّاس{ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا} عن خلقه كقوله تعالى في سورة آل عمران:{... وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ}﴿٩٧﴾ لا يضره كفركم وإعراضكم{ حَمِيدًا} للشاكرين، ومحمودًا على نعمه التي لا تعد ولا تحصى. وسننه تعالى قائمة فيمن كفر كما قال تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ

ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ}۝١٤.

ثمّ أكّد تعالى مرة أخرى وقال:{ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا} على تدبير أمرهما، وصِدق ما أخبركم به فـ{ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ} كما أهلك القرون من قبلكم{ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ} وأمّة بعد أُمّة كما هو الحال{ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا} لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات.

فـ{ مَّن كَانَ يُرِيدُ} ويحرص على{ ثَوَابَ} وجزاء{ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ} فلأوليائه البشرى في الحياة الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}۝٦٤ ويقيض تعالى شيطانًا لمن يُعرض لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ}۝٣٧ { وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا}.

ثمّ أمر تعالى المؤمنين بالتسامي في إقامة الحقّ والعدل في الأرض فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ} حريصين دائمًا وأبدًا،

في كل ما شَجر بين النّاس واختلفوا فيه{ بِٱلۡقِسۡطِ} والعدل{ شُهَدَآءَ} بالحق{ لِلَّهِ} تعالى{ وَلَوۡ} كان الحق{ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ} فـ{ إِن يَكُنۡ} الخصم أو المشهود عليه{ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا} فلا يصدنكم عن الحق{ فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ} والرغبات{ أَن تَعۡدِلُواْۚ} أي أن تجُوروا في الحكم بين النّاس حتى مع من تُبغضون لقوله تعالى في سورة المائدة:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّـٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ}﴿٨﴾ ثمّ حذّر تعالى فقال:{ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ} عن هدي الله تعالى ووصاياه{ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا} عليمًا بذات الصدور.

ثمّ أمر تعالى فقال:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ} بالله وصدّقوا رسوله{ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ} وأديموا الإيمان والتصديق به، وما يأمركم به{ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ} أي وآمنوا بالقرآن{ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا} عن الحق والهُدى والصراط المستقيم.

الملخص: -

أكّد تعالى ملكه للسماوات والأرض، وأوصى بالتقوى، وجزم بقدرته على الذهاب بمن في الأرض ويأتي بآخرين، وأكّد أنّ ثواب الدنيا

والآخرة له تعالى، وأمر بإقامة العدل حتى على النفس والوالدين والأقربين، وعدم اتباع الهوى، وأمر بالإيمان به ورسله وكتبه، والجزم بأنّ من كفر ضالّ.

(١٣٧-١٤٣) بيان سننه تعالى فيمن أصر على الكفر، والنهي عن مجالسة المستهزئين بالدين، وفضح رياء المنافقين، وبيان أن لا سبيل لهدايتهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ
يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا
سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ
فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى
جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ
أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ
وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ
لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ
خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ

ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

تتحدث الآيات كما ورد في التفاسير عن فئة من النّاس دأبهم الكفر بالرسل بعد إيمانهم، فلمّا بُعث موسى (عس) آمنوا به ثمّ كفروا، ولمّا بعث عيسى (عس) آمنوا ثمّ كفروا، فلمّا بُعث محمد ﷺ آمنوا ثمّ ازدادوا كفرًا، فقال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} برسل الله تعالى{ ثُمَّ كَفَرُواْ} بهم{ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا} ونفاقًا، فعقوبتهم الأولى أن{ لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ} ذنوبهم في الدنيا{ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا} للإيمان ثانيًا، كقوله تعالى في سورة التوبة:{ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ}٧٧ وأن يجعل تعالى لهم شيطانًا قرينًا يُضلّهم عن سبيله لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ}﴿٣٧﴾ وهذه الفئة متكررة على مدار التاريخ كقوله تعالى في سورة الذاريات:{ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ}﴿٥٣﴾.

ثمّ أنذر تعالى فقال:{ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا} في الآخرة، كقوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا}﴿١٤٥﴾ ثم بيّن تعالى بعض صفاتهم فقال:{ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ} وأخلاء وأحباء ومناصرين{ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ} ثمّ استنكر تعالى نهجهم فقال:{ أَيَبۡتَغُونَ} ويطلبون ويرجون{ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ} والنصر والرفعة والأنفة{ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ} خالصة{ لِلَّهِ جَمِيعٗا} بجميع صورها وأشكالها، ولرسوله ﷺ وللمؤمنين لقوله تعالى في سورة المنافقون:{... وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ}﴿٨﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَقَدۡ نَزَّلَ} وفرض{ عَلَيۡكُمۡ} معشر المؤمنين{ فِي ٱلۡكِتَٰبِ} أي القرآن الذي بين أيديكم{ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ} في مجلس من المجالس{ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ} ويتحدثوا{ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ} فإن رضيتم بمجالستهم وسماع كفرهم واستهزائهم بآيات الله ف{ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ} وعلى نهجهم، واعلموا{ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} ثمّ فضح سرائرهم فقال:{ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ} ويتحينون الفرص لمصالحهم{ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ} ونصر وغنيمة{ مِّنَ ٱللَّهِ} على عدوّكم{ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ} فاجعلوا لنا نصيبًا في مغانمكم{ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ} ونصر وهزيمة وقتل{ قَالُوٓاْ} لمن آمن منهم{ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ} ونبذل جهدنا{ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ} تأييد ومناصرة{ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ} فالهزيمة جزاءكم{

فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ} أبدًا{ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا} للسلامة والنجاة.

ثمّ فضحهم تعالى فقال:{ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ} بإعلان إيمانهم نفاقًا{ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ} في الدنيا، فيزيّن أعمالهم أولًا كقوله تعالى في سورة الأنعام:{... كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}﴿١٢٢﴾ ثانيًا{ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ} يصلون{ كُسَالَىٰ} متثاقلين، فهم{ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ} بأفعالهم وصلاتهم{ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ} حقيقةً{ إِلَّا قَلِيلًا} وتجدهم ثالثًا{ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ} أي بين الكفر والإيمان، فـ{ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ} المؤمنين{ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ} المنافقين، وذلك بسبب أنّه{ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ} عن دينه وهديه{ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا} لهدايته.

الملخص: –

أكّد تعالى أنّ المنافقين يزدادون كفرًا، ولم يكن الله تعالى ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلًا للإيمان، ولهم في الآخرة عذابًا مهينًا، بسبب أنهم يتخذون الكافرين أولياء ومناصرين، ويقمون للصلاة كُسالى، ويراؤون النّاس بأعمالهم، فنهى تعالى المؤمنين من مجالستهم، وأكّد حشرهم والكافرين في جهنّم جميعًا، فهم الذين يتربصون لمصالحهم عند النصر والهزيمة، وغايتهم مخادعة الله، فلا سبيل لهدايتهم.

(١٤٤-١٥٢) النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء، وبيان عقوبتهم، والأمر بعدم المجاهرة بالإثم والمفاضلة بين الرسل.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ
أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ
ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ
وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ
ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن
ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ
أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ
وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ
وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ
بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾

يحذّر تعالى المؤمنين فيقول:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ} بالله تعالى استكبارًا وعنادًا وعصيانًا{ أَوۡلِيَآءَ} وأحباء وأخلاء ومناصرين{ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ} الصادقين المخلصين{ أَتُرِيدُونَ} بموالاتهم{ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا} وحُجّة وعذرا دامغًا{ مُّبِينًا}

يستوجب عقوبتكم في الدنيا قبل الآخرة، كقوله تعالى في سورة المائدة:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ}﴿٥١﴾ ولقوله تعالى في سورة التوبة:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ}﴿٢٣﴾ ثمّ جزم تعالى فقال:{ إِنَّ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ} والطبق{ ٱلۡأَسۡفَلِ} من عقر جهنّم{ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا} في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يزيدهم تعالى نفاقًا لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}١٠.

ثمّ استثنى تعالى فقال:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ} أوّلًا عن نفاقهم{ وَأَصۡلَحُواْ} ما في قلوبهم وسرائرهم ثانيًا{ وَٱعۡتَصَمُواْ} وتمسّكوا بقوّة{ بِٱللَّهِ} وهدي رسوله ثالثًا{ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ} من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ لِلَّهِ} فيما بقي من أعماهم رابعًا{ فَأُوْلَـٰٓئِكَ} شركاء{ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ} في جزاءاتهم{ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} في الآخرة{ أَجۡرًا عَظِيمًا} لا يخطر على بال بشر، ثمّ قال تعالى:{ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ} أي لا حاجة لله تعالى أن يُعذِّبكم{ إِن شَكَرۡتُمۡ} نعمه التي لا تُعد ولا تحصى{ وَءَامَنتُمۡۚ}

بكتابه ورسوله ﷺ{ وَكَانَ ٱللَّهُ} قبل خلق الخلق{ شَاكِرًا} لمن يحمده ويستمسك بدينه وهديه{ عَلِيمًا} بكل شيء وسرائر ما تخفيه الصدور.

ثمّ قال تعالى:{ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ} والإفصاح بين الناس{ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ} قبيح{ ٱلْقَوْلِ} والتشهير بالآخرين كونه غيبةً{ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ} لبيان مظلمته، وفي حدود استرجاع حقّه والدفاع عن نفسه أما القضاء وغيره{ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} لا تخفى عليه خافية، ثمّ أشاد تعالى بفعل الخير فقال:{ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا} ليتأسى به الغير{ أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ} وتصفحوا{ عَن سُوٓءٍ} وقع عليكم{ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ} قبل الخلق{ عَفُوًّا} لمن تاب وأناب، فاعفوا عن الناس يعفوا تعالى عنكم، فهو{ قَدِيرًا} على إنزال العقوبة.

ثمّ حذّر تعالى فقال{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ} عنادًا واستكبارًا وعصيانًا{ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ} ويفاضلوا{ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ} ذريعةً{ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ} ونُصدِّق{ بِبَعْضٍ} الرسل{ وَنَكْفُرُ} ونُكذِّب{ بِبَعْضٍ} كما كفر يهود ونصارى برسول الله ﷺ{ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا} وذريعة للكفر، ولذم واستنقاص الرسل وما شرع الله تعالى لهم، فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ} وحقيقةً{ وَأَعْتَدْنَا} وهيأنا{ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} فمن سننه تعالى أن يمهلهم في الدنيا ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين في الآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلاَ يَحْسَبَنَّ

الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}١٧٨.

ثمّ قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ} فلهم الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء بأحسن ما كانوا يعملون في الآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}﴿٩٧﴾ ويزيدهم هدىً ويؤتيهم تقواهم لقوله تعالى في سورة محمد:{ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ}﴿١٧﴾ { وَكَانَ ٱللَّهُ} قبل خلق الخلق{ غَفُورٗا رَّحِيمٗا}﴿١٥٢﴾.

الملخص: -

يحذِّر تعالى المؤمنين من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، كونه يستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة، وبيّن أن المنافقين في الدرك الأسفل من النّار، إلّا الذين تابوا وأصلحوا، وجزم تعالى بأن لا حاجة لله بعذاب الشاكرين، ونهى تعالى عن المفاضلة بين الرسل للتقليل من شأنهم والكفر ببعضهم.

(١٥٣-١٦٢) الإشارة إلى تعنُّت يهود على مدى التاريخ، وبيان أنّ ربك لهم لبالمرصاد.

يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ

ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ
سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ
سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا
نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ
قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾
وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ
عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا
قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾
فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي
ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ
وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ
سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

يُشير تعالى إلى تعنّت يهود على مدى التاريخ فيقول لرسوله ﷺ:{ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ} من يهود{ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا} غير هذا القرآن{

مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ} لرفضهم كل ما لا تهواه أنفسهم كما قال تعالى في سورة المائدة:{... كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ}﴿٧٠﴾ ولا غرابة في طلبهم{ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ} عيانًا لنؤمن{ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ} فأهلكهم تعالى{ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ} معبودًا من دون الله{ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ} والمعجزات{ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ} بعد قَتْلِهِم عُبّاد العجل كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ}﴿٥٤﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا} وحُججًا دامغات{ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ} أي لمّا نقضوا التزامهم بالتوراة كما ورد في تفسير الطبري{ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ} من بيت المقدس{ سُجَّدٗا} مُطيعين متذللين، فدخلوا يزحفون على أستاءهم{ وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ} ولا تعملوا، بل تفرغوا للعبادة{ فِي ٱلسَّبۡتِ} كما ورد في تفسير الماوردي، فاعتدوا، فجعلهم تعالى قردة كما قال في سورة البقرة:{ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ}﴿٦٥﴾ ثم قال:{ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا} بالتمسك بكل بما جاء في التوراة{ فَبِمَا نَقۡضِهِم} أي فبسبب نقضهم{ مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم} بِرُسل الله، كمحمد

ﷺ وعيسى (عس)، و{ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ} على مدار التاريخ{ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ} والذين يأمرون بالقسط من النّاس{ بِغَيۡرِ حَقّٖ} كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١} { وَقَوۡلِهِمۡ} أي للرسول ﷺ{ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ} أي مُغلّفة لا تفهم ولا تقبل إلّا التوراة، فردّ تعالى عليهم فقال:{ بَلۡ} الحقيقة أن{ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا} وحلّت عليهم لعنته{ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ} برسوله ﷺ{ إِلَّا قَلِيلٗا} منهم{ وَبِكُفۡرِهِمۡ} أي وبسبب كفرهم بعيسى (عس){ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا} برميها بالزنا{ وَقَوۡلِهِمۡ} فخرًا{ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ} حقًا، ولكن نالوا إثم قتله بنيتهم{ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ} من حواريه{ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ} وقتلوا شبيهه{ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ} وفيمن قتلوا، و{ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ} حقّ{ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا بَل} الحقيقة أن{ رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا} لا يُغلب في كل شأنه، ولا في اسم ولا صفة من صفاته{ حَكِيمٗا} في كل شأنه.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ} أي بعيسى (عس) بعد نزوله و{ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ} في الأجل المسمى{ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا} ثمّ قال تعالى:{ فَبِظُلۡمٍ} ومظالم{ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ} في الدنيا{ وَبِصَدِّهِمۡ عَن

سَبِيلِ ٱللَّهِ} صدًا{ كَثِيرًا} وابتغائهم منهجًا معوجًّا عن هدي الله تعالى كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}(٩٩) { وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ} كقوله تعالى في سورة البقرة:{ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ}(٧٩) { وَأَعْتَدْنَا} وأعددنا{ لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

ولذلك فَسَيَسُوءُ تعالى وجوههم ويدمرهم تدميرا كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان في قوله تعالى في سورة الإسراء:{... فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا}(٧) ثمّ استثنى منهم فقال:{ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ} ﷺ{ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا}.

الملخص: -

أشار تعالى إلى تعنت يهود عبر التاريخ كطلبهم من الرسول ﷺ أن ينزل كتاب غير القرآن، وقد سألوا موسى (عس) رؤية الله علنًا، ثمّ

اتخذوا العجل معبودًا من بعد التوراة والمعجزات، ورفع الطور عليهم بنقضهم ميثاقهم، ودخُولِهم باب المقدس على أستاءهم، وتحايلهم في السبت، وكفرهم بآيات الله وبرسوله ﷺ، واتهامهم لمريم بالفاحشة، وتبجحهم بقتل عيسى (ع‍س) فحرّم الله تعالى عليهم طيبات أحلت لهم، وبصدهم الناس عن هدي الله تعالى، واستحلالهم الربا وأموال الناس بالباطل، والله تعالى سَيَسُوء وجههم في الدنيا، وسيُؤتي الله تعالى المؤمنين منهم أجرًا عظيمًا.

(١٦٣-١٧٠) تأكيد وحيُه تعالى لرسوله ﷺ، وبيان سننه تعالى فيمن كفر وصدّ الناس عن دينه، والأمر بالإيمان برسوله ﷺ.

إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ
إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ
وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن
قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمٗا ١٦٥ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ

لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ
فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠

أنكر من كفر من يهود بعثة الرسول ﷺ وقالوا:" ما نعلمُ اللهَ أنزل على بشر من شيء بعد موسى" كما ورد في تفسير الطبري، وقال المشركون لرسول ﷺ: لا نشهد لك بهذا فمن يشهد لك؟ فنزلت الآية كما ورد في تفسير السمرقندي، فشهد تعالى له ﷺ وكذّبهم وقال:{ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ} أي القرآن{ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ} والنبيِّين كما ورد في تفسير ابن أبي حاتم عن أبي أمامة قال: قلت: يا نبي الله، كم الأنبياء؟ قال:" مائة ألفٍ وأربعةً وعِشرون ألفا (١٢٤٠٠٠) الرُّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر (٣١٥) جما غفيرا".

ثمّ قال تعالى:{ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ} من قبل موسى (عس){ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ} من بعد موسى (عس){ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ} من قبل موسى (عس){ وَهَٰرُونَ} أخو موسى (عس){ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا} من بعد موسى (عس)، وبذلك قطع تعالى حجة المشركين ومن كفر برسول الله ﷺ من يهود، ثمّ قال تعالى:{ وَرُسُلٗا} غيرهم{ قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ} في القرآن{ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ

عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا} بينًا واضحًا، كما قال تعالى في سورة
مريم:{ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ
ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا
لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ
هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ
عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ
﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا
ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ
﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾
يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ
أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ}﴿٣٦﴾.

ثمّ أشار تعالى إلى واجب الرسل فقال{ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ} للمؤمنين في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا
خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ
ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ

ٱلۡعَظِيمُ}﴿٦٤﴾ {وَمُنذِرِينَ} لمن كفر في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ}﴿٧﴾ ثمّ بيّن تعالى الحكمة من إرسال الرسل فقال:{ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ} يوم القيامة{ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا} ليس كمثله شيء، غالبٌ في كل اسم من أسمائه وصفةٍ من صفاته{ حَكِيمًا} في كل شأنه، وفيما شَرَّع وقَضى، وما يُمضي من سنن في خلقه، ثمّ قال تعالى:{ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ} من قرآن{ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ} بذلك{ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا} على صِدقك ورسالتك.

ثمّ حذّر تعالى من كفر من أهل الكتاب والمشركين فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ} النّاس{ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} كذبًا وبهتانًا{ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا} عن هدي الله تعالى، ثمّ بيّن تعالى سننه فيهم فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا} إليه في الدنيا{ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ} في الآخرة{ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا}.

ثمّ أمر تعالى النّاس أن يؤمنوا برسوله ﷺ فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ} ﷺ{ بِٱلۡحَقِّ} والعدل والصدق والعدل والقسطاس

المستقيم، والدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه{ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ} وكقوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}﴿١٥٨﴾ ثمّ قال:{ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ} لا حاجة له لشيء، ولا إيمان أحد{ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا} بكل شيء{ حَكِيمًا} في كل شئنه.

الملخص: -

كذّب تعالى افتراء كفّار أهل الكتاب والمشركين، وجزم بأنّه أرسل رُسوله ﷺ للنّاس جميعًا، ثمّ ذكر تعالى بعض النبيين من قبل ومن بعد موسى (عس)، والذين جعلهم تعالى مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حُجَّة بعد الرسل، وجزم تعالى بضلال من كفر عنادًا وعصيانًا، وتوعدهم بأن لا هداية لهم في الدنيا، ويَخلُدون في جهنّم في الآخرة، وأمر النّاس بالإيمان برسوله ﷺ.

(١٧١-١٧٦) نهي أهل الكتاب عن المغالاة في الدين، وبيان حقيقة عيسى (عس) وجزاء المؤمنين والكافرين، وبيان الحكم في الكلالة لأب.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا
ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ
سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا
﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن
فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ
لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن
رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ
بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾
يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ
أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ
فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ
ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾

يُرشِد تعالى النصارى بأمرين فيقول:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ} أي لا تُغالوا ولا تبالغوا{ فِي دِينِكُمۡ} أوّلا، ثانيًا{ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ} بأنّه الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كُفوًا أحد{ إِنَّمَا} حقيقةَ{ ٱلۡمَسِيحُ} هو{ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ} وهي بنت عِمران، وليس له نسب غيره، ولكن{ رَسُولُ ٱللَّهِ} إلى الناس في زمانه لقوله تعالى في سورة الصف:{ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم ...}٦ { وَكَلِمَتُهُۥٓ} أي ووفاءً لكلمته تعالى ووعده التي{ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ} وبشَّرها به{ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ} أي ونفخ فيه من روحه، كما ينفخ تعالى الروح في كُلِّ البشر لقوله تعالى في سورة السجدة:{ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩} ثمّ أمر تعالى النصارى فقال:{ فَـَٔامِنُواْ} يا أهل الكتاب{ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ} أنّ الآلهة{ ثَلَٰثَةٌۚ} يؤتكم أجركم مرتين، فـ{ ٱنتَهُواْ} عن المغالاة في الدين{ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ} وتيقنوا{ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ} تقدس وتنزه عن{ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ} فـ{ لَّهُۥ} تعالى مُلك{ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ} وليس لأحدٍ فيهما من شيئٍ{ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا} على خلقه وما يخبركم به.

ثمّ بيّن تعالى حقيقة أخرى فقال:{ لَّن يَسۡتَنكِفَ} ولن يستعلي ولن يستكبر{ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ} وسُمّي بالمسيح لأنّه إذا مسح العليل أبرئه بإذن الله كما قال تعالى في سورة المائدة:{... وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ ...}﴿١١٠﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ} أي ولن تستنكف الملائكة{ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ} أن يكونوا عِبادًا لله{ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ} ويستعلي{ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا} يوم القيامة{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ} في الدنيا كقوله تعالى في سورة الحج:{ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ}﴿٣٨﴾ { وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ} وجوده وكرمه يوم القيامة{ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ} واستعلوا{ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ { وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا} يُغني عنه من شيء{ وَلَا نَصِيرٗا} ينصره من بأس الله تعالى، ثمّ أمر تعالى النّاس بالإيمان برسوله ﷺ وكتابه فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ} أي رسوله ﷺ بالدلائل والمعجزات{ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا} وقرآنًا وفرقانًا{ مُّبِينٗا} لكل ما اختلف فيه{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ} وتمسكوا{ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ} يوم القيامة{ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا} في الدنيا، كقوله تعالى في سورة

المائدة:{ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ}﴿١٦﴾.

ثمّ قال تعالى:{ يَسۡتَفۡتُونَكَ} ويسألونك في المواريث{ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ} ويُشرِّع لكم{ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ} الذي ليس له أصلٌ ولا فرعٌ من نَسَبِه، لا ذكورًا ولا إناثًا{ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ} منهم{ هَلَكَ} فمات و{ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ} لا ذكر ولا أُنثى{ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ} لأب{ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ} من تركة{ وَهُوَ يَرِثُهَآ} بكامل تركتها{ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ} لا ذكرًا ولا أنثى{ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ} لأب{ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ} لأب{ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ} فـ{ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ} أي لئلا تضلوا{ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ} فبيّن لكم.

الملخص: -

نهي الله تعالى أهل الكتاب عن المغالاة في الدين، وأمرهم أن يقولوا على الله الحق، وبيّن تعالى حقيقة عيسى (عس)، وأمرهم بالإيمان برسوله ﷺ وما أُوحي إليه، وبيّن جزاء المؤمنين والكافرين، والحكم في تركة الكلالة للإخوة لأب.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المائدة ترتيبها (٥) آياتها (١٢٠)

(١-٣) الأمر بالوفاء بالعقود، وبيان محرمات الإحرام والأطعمة وإباحتها للمضطر، والأمر بعدم الخشية من الكافرين، وتأكيد إتمام النعمة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ
عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ
وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ
فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن
تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ
وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ
فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ
أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ
دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾

يأمر تعالى المؤمنين فيقول:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ} والعهود والمواثيق مع الله تعالى فيما شرع لكم، ومع النّاس إذا تعاهدتم وتعاقدتم، فـ{ أُحِلَّتۡ لَكُم} ما ذُبح من{ بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ} من الإبل والبقر والغنم والصيد{ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ} منها في كتابه العزيز{ غَيۡرَ مُحِلِّي} ولا مستحلي{ ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ} بالعمرة أو الحج، كقوله تعالى في سورة المائدة:{... وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ ...}﴿٩٦﴾ { إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ} ويُشرع{ مَا يُرِيدُ} من فرائض وحدود، وأوامر ونواهي بسابق علمه، وليصلح شأنكم، و{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ} ما فرض عليكم من{ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ} للحجّ والعمرة كما فعل المشركين من قبل، واسعوا بين الصفا والمروة، وقفوا بعرفة والمزدلفة، والتزموا بما شرع لكم{ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ} أي ولا تستحلوا القتال في الأشهر الحُرُم، إلّا إذا اعتديَ عليكم{ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ} أي ولا تعتدوا على ما أُهدي لفقراء الحرم من الأنعام{ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ} أي ولا تستحلوا الأنعام المقلدة التي تهدى لفقراء الحرم{ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ} أي ولا تعتدوا على المتوجهين إلى البيت الحرام للحج أو العمرة، فهم{ يَبۡتَغُونَ} ويلتمسون{ فَضۡلٗا} من تجارةٍ ورزقًا حسنًا{ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ} من نُسكهم{ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ} وأتممتم مناسككم من حج أو عمرة{ فَٱصۡطَادُواْۚ} ما حَرُم عليكم وانتم محرمين{ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ}

أي ولا يَحمِلكم{ شَنَـَٔانُ} وبُغض{ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ} من قبل{ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ} عليهم وهم محرمين لحج أو عمرة.

ثمّ أمر تعالى فقال:{ وَتَعَاوَنُواْ} معشر المؤمنين{ عَلَى} فِعل{ ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ} معصية{ ٱللَّهَۖ} فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ} في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثمّ بيّن تعالى بعض المحرمات من الأطعمة فقال:{ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ} وهي التي فارقتها روحها دون تذكية{ وَٱلدَّمُ} أي وأكل الدم المسفوح، لعظم ضررها، فكما ذكر في الموسوعة الحرة أنّ الدم يحمل الخلايا الميتة والمستبدلة من الجسم إلى البراز، كما ويحمل ثاني أكسيد الكربون الذي تتخلص منه الرئتان، والبولينا الذي تتخلص منه الكلى، وما يتخلص منه الكبد من سموم غير ذلك، فهو مادة خصبة لنمو الجراثيم والبكتيريا والفيروسات خاصّة بعد الموت{ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ} أي وحرّم عليكم لحم الخنزير للنهي الذي ورد في سنن الإمام الترمذي عن ابن عمر (رلع) قال:" نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة والبانها"، والجلالة هي التي تتغذى على القذر، فينمو جسمها منه كالخنزير، بالإضافة إلى أنّ الخنزير ينقل بعض أمراض الديدان كالخطافية والدبوسية ودودة الخنزير الشريطية كما ذكر في الموسوعة

الحرة{ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ} أي وما ذبح للأصنام والجن، أو ما لم يذْكر اسم الله عليه{ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ} أي وحرَّم عليكم المُختَنِقَة بحبل أو بغيره، فهي في حُكم الميتة{ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ} أي التي ماتت بالضرب، أو في حادث سيارةٍ أو غيره{ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ} أي التي سقطت من شاهق كجبل فماتت{ وَٱلنَّطِيحَةُ} أي ماتت بسبب النطح من غيرها{ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ} أي ما افترسه الوحش، ثمّ استثنى تعالى فقال:{ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ} أي ما أدركتم منها حيًّا فذبحتموه فهي حلال، ثمّ قال تعالى:{ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ} أي لأجل الأصنام والجن، وما يعبد من دون الله{ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ} أي وحرّم عليكم أن تطلبوا الحظ والنصيب{ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ} أي بالأشياء التي يكتب عليها الحظ، كلا تفعل أو افعل، أو أمرني ربِّي أو نهاني ربِّي، فـ{ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ} وخروج عن هدي الله تعالى وشرعه.

ثمّ قال تعالى:{ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ} وانقطع طَمَع وأمل{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن} أن ترجعوا عن{ دِينِكُمۡ} كفّارًا، فعزموا على قتالكم{ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ} ولا تخافوهم{ وَٱخۡشَوۡنِۚ} واتقون فـ{ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ} شرائع{ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي} بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليُظهره وينصره على الدين كُلّه، ونفي المشركين عن البيت الحرام{ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ} ومنهجًا وصراطًا مستقيمًا، وسبب نزول الآية كما ورد مختصرًا في تفسير الطبري قال يهودي لعمر بن

الخطاب (رلع): لو نعلم ذلك اليوم لاتخذناه عيدًا! فقال عمر (رلع): قد عَلِمتُ اليوم الذي نزلت فيه، والساعة، وأين رسول الله ﷺ، نزلت على رسول الله ﷺ يوم عرفة، يوم جمعة، حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام (أي حرَّمه عليهم)، وأخلص للمسلمين حجهم{ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ} لأكل شيئٍ مما حُرِّم{ فِي مَخۡمَصَةٍ} أي في مجاعة{ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ} أي متعمدٍ{ لِّإِثۡمٖ} ومعصية{ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} فالضرورات تبيح المحظورات كلٌ بحسبه.

الملخص: -

أمر الله تعالى المؤمنين بالوفاء بالعقود مع الله تعالى ومع النّاس، وبيّن محرمات الإحرام للحج والعمرة، وأمر بإتمام مناسكهما، وبيّن محرمات الأطعمة وأحلَّها للمضطر، وأتمّ النعمة على المؤمنين بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ونصر دينهم على كل دين، وقطع طمع الكافرين من كفر المؤمنين، وأمر بعدم الخشية من الكافرين.

(٤-٧) بيان ما أُحلّ من الأطعمة والأزواج، وأوجه الوضوء للصلاة، والتذكير بالالتزام بميثاق الله تعالى.

يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ

وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ
لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ
وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن
قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ
أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ
ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ
وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى
ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ
أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا
طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم
مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ٦ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ
قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧

ورد في تفسير السمرقندي أنهم سألوا رسول الله ﷺ: ماذا رُخِّص لهم من الصيد؟ فقال تعالى:{ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ} أي ما طاب من الأطعمة غير فاسد ولا مُخَمَّر{ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ} أي وما اصطادت لكم الجوارح من الطير أو الكلاب المدربة وغيره، وللائي{ تُعَلِّمُونَهُنَّ} وتدربهن شيئًا{ مِمَّا عَلَّمَكُمُ

ٱللَّهُۖ} أي مما منحكم تعالى من قدرة تعليم الجوارح للصيد{ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ} أي لكم، ولا تأكلوا مما اصطادت لنفسها فأكلت منه، فحُكمُه كحُكم ما أكل السَّبُع{ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ} عند اطلاقها للصيد{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ} واحذروا مخالفة أحكامه وشرائعه التي شرعها لكم{ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ} فيُحاسب خَلقه في آن واحد، كما يرزقهم ويسمعهم ويَعلم ما يفعلون في آن واحد.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ} من الأطعمة غير فاسد ولا مُخمّر{ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ} ومن الأنعام ما ذُبح{ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ} ثمّ بيّن تعالى ما يحل من الأنكحة فقال:{ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ} أي وأحلّ لكم الزواج من العفيفات{ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ} العفيفات{ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ} كاليهود والنصارى، ثمّ اشترط فقال:{ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} ومُهورهن، على أن تكونوا{ مُحۡصِنِينَ} أي تريدون أن تحصنوا أنفسكم من الوقوع في الزنا{ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ} غير قاصدين الزنا ولا الفجور{ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ} أي ولا بقصد اتخاذ الصواحب أو خِلّات{ وَمَن يَكۡفُرۡ} ويجحد{ بِٱلۡإِيمَٰنِ} وما شرع الله تعالى ورسوله ﷺ{ فَقَدۡ حَبِطَ} وبطل صالح{ عَمَلُهُۥ} في الدنيا{ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ} في النَّار.

ثمّ ذكر تعالى أوجه وأحوال الوضوء لإقامة الصلاة، وبدأ بالحال الشائع فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ} أي وأنتم محدثون الحدث الأصغر، ثمّ ذكر أركان الوضوء فقال:{ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ} حتى يسيل الماء على الوجه، ولا يكفى المسح{ وَأَيۡدِيَكُمۡ} أي وغسلوا أيديكم{ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ} أي إلى مِفصَل الذراع{ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ} مرّة واحدة{ وَأَرۡجُلَكُمۡ} أي واغسلوا أرجلكم{ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ} أي إلى مِفصل القدم، ويستحب إطالة غرّة اليدين والرجلين، لما ورد في صحيح الأمام مسلم عن نعيم بن عبد الله أنه رأى أبا هريرة يتوضأ، فغسل وجهه ويديه حتى كاد يبلغ المنكبين، ثم غسل رجليه حتى رفع إلى الساقين، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن أمتي يأتون يوم القيامة غرًا مُحجَّلِين من أثر الوضوء، فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل".

ثمّ ذكر تعالى الحال الثاني فقال:{ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا} من الحدث الأكبر بملامسة النساء وأنتم مقيمين{ فَٱطَّهَّرُواْۚ} بالاغتسال، ثمّ ذكر الحال الثالث فقال:{ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ} يتعذّر عليكم استخدام الماء{ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ} والماء قليل{ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ} فبطل وُضوئه{ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ} بجماع{ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ} للغسل أو التطهر{ فَتَيَمَّمُواْ} عوضًا عن الوضوء أو الاغتسال{ صَعِيدٗا} أي مما صعد على وجه الأرض من تراب، بشرط أن يكون{ طَيِّبٗا} لا نجسًا{ فَٱمۡسَحُواْ

بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم} إلى المرافق{ مِّنۡهُۚ} ولا تجب إعادة الصلاة في الحضر، فـ{ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ} بهذه الشرائع{ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ} في الأمور التي أباحها للمسلمين، فبيّن محرمات الإحرام للحج والعمرة، وأمر بإتمام مناسكهما، ونفي المشركين عن البيت الحرام، وبيّن محرمات الأطعمة وأحلَّها للمضطر، وأحلّ صيد الجوارح، وطعام أهل الكتاب، ونكاح المحصنات من أهل الكتاب، والأوجه المختلفة للوضوء{ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ} من الأحداث ورجز الشيطان وخبثه، كقوله تعالى في سورة الأنفال:{... وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ...﴿١١﴾} ثمّ بيّن تعالى الغاية الثانية من تلك الأحكام فقال:{ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ} تخفف الشرائع لكم، ورفع الحرج عنكم{ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ} إذ منَّ عليكم بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليُظهره على الدين كُلِّه{ وَمِيثَٰقَهُ} أي واذكروا ميثاقه{ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ} بالالتزام بما شرع لكم من أحكام{ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا} وآمنّا{ وَأَطَعۡنَاۖ} ما شرعت لنا كقوله تعالى في سورة الرعد:{... إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ

بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ}﴿٢٢﴾ { وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ} واحذروا مخالفته وعصيانه في السرِّ والعلن، فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ} وطبائع{ ٱلصُّدُورِ} وما تُخفيه.

الملخص: -

بيَّن تعالى ما أُحلّ للمؤمنين من الأطعمة والأزواج، وبيّن أحكام التطهر لأداء الصلاة، وأمر المؤمنين بذكر الميثاق الذي أخذه عليهم بالسمع والطاعة لما شرع لهم.

(٨-١٤) الأمر بالثبات على إقامة العدل، والإشارة إلى جزاء المؤمنين والكافرين، وبيان سننه تعالى فيمن كفر من أهل الكتاب.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ
شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ
وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ
﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ
إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ * وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ
نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم
بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ

سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ
ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ
وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ
بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ
فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤

يأمر تعالى المؤمنين المداومة على إقامة العدل فيقول:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ} أي حريصين مداومين على القيام{ لِلَّهِ} وحده وابتغاء مرضاته، و{ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ} والعدل في كل أحوالكم{ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ} أي ولا يحملنّكم{ شَنَـَٔانُ} أي بُغض{ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ} في حقّهم، فـ{ ٱعۡدِلُواْ} وأقسطوا لهم{ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ} التي ترجونها{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ} في كل شأنكم لاتقاء غضبه تعالى وعقوبته، فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ} بكم و{ بِمَا تَعۡمَلُونَ} وقد{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ} من ذنوبهم في الدنيا{ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ} في الآخرة{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ} عنادًا وعصيانًا واستكبارًا{ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ} ورفقاءها ونُزلاءها.

ثمّ ذكّر تعالى المؤمنين بنعمةٍ كانت عليهم فقال:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ} لقتالكم والغدر بكم{ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ} وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير الطبري وغيره مختصرًا أن رسول الله ﷺ خرج إلى بني النضير ليستعين بهم في دية كافرين قتلهما المسلمون خطأً، فَهَمَّ بنو النضير بقتل النبي ﷺ بإلقاء رحى عليه من على جدرانهم، فأوحى تعالى للنبِيّه ﷺ فخرج من عندهم، وسار إليهم بجيش فحاصرهم، وأمر بقطع النخيل حتى قالوا: أتُؤَمِّنُنا على دمائنا وذرارينا، وعلى ما حملت الإبل إلا الحلقة، يعني السلاح؟ قال: نعم، ففتحوا الحصون، وأجلاهم ﷺ إلى الشام عقوبة لغدرهم، ثمّ قال تعالى:{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ} في كلّ شُؤُنكم{ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ} لنصرهم وتأييدهم، وعلّق الطبري في تفسيره مختصرًا على تلك الحادثة فقال: لا تستعظموا أمر الذين همُّوا ببسط أيديَهم إليكم من هؤلاء اليهود، ولا أمر الغدر الذي حاولوه وأرادوه بكم، فإن ذلك من أخلاق أوائِلِهم وأسلافهم، ولا يَعْدُون أن يكونوا على منهاج أوَّلهم وطريق سلفهم.

ثمّ ذكّر تعالى المؤمنين بعقوبته في الدنيا لنقض بني إسرائيل مواثيقهم فقال:{ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ} من قبل{ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ} أي نقيبًا من كل سبطٍ من بني اسرائيل{ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي

مَعَكُمۡۖ} مؤيدًا ونصيرًا، وبيّن شروط ميثاقهم فقال:{ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ} المفروضة عليكم{ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ} للمحتاجين من الناس، فخصصوها لبني إسرائيا{ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي} جميعًا، فكفروا بعيسى (عس) ورسول الله ﷺ{ وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ} ونصرتموهم، فحاولوا قتل عيسى (عس) والغدر برسول الله ﷺ{ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا} بالنفقة من أموالكم وأنفسكم في سبيل الله تعالى لإقامة دينه في الأرض، والذي نقضوه{ لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ} في الدنيا{ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ} في الآخرة{ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} والصراط المستقيم{ فَبِمَا} أي فبسبب{ نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ} أوّلًا في الدنيا، وطردناهم من رحمتنا بصم آذانهم وإعماء أبصارهم حتى لا يؤمنوا كما قال تعالى في سورة محمد:{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ}﴿٢٣﴾ والعقوبة الثانية{ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ} فأصبحوا{ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ} المُنزَّل عليهم في التوراة{ عَن مَّوَاضِعِهِۦ} ومقاصده ومعانيه{ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ} في التوراة{ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ} إلى يومكم{ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} ثمّ ذكّر تعالى بعقوبة النصارى لمّا نسوا ما ذُكّروا به فقال:{ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا

ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ} عقوبةً لهم في الدنيا{ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ} في الآخرة.

الملخص: -

أمر تعالى المؤمنين بالاستقامة على إقامة العدل والالتزام بمواثيقه، وذكّرهم بنعمته عليهم بِكف أيدي كفرة بني إسرائيل لما عزموا على الغدر برسوله ﷺ، وحذّر تعالى المؤمنين من نقض مواثيقهم، فتحل عليهم عقوبته تعالى كما حلّت على أهل الكتاب الذين نقضوا مواثيقهم وكفروا برسوله ﷺ.

(١٥-١٩) أمر أهل الكتاب بالإيمان بالرسول ﷺ، وتكفِير المألهين لعيسى (عس) وأمّه، ونفي محبَّته تعالى لهم، وتحذيرهم من الكفر بالرسول ﷺ.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ
مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥
يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى
ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ
ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَقَالَتِ

ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ
بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ
جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ
بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩

أمر تعالى أهل الكتاب بالإيمان برسوله ﷺ فقال:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ} وأهل الكتاب طائفتان، الطائفة الأولى أتباع موسى (عس) ومن يتبعهم إلى قيام الساعة، وهم اليهود، والطائفة الثانية هم أتباع عيسى (عس)، وهم النصارى، وليس من اليهود إبراهيم (عس) لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}٦٧ وليس من اليهود إسماعيل (عس) ولا إسحاق (عس) ولا يعقوب (عس) ولا الأسباط لقوله تعالى في سورة البقرة:{ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ}١٤٠ رغم النسب بينهم.

ثمّ قال تعالى لأهل الكتاب، أي اليهود والنصارى:{ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا} محمد ﷺ{ يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ} كمعرفتهم برسول الله ﷺ لقوله تعالى في سورة البقرة:{ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ

كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ}١٤٧ وقد أخذ تعالى العهد عليهم بالإيمان به ﷺ ونصره، واتباع النور الذي أُنزل معه لقوله تعالى في سورة الأعراف:{... وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}١٥٧.

ثمّ قال:{ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ} إن استغفروا لما أخفوا، وتابوا وبينوا ما يخفون، وآمنوا برسوله ﷺ، فـ{ قَدۡ جَآءَكُم} يا أهل الكتاب{ مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ} أي رسول الله ﷺ كما ورد في تفسير الطبري{ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ} أي القرآن، ويجوز أن تكون صفة النور للقرآن{ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ} أي بالقرآن{ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ} أي ما يُرضي تعالى من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، والتي هي{ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ} للنّاس في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}٩٧ كما{ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ} والأباطيل والخرافات والتحريف، وما شرَّعوهُ لأنفسهم بغير حقّ{ إِلَى ٱلنُّورِ} الذي جاء به

الرسول ﷺ وما أوحي إليه من القرآن العزيز{ بِإِذۡنِهِۦ} تعالى، ولا يكون شيئًا في الوجود إلّا بإذنه ومشيئته سبحانه، فالقرآن هدىً للمتقين وخسارًا للظالمين لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا}﴿٨٢﴾ { وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ} قويم، لا عِوج له ولا ضلال فيه، وفي تلك الآيات أمر لأهل الكتاب بالإيمان برسوله ﷺ ونصره وما أوحي إليه، فهو ناسخٌ لما معهم.

ثمّ كفّر تعالى النصارى المُألهين لعيسى (عس) فقال:{ لَّقَدۡ كَفَرَ} بالله{ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ} بنت عمران، فكيف يكون إلهًا؟ و{ قُلۡ} لهم{ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا} أي من يملك ردَّ قضائه تعالى{ إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ} ولا رادَّ لقضائه{ وَلِلَّهِ} وحده{ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ} وما فيهما، غنيٌ عن كل خلقه{ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ} بلا حدود ولا قيود{ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} كقوله تعالى في سورة فاطر:{... وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا}٤٤.

ثمّ استنكر تعالى على أهل الكتاب فقال:{ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ} ليرفعوا من شأنهم ومكانتهم، فـ{ قُلۡ} ردًا عليهم{ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم} في الدنيا بسننه{ بِذُنُوبِكُمۖ} وبسبب معاصيكم؟ وقد هزمهم المسلمون وأخرجوهم من جزيرة العرب{ بَلۡ} الحقيقة{ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ}

وسننه وجزاءاته ماضية فيهم كما هي ماضية في الناس، فـ{ يَغۡفِرُ} تعالى{ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ} بعدله وحكمته وعلمه بما يعملون وما تخفيه الصدور، ولا يظلم ربك أحدًا{ وَلِلَّهِ} وحده{ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ} في الدنيا والآخرة.

ثمّ دعا تعالى أهل الكتاب للإيمان برسوله ﷺ فقال:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا} محمد ﷺ{ يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ} انقطاع{ ٱلرُّسُلِ} أي بعد أكثر من ستمائة (٦٠٠) عام من بعثة عيسى (عس){ أَن تَقُولُواْ} أي لئلّا تقولوا يوم القيامة{ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ} يدعونا للإيمان{ فَقَدۡ جَآءَكُم} رسوله ﷺ وكتابه{ بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} فآمنوا به وانصروه ووقروه وعَظِموه وفاءً للميثاق الذي واثقكم به، والذي تعرفونه كما تعرفون أبنائكم.

الملخص: –

ذكّر تعالى أهل الكتاب بإرسال رسوله ﷺ مُبيِّنًا لهم كثيرًا مما كانوا يخفون من كُتبهم، ولُيخرجهم من الظلمات التي حرّفوها، إلى النور الذي مع رسوله ﷺ، وكفَّر المألهين لعيسى (عس) وأمّه، ونفي تعالى بُنُوته لهم وحُبَّه، وأكّد أنّ سننه وجزاءاته ماضيةً فيهم كبقيّة البشر، ودعاهم للإيمان بالرسول ﷺ وبكتابه العزيز ونصره وتوقيره وتعظيمه، وناسخًا لكا ما أوحي إليهم.

(٢٠-٢٦) الإشارة إلى تعنت بني إسرائيل لمّا أمرهم موسى (عس) دخول بيت المقدس، وبيان عقوبتهم في الدنيا وخسرانهم في الآخرة.

وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ
وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ
ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ
خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ
مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن
كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ
وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ
بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي
ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

أشار تعالى إلى جانبٍا من تعنت ومشاقة بني إسرائيل لموسى (عس) لمّا أمرهم دخول بيت المقدس فاتحين فقال:{ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ} بسيناء{ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ} أي إذ نجّاكم من آل فرعون دون قتال، وشقّ لكم البحر وأغرق فرعون وجنوده كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن

رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ}﴿٥٠﴾ وفي ذلك آية ودلالة واضحة على عظم قدرته تعالى على نصرهم{ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ} كُثر{ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ} كالمن والسلوى، وتظليل الغمام، وانفجار الماء من الحجر كقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ}﴿٦٠﴾ وقوله تعالى في نفس السورة:{ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ}﴿٥٧﴾.

فالتمكين للرسل والمؤمنين في الأرض من سننه تعالى لقوله تعالى في سورة غافر:{ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ}﴿٥١﴾ ولقوله تعالى في سورة الصافات:{ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}١٧٣ وذلك النصر مشروط لقوله تعالى في سورة الحج:{ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}﴿٤٠﴾ وكانت الرسل تسوس وترعى بني إسرائيل لما ورد في مسند الإمام إسحاق بن راهويه عن أبي هريرة (رلع) عن رسول الله ﷺ قال: إن بني إسرائيل كانت تسوسهم

الأنبياء، إذا مات نبي قام نبي مكانه، وإنه لا نبيَّ بعدي، قالوا: فما يكون يا رسول الله؟ قال: خلفاء، ويكثروا، فأدُّوا إليهم حقَّهم، وسلوا الله الذي لكم. "وكانت الأنبياء تُعلمهم من أمور الدنيا والآخرة، وأمر الوحي والحكمة، فصاروا علماء زمانهم، وأصبحوا أوّل من ملك الخدم" كما ورد في التفاسير.

وبعد تلك النِّعم ابتلاهم تعالى وامتحنهم بدخول بيت المقدس، فأمرهم موسى (عس) وقال:{ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ} المباركة{ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ} ووعد وقضا وقدّر{ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ} عاصين أمر ربكم{ فَتَنقَلِبُواْ} بعد تلك النِّعم{ خَٰسِرِينَ} نادمين في الدنيا والآخرة، فاعتذروا و{ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ} غلاظ شداد ولا طاقة لنا عليهم، لحرصهم الشديد على حياة أيّا كانت كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ ...}﴿٩٦﴾ وكما هو معلوم أنّهم لم يحركوا ساكنا تحت إمرة فرعون الذي استعبدهم وسامهم سوء العذاب، ولكن قابلوا تلك النعم بالعصيان وقالوا:{ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا} أي أبدًا{ حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا} دون جُهدٍ وقتال{ فَإِنَّا دَٰخِلُونَ}.

ف{ قَالَ رَجُلَانِ} أي موسى وهارون- عليهما السلام-{ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ} عقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة{ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا} بثبات

الإيمان{ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ} أي باب بيت المقدس{ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ} إن شاء الله، أي كما نصركم على فرعون{ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ} بنصركم{ إِن كُنتُم} حقًا{ مُّؤۡمِنِينَ} فتعنَّتوا واستنكروا واستكبروا{ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا} أي فاتحين مجاهدين{ مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا} في سيناء{ قَٰعِدُونَ} فاعتذر موسى (عس) لربه و{ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ} طاعةً لك{ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ} واحكم{ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ} الخارجين على أمرك وطاعتك، فـ{ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ} أي في سيناء عقوبةً لهم في الدنيا لجحودهم، وليُمضِي تعالى سنن الاستبدال بغيرهم كما قال تعالى في سورة التوبة:{ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ}٣٩ فلم يدخلوها إلّا بعد استبدال ذلك الجيل الجاحد بعد موسى (عس)، وقال تعالى:{ فَلَا تَأۡسَ} ولا تحزن ولا تأسف{ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ} الخارجين على أمر الله تعالى وهديه.

الملخص: –

أشار تعالى إلى شيءٍ من تعنت ومُشاقَّة بني إسرائيل لموسى (عس) لمّا أمرهم تعالى دخول بيت المقدس فاتحين، فلمّا أبوا دخولها حرّمها تعالى عليهم أربعين سنة يتيهون في أرض التيه في سيناء عقوبةً لهم، واستبدلهم تعالى بغيرهم بعد موسى (عس)، هم في الآخرة من الخاسرين.

(٢٧-٣٢) ذكر خبر قتل قابيل لأخيه ظلمًا، وتشريع حرمته على بني إسرائيل، وتأكيد أنّ كثيرًا منهم مسرفون فيه.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ
مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ
يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨
إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ
ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ
أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ
٣١ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ
فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾

يقول تعالى:{ وَٱتۡلُ} يا رسول الله ﷺ{ عَلَيۡهِمۡ} أي على بني إسرائيل والنّاس{ نَبَأَ} وخبر{ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ} أي قابيل وهابيل وهما من صلب آدم، أي إخوة لأبٍ وأم{ بِٱلۡحَقِّ} والصدق والعدل{ إِذۡ} أي لمّا أو يوم{ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا} والقربان هو كل ما يتقرب به لله تعالى ابتغاء مرضاته، وعلامة القبول كانت أن تأتي نار على القربان المُتَقبَّل من الله تعالى فتأكله، كقوله تعالى

في سورة آل عمران:{... إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ ...} فتقرب هابيل بأجود ما عنده، وتقرب قابيل بما لا حاجة له به، كما ورد في بعض التفاسير مختصرًا{ فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا} أي من هابيل{ وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ} فلم يرضى قابيل{ قَالَ} لأخيه{ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ} واللام في محل قسم، أي والله لأقتلك، فما أراد هابيل أن يكون خصمًا لأخيه، و{ قَالَ} ناصحًا لأخيه مبينًا شرط القبول من الله تعالى:{ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ} وبيّن أنّه لن يدافع عن نفسه وقال له:{ لَئِنۢ بَسَطتَ} ومددت{ إِلَيَّ يَدَكَ} عمدًا{ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ} ليُذهب ما في نفس أخيه أوّلًا، ولكي لا يكون له عُذرًا عند الله تعالى ثانيًا، وبيّن سبب ذلك وقال:{ إِنِّيٓ أَخَافُ} عقوبة{ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} في الدنيا والآخرة، وقال:{ إِنِّيٓ أُرِيدُ} من ذلك كلّه إن أقدمت على قتلي{ أَن تَبُوٓأَ} وتنال وترجع{ بِإِثۡمِي} إذ لم ترتدع وتقبل نصحي{ وَإِثۡمِكَ} إن أقدمت على قتلي ظلمًا{ فَتَكُونَ} بذلك الظلم{ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ} يوم القيامة دون عُذر ولا حُجّة ولا برهان.

ولو عزم هابيل على قتل أخاه، لكان القاتل والمقتول في النّار لما ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري (رلع) عن النبي ﷺ" إذا توجه المسلمان بسيفيهما فَقَتَل أحدهما صاحبه فهما في النار، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال:" إنه أراد قتل صاحبه"، ثمّ جزم تعالى أنّ مُقترف تلك الجريمة من أصحاب النّار وقال:{ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ} في

الآخرة، والله لا يهدي القوم الظالمين، ولا يُحبهم، ومأواهم النّار، ولعنة الله عليهم، وبيّن رسول الله ﷺ أنّ قابيل يتحمّل كِفل من وِزر كل نفس تُقتل ظلمًا لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن مسعود (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تُقتل نفسٍ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها، لأنه أوّل من سن القتل"{ فَطَوَّعَتۡ} وهوّنت وزيّنت{ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ} ظلمًا وعدوانًا{ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ} في الدنيا والآخرة، ولربما ولتلك الأسباب لم يدافع ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفّان (رلع) عن نفسه عندما أقدم أصحاب الفتنة على قتله، وليكونوا من أصحاب النّار.

ثمّ قال تعالى:{ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ} قيل ليدفن غرابًا ميّتا{ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي} ويُخفي{ سَوۡءَةَ} وجُرم قتل{ أَخِيهِۚ} و{ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ} ويا عذابي وخزيي{ أَعَجَزۡتُ} أن أعرف وأعلم{ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ} وأُخفي{ سَوۡءَةَ} وجِثة{ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ} على قتل أخيه ظلمًا، وإعراضه عن نُصحِه، فـ{ مِنۡ أَجۡلِ} ألّا يتكرر{ ذَٰلِكَ} الظلم والجريمة{ كَتَبۡنَا} وشرّعنا{ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ} ظلمًا{ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ} { فَـ} جُرمُه{ كَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا} ليكُفّ الناس عن قتل بعضهم{ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا} فرعى حقّها، وعمل على إصلاحها وهُداها{ فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ} ثمّ قال تعالى عن بني إسرائيل:{ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ

رُسُلُنَا} أي من أنبياء ورُسُل{ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ} والدلائل والبراهين تحذّرهم{ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم} أي من بني إسرائيل{ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ} في سفك الدماء واستحلال المعاصي كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، وهذا واضح في أيّامنا حيث يُقتل كثير من المسلمين وغيرهم في بقاع الأرض ظلمًا وعدوانًا.

الملخص: -

ذكّر تعالى خبر بغي قابيل على هابيل وقتله بغير حقّ للتحذير من الوقوع في مثلها، وشرَّع تعالى لبني إسرائيل تحريم قتل نفس وبشّعها، وحثّ وحفَّزَ على إصلاحها وهداها، وأكّد تعالى إسراف بني إسرائيل في سفك الدماء واستحلال المعاصي.

(٣٣-٤٠) بيان حُكم المحاربين الله ورسوله ﷺ، والسعي في الأرض الفساد، والأمر بالجهاد في سبيله، وبيان حكم السُّراق.

إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ

بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن
يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧ وَٱلسَّارِقُ
وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٞ ٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن
يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠

بيّن تعالى جزاء المحاربين لدينه ورسوله ﷺ والمفسدين في الأرض فقال:{ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ} دين{ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ} فيقطعون الطريق على النّاس ويسرقون أموالهم ويقتلونهم{ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا} باستحلال شرائع الله{ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ} وسبب نزول الآية مختصرًا كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان وغيره أن تسعة نفر أتوا النبي ﷺ بالمدينة فأعلنوا إسلامهم، وأصابهم وجع شديد ووقع الماء الأصفر في بطونهم(داء الاستسقاء)، فأمرهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى إبل الصدقة ليشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا، فلما صحوا عمدوا إلى الراعي فقتلوه ومثّلوا به وسَمَّلوا عيناه، وأغاروا على الإبل فاستاقوها، وارتدوا عن الإسلام، فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب (رلع) في نفر فأخذوهم، فلما أتوا بهم النبي ﷺ أمر بهم، فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وسُمِّلَت أعينهم" كما فعلوا بالراعي{ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ} وعقوبة{ فِي

ٱلدُّنۡيَاۖ} فالحكم لاستتباب الأمن في المجتمع فيمن قَتَل وأخذ مالًا، صُلب، وإن قَتل ولم يأخذ مالًا، قُتِل، وإن أخذ مالًا ولم يَقْتُل، قُطعت يده ورجله من خلاف، وإن أُسر قبل فِعل شيءٍ من ذلك نُفِيَ، كما ورد في تفسير عبدالرزاق{ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} من الله تعالى، ثمّ استثنى تعالى وقال:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ} من تلك الجرائم، ولم يعودوا لمثلها{ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ} وتأسِرُوهم{ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} فاعفوا عنهم.

ثمّ قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} في كل شؤنكم واحذروا عقوبته في الدنيا والآخرة{ وَٱبۡتَغُوٓاْ} أي واطلبوا{ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ} بالقربات والأعمال الصالحة لنيل الدرجات العالية في الآخرة{ وَجَٰهِدُواْ} أي وابذُلوا جُهدكم{ فِي سَبِيلِهِۦ} أي في سبيل إقامة دينه تعالى في الأرض بأموالكم وأنفسكم لقوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...}﴿١٣﴾ وحيث أن الجهاد بالسلاح تكفّلت به الدول، فأصبح على الأفراد بذل الجهد لإقامة الدين من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات بين المسلمين في الأرض، ودعوة غير المسلمين للإسلام، كون الدين للناس جميعًا لقوله تعالى في سورة سباء:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}٢٨ ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّموَاتِ والأَرْضِ لا إلهَ إلاَّ هُوَ يحيي ويُـمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِه واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون}١٥٨ وقد بيّن تعالى أنّ دعوة الناس للإسلام من أحب الأعمال إليه لقوله تعالى في سورة فصّلت:{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ}﴿٣٣﴾ ثمّ قال تعالى:{ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} وحيث أنّ الخطاب للذين آمنوا، والمسلمون متفاوتون في درجة الإيمان والبذل لقوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ}﴿٣٢﴾ فدرجة الفلاح متفاوتة بدرجة الأيمان والبذل، ولذلك قال تعالى لعلكم تفلحون.

ثمّ حذّر تعالى فقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟} عنادًا وعصيانًا واستكبارًا{ لَوْ أَنَّ لَهُم} يوم القيامة{ مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا} من ثروات{ وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ} أضعافًا{ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فـ{ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ} بكل السُّبل{ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} لا يُفتّر عنهم العذاب لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}﴿٧٥﴾.

ثمّ بيّن تعالى حكم السُّراق فقال:{ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا} يدًا واحدة عند مِفصل الكف{ جَزَآءً} وعقوبةً{ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا} وتشنيعًا{ مِّنَ

ٱللَّهِۗ} عبرة للغير وأمن المجتمع{ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ} لا يقبل إلّا شرعه، غالب في كل أسمائه وصفاته، حازم في حُكمه وشرائعه{ حَكِيمٌ} في كل شأنه وفيما يقضي ويحكم ويُشرّع{ فَمَن تَابَ} توبةً نصوحًا{ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ} ومحاربته لله ورسوله{ وَأَصۡلَحَ} فيما بقي من عمره{ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ} ويغفر ذنوبه{ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ} للمستغفرين{ رَّحِيمٌ} بعباده المؤمنين، ثمّ قال تعالى:{ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} لا حاجة له لشيء، ولا يبالي بعقوبة أحد{ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ} بحكمته وعدله، وعلمه بما عملوا، وحقيقة ما تكنّه الصدور، ولا يظلم ربك أحدًا{ وَٱللَّهُ عَلَىٰ} فعل{ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ} بلا حُدود ولا قُيود.

الملخص: –

بيّن تعالى عُقوبة محاربة الله ورسوله والسعي في الأرض الفساد، وأمر ببذل الجهد في سبيل إقامة دينه في الأرض، وبيّن حكم السُّراق، ويتوب الله على من تاب.

(٤١–٤٣) الأمر بعدم الحزن على المسارعين في الكفر من منافقين ويهود، وبيان صفاتهم ونهجهم وتأكيد كفرهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ

لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ
هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ
ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ
وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن
جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ
شَيۡـًٔاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾
وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾

حثَّ تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين على عدم الحزن على الذين يسارعون في الكفر فقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ﷺ﴿ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي﴾ الرجوع إلى﴿ ٱلۡكُفۡرِ﴾ وهم﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ أي المنافقين، وهم الفرقة الأولى من الأعراب ومن أهل المدينة لقوله تعالى في سورة التوبة:﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾﴿١٠١﴾ ثم قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ وهم الطائفة الثانية من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، والمسارعون في الكفر، فهم﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ أي شديدي السمع للكذب و﴿ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ وهم يهود خيبر كما ورد في تفسير مجاهد، فكانت خيبر

وكرًا لليهود في جزيرة العرب والتنسيق بينهم{ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ} وهم الذين{ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ} المنزل عليهم في التوراة{ مِنۢ بَعۡدِ} ما علموا{ مَوَاضِعِهِۦۖ} ومعانيه ومقاصده، و{ يَقُولُونَ} للذين هادو{ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا} أي الذي حرَّفوا{ فَخُذُوهُ} واقبلوا به وصدِّقوه{ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ} من الإيمان به، وسبب نزول الآيات كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا أن أحبار يهود اجتمعوا حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ليسْأَلُوه عن حكم زِنا يهودي مُحصن بيهودية محصنة، وقالوا: إن عمل فيهما بعملكم من التَّجبِيه، وهو الجلد بحبل من ليف مطلي بقار، وتسود وجوههما، ويحملان على حمارين، ووجوههما من قبل دبر الحمار فاتبعوه، فإنما هو مَلِك، وإن هو حكم فيهما بالرجم، فاحذروه، فاستحلف رسول الله ﷺ أعلَمُهم! وقال له: هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟ فقال: اللهم نعم! فأمر ﷺ بهما فَرُجِما، ثمّ سارعوا في الكفر.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ} وإضلاله عن هديه تعالى بسبب المسارعة في الكفر{ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ} وعقوبته{ شَيۡـًٔاۚ} ولا هدايةً ولا نصحًا، فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ} من النفاق والكفر فـ{ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ} ومذلة ومهانة، وقد أخزى تعالى الذين هادوا من المدينة المنورة وكانوا ثلاث قبائل، بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وكانوا مسلحين في حصونهم، وعلى وشك

تنصيب عبدالله بن أبي بن سلول ملكًا في المدينة المنورة، فأخزاهم الله بأن أَجلى رسول الله ﷺ بني قينقاع من المدينة المنورة بعد تعنُّتهم وتحديهم لرسول الله ﷺ، فارتحلوا إلى خيبر، ثمّ أجلى رسول الله ﷺ بني النضير من المدينة المنورة لمّا عزموا على اغتياله بإلقاء صخرة عليه من على بيوتهم، فمنهم سار إلى الشام، ومنهم من التحق بخيبر، فتآمروا مع بني قريظة ومُشركي العرب، والأحزاب لاستئصال الرسول ﷺ والمؤمنين من المدينة المنورة في العام الخامس من الهجرة، فلمّا هزم الله تعالى الأحزاب أمر تعالى رسوله ﷺ بقتال بني قريظة، فقتل مقاتليهم، وسبى نسائهم وأطفالهم، وقسّمت أموالهم، وبصلح الحديبية أَمِنَ الرسول ﷺ مشركي العرب، ففتح ﷺ خيبر في السنة السابعة من الهجرة، وقد أشار تعالى في سورة الحشر إلى خزي بني النضير لمّا ظنُّوا أن حصونهم مانعتهم من بأس الله فقال:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ}۝٢ كما وأخزى تعالى رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول بعد أن كاد أن يُنصّب ملكًا في المدينة المنورة بإجلاء قبائل اليهود الثلاث، وبإسلام ابنه عبدالله، والذي منع والده من دخول

المدينة المنورة لمّا قال في شأن رسول الله ﷺ" ليُخرجنّ الأعز منها الأذل" حتى أذن الرسول ﷺ له بالدخول.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ} والذين هم{ سَمَّٰعُونَ} مصدِّقون{ لِلۡكَذِبِ} على الله، و{ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ} والرشاوى{ فَإِن جَآءُوكَ} يحتكمون إليك{ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ} سواء{ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ} والعدل{ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ} ثمّ استنكر تعالى على يهود أن يحتكموا لرسول الله ﷺ وقال:{ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ} أي في زنى المحصنين{ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ} الذي يسألون عنه{ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ} ويعرضون{ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ} ويطلبون حكمًا شرّعوه بأهوائهم لأنفسهم بالتَّجبِيه{ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ} أبدًا.

الملخص: –

أرشد تعالى إلى عدم الحزن على المسارعين في الكفر من منافقين ويهود، والذين يبتغون حكمًا غير حُكم الله الذي عندهم في التوراة، وأكد كفرهم برسول الله ﷺ وأكّد خزيهم في الدنيا، فأُجلوا من المدينة المنورة ثم من خيبر، ثمّ من جزيرة العرب، ولهم في الآخرة عذاب مهين.

**(٤٤-٥٠) بيان الغاية من إنزال الكُتُب السماوية، وأنّ القرآن مهيمنًا
على ما قبله من كتاب، وليُحكَمَ به بين النّاس.**

إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ
هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ
شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ
يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ
ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ
بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ
مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ
وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلۡيَحۡكُمۡ
أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ
ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى
ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم
بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ
وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ
مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠

بيّن تعالى الغاية من إنزال الكُتُب فقال:{ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ} على موسى (عس){ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ} من بعد موسى (عس){ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ} وجوههم لله تعالى، ليحكُموا{ لِلَّذِينَ هَادُواْ} من يهود{ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ} أي وليحكم بها العبّاد العالمون{ وَٱلۡأَحۡبَارُ} أي وليحكم بها علماء اليهود فيما استجد من قضايا{ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ} أي بما أمروا أن يحفظوا{ مِن} شرائع{ كِتَٰبِ ٱللَّهِ} في التوراة{ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ} إي على التوراة{ شُهَدَآءَۚ} وليوم القيامة، ثمّ أمر تعالى النبيين والربانيين والأحبار فقال:{ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ} من إقامة شرائع التوراة{ وَٱخۡشَوۡنِ} أي واتقوا عقوبتي في الدنيا والآخرة{ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي} وأحكام شرائعي{ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ} بالعدول عن ما أوحي إليكم طمعًا في زينة الحياة الدنيا{ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ} من شرائع وأحكام{ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ} بما أنزل تعالى.

ثمّ ذكر تعالى بعض ما شرع لهم فقال:{ وَكَتَبۡنَا} أي وفرضنا{ عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ} أي في التوراة{ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ} المُذنبة تُقتل{ بِٱلنَّفۡسِ} المقتُولة عمدًا{ وَٱلۡعَيۡنَ} أي وعين المُذنب تفقأ قصاصًا{ بِٱلۡعَيۡنِ} التي أعُميت

قصدًا{ وَٱلۡأَنفَ} أي ويُجدع أنف المُذنِب قصاصًا{ بِٱلۡأَنفِ} المَجدُوعة عدوانًا{ وَٱلۡأُذُنَ} أي وتُقطع أُذن المُذنِب قصاصًا{ بِٱلۡأُذُنِ} المقطوعة عمدًا{ وَٱلسِّنَّ} يُكسر قصاصًا{ بِٱلسِّنِّ} المكسورة عدوانًا{ وَٱلۡجُرُوحَ} يُحكم بها{ قِصَاصٞۚ} أي المثل بالمثل، ثمّ حضَّهم على العفو إن كان خطأً فقال:{ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ} وعفا{ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ} في الدنيا ويوم القيامة{ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ} في التوراة قبل نسخاه{ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} المعتدون على شرع الله تعالى.

ثمّ قال تعالى:{ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم} أي وبعثنا من بعدهم{ بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ} ناسخا للتوراة لقوله تعالى في سورة الصف:{ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ...}﴿٦﴾ فلمّا كفر بعض يهود، أيّد تعالى المؤمنين من بني إسرائيل كما قال تعالى في سورة الصف:{... فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ}﴿١٤﴾ والإنجيل{ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ} للمؤمنين به{ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ} قبله{ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ} وأمرهم فقال:{ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ} من شرائع وأحكام، وحذّرهم

فقال:{ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ} في الإنجيل{ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ} الخارجون الطاغون على هديه تعالى.

وقد أخذ تعالى العهد على أهل الكتاب باتباع الرسول ﷺ ونصره لقوله تعالى في سورة الأعراف:{... وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}﴿١٥٧﴾.

وقد حذّر تعالى الأمم جميعًا من أن يكونوا من أصحاب النّار عند كفرهم برسوله ﷺ وما أنزل عليه لقوله تعالى في سورة هود:{ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ}﴿١٧﴾ ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رلع) عن رسول الله ﷺ أنه قال:" والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"، وذلك للعهد الذي

أخذه تعالى على النبيين بالإيمان برسوله ﷺ ونصره إذا بعث لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}﴿٨١﴾.

ولذلك قال تعالى:{ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ} أي القرآن{ بِٱلۡحَقِّ} والعدل والصدق والعدل والقسطاس المستقيم، والدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه{ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ} أي التوراة والإنجيل{ وَمُهَيۡمِنًا} في الحكم{ عَلَيۡهِۖ} ناسخًا لهما{ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم} أي بين اليهود والنصارى{ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ} الذي أُنزل إليك، فـ{ لِكُلّٖ} من المسلمين والنصارى واليهود{ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ} بدين واحد{ وَلَٰكِن} جعلها شرائع مختلفة{ لِّيَبۡلُوَكُمۡ} ويمتحنكم{ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ} وشرع لكم{ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ} بالاستجابة لما شرع لكم، فـ{ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا} معشر الأمم{ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ}.

ثمّ أكّد تعالى هيمنة القرآن على التوراة والإنجيل فقال:{ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم} أي بين اليهود والنصارى والنّاس{ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ} في القرآن{ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ} ولا حججهم{ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ} أو يُضلّوك{ عَنۢ

بَعۡضِ} ولو اليسير مـ{ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ} أي اليهود والنصارى والنّاس{ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ} في الدنيا والآخرة{ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ} ثمّ استنكر تعالى عليهم فقال:{ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ} بكفرهم وإعراضهم؟{ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ} بالله تعالى.

الملخص: –

بيّن تعالى الغاية من إنزال الكُتُب السماوية، وأنّ القرآن مهيمنًا وناسخًا لما قبله من كتاب ليُحكَمَ به بين النّاس.

(٥١–٥٦) النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، والتحذير من الارتداد عن الدين، والأمر باتخاذ الله والرسول والمؤمنين أولياء.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ
بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾
فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا
دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ
فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ
جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ
وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾
إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ
ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

يأمر الله تعالى المؤمنين بعدم اتخاذ اليهود والنصارى أولياء فيقول:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ} ونصراء، وحلفاء ومقربون، وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا عن ابن عباس قال: لما أصاب رسولُ الله ﷺ قريشًا يوم بدْر فقدم المدينة، وجمع يهودَ في سوق بني قَينُقاع فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا! فقالوا: يا محمد لا تغرّنك نفسك، أنك قتلتَ نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تأت مثلنا، وورد في تفسير الطبري مختصرًا أنّ عبادة بن الصامت قال: يا رسول الله، إن أولياِئي من اليهود كانت شديدةٌ أنفُسهم، كثيرٌ سِلاحهم، شديدةٌ شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم، ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: لكني لا أبرأ من ولاء يهود، إني رجل لا بد لي منهم، وإني أخشى الدوائر، فنزلت.

ثمّ علل تعالى لمنع من اتخاذهم أولياء فقتل:{ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ} ومناصرين لـ{ بَعۡضٖۚ} أي ومناوئين ومناهضين لكم{ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ} ومولاهم، ثمّ بيّن تعالى سننه فيهم فقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} لنور دينه، ويَذَرُهم في طغيانهم يعمهون، ثمّ قال تعالى:{ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} النفاق كعبدالله بن أبي بن سلول{ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ} وفي موالاتهم{ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ} أي فتُغلبون من عدوِّكم فلا نجد وليًا، فقال تعالى:{ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ} أي بالنصر على عدوِّكم{ أَوۡ أَمۡرٖ} آخر{ مِّنۡ عِندِهِۦ} تعالى{ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ} من موالاتهم{ نَٰدِمِينَ} خاسرين.

وقد كان ذلك، فأَجلى رسول الله ﷺ بعد غزوة بدر بني قينقاع من المدينة المنورة بعد تعنُّتهم وتحديهم، ثمّ أجلى رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد بني النضير لمّا أرادوا اغتياله بإلقاء صخرة عليه من على بيوتهم، ولمّا نظَّم يهود خيبر لاجتثاث المسلمين من المدينة المنورة في العام الخامس من الهجرة انضمّ بنو قريظة للأحزاب، فأمر تعالى رسوله ﷺ بقتال بني قريظة، فقتل مقاتليهم، وسبى نسائهم وأطفالهم، وقسِّمت أموالهم، وبصلح الحديبية أَمِنَ الرسول ﷺ مشركي العرب، ففتح خيبر في السنة السابعة من الهجرة، ومكّة المكرمة في العام الثامن من الهجرة، فأمن المسلمون وخسر المنافقون، ثمّ قال تعالى:{ وَيَقُولُ} أي

وسيقول{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ} في المنافقين{ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ} ومؤيدوكم؟ فـ{ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ} في الدنيا والآخرة{ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ}.

ثمّ حذّر تعالى المؤمنين فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ} ويُبقي ولائه لليهود والنصارى{ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} قيل هم من أهل اليمن كما ورد في تفسير الجامع لابن وهب، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) عن النبي ﷺ قال:" أتاكم أهل اليمن، أضعف قلوبًا، وأرق أفئدةً، الفِقهُ يمانٍ، الحِكمة يمانية"، وقال تعالى عنهم{ أَذِلَّةٍ} أي رُحماء هَيِّنين لَيِّنين{ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ} أي غلاظٍ شدادٍ{ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} وإقامة دينه في الأرض{ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ} فـ{ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ} بعدله وحكمته وبعلمه حقيقة ما في القلوب{ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ} في فضله{ عَلِيمٌ} بمستحقيه، ثمّ بيّن تعالى الذين تجب ولايتهم فقال:{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ} وناصرُكم ومؤيّدُكم{ ٱللَّهُ} سبحانه وتعالى{ وَرَسُولُهُۥ} ﷺ{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} بالله ورسوله، كما قال عُبادة بن الصامت:" وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم، ولا مولى لي إلا الله ورسوله"، ثمّ بيّن تعالى بعض صفاتهم فقال:{ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ} المفروضة في أوقاتها{ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ} لمستحقيها، المذكورين في قوله تعالى في سورة التوبة:{

إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ}﴿٦٠﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ} أي مستجيبون لهدي الله تعالى ولرسوله ﷺ{ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} وينصرهم{ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ} في الدنيا والآخرة.

الملخص: -

ينهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وبيّن أنهم أولياء ومناصرين لبعض، وحذَّر تعالى المؤمنين من الارتداد عن الدين بسنن الاستبدال، وأمر باتخاذ الله تعالى والرسول ﷺ والمؤمنين أولياء، وأكّد أنهم هم الغالبون في الدنيا والآخرة.

(٥٧-٦٣) النهي عن اتخاذ المستهزئين بالدين أولياء، واستنكار نقمة أهل الكتاب على المسلمين، وفضح سلوكهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾
وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿٥٨﴾
قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ

وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠ وَإِذَا
جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا
كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ٦١ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ
وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣

يأمر الله تعالى المؤمنين بعدم اتخاذ المستهزئين بالدين من أهل الكتاب والكفّار أولياء فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا} وسُخريةً{ وَلَعِبٗا} بقولهم آمنّا وهم لا يؤمنون{ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ} أي اليهود والنصارى{ وَٱلۡكُفَّارَ} بالله تعالى ورسوله ﷺ عنادًا واستكبارًا{ أَوۡلِيَآءَۚ} وحلفاء ومناصرين ومقربين{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} وحده، وتمسّكوا بهديه، واحذروا عقوبته{ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} حقًا، ثمّ ذكر تعالى خَصلة أخرى لهم فقال:{ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ} بالأذان عند دخول وقتها{ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا} أي سُخريةً وتهكمًا{ وَلَعِبٗاۚ} أي هزلًا وضحكًا{ ذَٰلِكَ} أي وسبب ذلك{ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ} أهميّة الصلاة كركن من أركان الإسلام، ولا أين فُرضت، ويجهلون ثواب أدائها، وعقوبة تركها، وأنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ويجهلون قِيَمِها الروحية والنفسية والجسمية والاجتماعية.

ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن سبب نقمتهم فقال:{ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ} وتسخطون وتستاؤون{ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ} الذي تؤمنون به، والذي أمركم بإقامة الصلاة{ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا} كما أنزل إليكم{ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ} من كتاب{ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ} غير ملتزمون بهدي ربكم، ثمّ حذّرهم تعالى فقال:{ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ} كُله{ مَثُوبَةً} أي عقوبة من{ عِندَ ٱللَّهِۚ} بسبب اتخاذكم ديننا هزوًا وسُخريةً، كـ{ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ} في الدنيا فأضلّهم عن دينه وأعمى أبصارهم عن هديه{ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ} في الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين{ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ} كما حلَّ ببني إسرائيل لمّا اعتدوا يوم السبت، وورد في تفسير الطبري وغيره" لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى فصاروا خنازير"{ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ} أي وجعل منهم عبدة الطاغوت جزاء بغيهم على أمر الله، فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا} عند الله في الدنيا والآخرة{ وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ} وهدي الله المستقيم، ثمّ ذكر تعالى لأهل الكتاب خصلة ثالثة فقال:{ وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ} بأفواههم{ ءَامَنَّا} ولم تؤمن قلوبهم، والحقيقة أنهم{ وَقَد دَّخَلُواْ} إليكم{ بِٱلۡكُفۡرِ} في قلوبهم{ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ} أي بالكفر الذي دخلوا به{ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ} منكم و{ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ} وما يُخفون في صدورهم، ثمّ فضحهم تعالى بذكر خِصلة

أخرى فقال:{ وَتَرَىٰ} أي وتجد{ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ} أي من أهل الكتاب{ يُسَٰرِعُونَ فِي} فعل{ ٱلۡإِثۡمِ} الذي نهى تعالى عنه{ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ} على شرائع الله تعالى وعلى خلقه{ وَأَكۡلِهِمُ} أي وأخذهم{ ٱلسُّحۡتَۚ} أي الرشاوى فـ{ لَبِئۡسَ} ولحقارة ودناءة{ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ} ثمّ استنكر تعالى على يهود فقال:{ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ} أي فلو نهاهم عن استهزائهم وفعلهم الإثم والعدوان{ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ} أي العباد العالمون منهم{ وَٱلۡأَحۡبَارُ} العالمون بشرائع الدين وأحكامه، و{ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ} وطعنًا في دين الله تعالى{ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ} أي وأخذهم الرشاوى{ لَبِئۡسَ} ولخزي ولمهانة ومذلة{ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ} ويقدمون لأنفسهم في الدنيا والآخرة.

الملخص: –

نهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ المستهزئين بالدين من أهل الكتاب والكفّار أولياء وحلفاء ومناصرين، وحذّرهم من شرِّ عقوبته، واستنكر عليهم نِقمتهم على الدين، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٦٤-٦٩) تطاول اليهود على الله تعالى، وبيان وعقوبتهم، وجزاء أهل الكتاب لو آمنوا، والأمر بتبليغ الدين، وقبول إيمان النّاس إن آمنوا.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ
مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ
طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟
نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ
وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟
ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

استنكر تعالى على يهود فقال:{ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ} أي غير مبسوطةً لهم في العطاء، وسبب ذلك كما ورد في تفسير الوسيط للواحدي وغيره مختصرًا" أن الله تعالى بسط على اليهود، حتى كانوا من أكثر الناس مالًا، وأخصبهم ناحية، فلما عصوا الله تعالى في محمد ﷺ، وكذبوا به، كفَّ الله تعالى عنهم ما بسط عليهم من السِّعة" عقوبةً لهم، ولعلهم يرجعوا عن كفرهم، فـ{ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ} أي فجعل تعالى أيديهم مغلولة بخلاء لا ينفقون في المعروف{ وَلُعِنُواْ} جزاء تطاولهم، ومن اللعن صمّ الآذان وإعماء الأبصار عن هدي الله تعالى ونوره كقوله تعالى في سورة محمد:{ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ}﴿٢٣﴾ كُلّ ذلك{ بِمَا قَالُواْۘ} وتطاولوا على الله تعالى{ بَلۡ يَدَاهُ} تعالى{ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ} على خلقه بعدله وحكمته وعلمه ما تخفيه الصدور، وما ربّك بظلام للعبيد، ويصيب بعقوبته الكافرين لقوله تعالى في سورة الرعد:{... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ}﴿٣١﴾.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم} أي من يهود{ مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ} من القرآن{ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا} على هدي الله تعالى{ وَكُفۡرٗاۚ} وزادهم

عقوبة أخرى فقال:{ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ} كما لعن تعالى إبليس إلى يوم الدين، فـ{ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ} على رسوله ﷺ{ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ} أي أطفأ شرّها، وفضحهم تعالى فقال:{ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ} كما هو مشاهد حتى يومنا{ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ} ولا يُصلح أعمالهم، لقوله تعالى في سورة يونس:{... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ}﴿٨١﴾.

ثمّ بيّن رحمته لأهل الكتاب لو آمنوا وقال:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ} من يهود ونصارى{ ءَامَنُواْ} برسول الله ﷺ{ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا} ومحونا{ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ} في الدنيا{ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ} في الآخرة{ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ} شرائع{ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ} من قبل{ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ} على رسوله ﷺ{ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ} فـ{ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ} مؤتمرة بهدي الله{ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ} وخبث{ مَا يَعْمَلُونَ}.

ثمّ أمر تعالى رسوله فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ} للنّاس{ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ} ويمنعك{ مِنَ} شرور وغدر{ ٱلنَّاسِۗ} فكان لرسول الله ﷺ حرسٌ خشية القتل، فلمّا نزلت أمرهم بالانصراف، وقال:" قد منعني ربي" كما ورد في التفاسير مختصرًا، وقد بيّن تعالى أنّ تبليغ الدين من أشرف الأعمال وواجب كل مؤمن لقوله تعالى في سورة فصلت:{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي

مِنَ الْمُسْلِمِينَ}٣٣ ولقوله تعالى في سورة يوسف:{ قُلْ هذه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}١٠٨ وأرسل تعالى رسوله ﷺ للناس كافة لقوله تعالى في سورة سباء:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}٢٨ ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّموَاتِ والأَرْضِ لا إِلهَ إلاَّ هُوَ يحيي ويُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيّ الأُمِّيّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِه واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}١٥٨ ثمّ أكّد تعالى سننه فقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى} لنور دينه{ ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ} عنادًا واستكبارًا.

وأمر تعالى رسوله ﷺ فقال:{ قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَىۡءٍ} من دين الله تعالى{ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ} شرائع{ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ} والميثاق الذي أخذ عليهم بالإيمان برسوله ﷺ ونصره لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلۡأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}١٥٧ ثمّ قال تعالى:{ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم} من قرآن وحكمة{ مِّن رَّبِّكُمۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ

طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ} لكفرهم برسوله ﷺ{ فَلَا تَأۡسَ} ولا تحزن{ عَلَى} كُفر{ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} ثمّ أكّد تعالى وقال:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ} تعالى ورسوله ﷺ{ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ} في الدنيا{ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ} في الآخرة.

الملخص: -

أشار تعالى إلى تطاول اليهود بقولهم يد الله مغلولة، فلعنهم تعالى وأضلّهم عن دينه ونوره، وما يزيدهم القرآن إلّا طغيانًا وكفرًا، وبيّن تعالى جزاء أهل الكتاب لو آمنوا برسوله ﷺ، وأمر تعالى بتبليغ الدين، وقبول إيمان كل من يسلم وجهه لله تعالى ولرسوله ﷺ.

(٧٠-٧٧) نقض بني إسرائيل ميثاقهم وبيان عقوبتهم، وتكفير القائلين باتخاذ الله الولد، وبيان حقيقته ابن مريم، ونهي أهل الكتاب عن المغالاة في دينهم.

لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ٧٠ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ
وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ
خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ
نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ
لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ
وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧

يقول تعالى:{ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} أي بالإيمان بِرُسل الله من بعد موسى (عس) لقوله تعالى في سورة المائدة:{ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ}١٢ فكفروا بعيسى (عس) وبمحمد ﷺ{ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ} من بعد موسى (عس){ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ} بغير حق{ وَحَسِبُوٓاْ} وظنوا{ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ} وعقوبة من الله تعالى بجرمهم{ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ} أي فأعمى تعالى أبصارهم وأصمّ

أسماعهم عن هديه ونوره لعلهم يسلمون، وتلك العقوبات من اللعن لقوله تعالى في سورة محمد:{ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ}۝٢٣ { ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ} ليتوبوا عن كفرهم برسله وقتلهم بغير حق، فازدادوا تكذيبًا وكفرًا، وعزموا على قتل عيسى (عس)، وحاولوا قتل محمد ﷺ وناصبوه العداء، وقاتلوه مع المشركين، ولا زالوا{ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ} جزاء عنادهم وإعراضهم واستكبارهم{ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ} لا تخفى عليه خافية.

ثمّ كفَّر تعالى النصارى فقال:{ لَقَدۡ كَفَرَ} بالله تعالى وبرسوله ﷺ{ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ} وبنسبة عيسى إلى أمِّه إبطالًا لحُجّتهم، فمن المحال أن يلد الإنسان إلهًا{ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ} أي وأمر بذلك النصارى، وسُمِّي المسيح لأنّه إذا مسح العليل أبرأه بإذن الله، فكان يبرئ الأكمه والأبرص، فـ{ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ} في الآخرة{ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ} من عقوبته تعالى في الدنيا والآخرة، ثمّ جزم تعالى فقال:{ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ} فالنصارى ألّهوا عيسى (عس) وأمّه مع الله تعالى{ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ} لا شريك له، ثمّ حذّرهم فقال:{ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ} ويفترون{ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى في سورة المائدة:{ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ}﴿١٤﴾ ثمّ قال تعالى:{ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ} من شركهم{ وَٱللَّهُ غَفُورٌ} يقبل توبة التائبين{ رَّحِيمٌ} بالمؤمنين.

ثمّ بيّن تعالى حقيقة المسيح فقال:{ مَّا ٱلۡمَسِيحُ} أي ليس المسيح{ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ} بنت عمران{ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ} ومضت{ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ} الكثير{ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ} بالله تعالى ورُسله، ثمّ أثبت تعالى بشريتهما فقال{ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ} ولا حاجة لله لطعام{ ٱنظُرۡ } يا رسول الله، وانظروا يأيها الناس{ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ} والدلائل والبراهين لباطلان دعواهم{ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ} وكيف{ يُؤۡفَكُونَ} ويُكذّبون على الله تعالى، ثمّ استنكر تعالى عليهم فقال:{ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ} لدعائكم وتضرعكم{ ٱلۡعَلِيمُ} بأعمالك.

ثمّ نهى تعالى أهل الكتاب عن المغالاة في دينهم فقال:{ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ} من يهود ونصارى{ لَا تَغۡلُواْ} أي لا تغالوا{ فِي} شأن{ دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ} الذي أُنزل إليكم، كقولهم في سورة البقرة:{ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن

كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ}﴿١١١﴾ وقال:{ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ} فأشركوا{ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا} منكم{ وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ} وهدي الله وصراطه المستقيم، فأسلموا وجهكم لله تعالى.

الملخص: -

بيّن تعالى نقض بني إسرائيل ميثاقهم بكفرهم برُسله وقتلهم من بعد موسى (عس) فأصمّهم تعالى وأعمى أبصارهم عن هديه لعلهم يسلمون، وكفَّر تعالى المشركين من النصارى، وبيّن حقيقته المسيح ابن مريم، وحذّر تعالى أهل الكتاب من المغالاة في دينهم لعلهم يُسلموا وُجُهَهم لله تعالى.

(٧٨-٨٦) لعن كفّار بني إسرائيل وبيان معاصيهم، وتأكيد أنهم أشد عداوة والمشركين للمؤمنين، وأنّ النصارى أقربهم مودة.

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ
لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ
مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ
كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ

ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ
أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ
يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا
جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٤ فَأَثَٰبَهُمُ
ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٨٦

بيّن تعالى أنّه لعن كفّار بني إسرائيل من عهد داوود (عس) فقال:{ لُعِنَ} وطرد{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} من رحمة الله وهديه ونوره، ومن اللعن صمّ الآذان وإعماء الأبصار لقوله تعالى في سورة محمد:{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣} فلعنهم{ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ} (عس) لمّا دعاهم للإيمان به واتباع ما أوحي إليه من ربه{ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ} (عس) أي ولعن من كفر من يهود على لسان عيسى (عس) لمّا كفروا به، وذلك من بعد موسى (عس)، وقد أخذ تعالى العهد عليهم بالإيمان برسله لقوله تعالى في سورة المائدة:{ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ

سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ}﴿١٢﴾ فلعنوا بسبب كفرهم بداوود (عس) وبعيسى (عس){ ذَٰلِكَ} أي وسبب ذلك اللعن{ بِمَا عَصَواْ} رُسل الله وكفروا بهم{ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ} على شرائع الله تعالى كيوم السبت كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ}﴿٦٥﴾ ثمّ ذكر تعالى لهم ذنبًا آخر فقال:{ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ} أي وقد أُمروا أن يأمروا بالمعروف وينهون عن المنكر، ثم ذمّ تعالى خُلُقهم فقال:{ لَبِئۡسَ} ولشقاء{ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ} ثمّ ذكر تعالى ذنبًا آخر فقال:{ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ} ويودُّون وينصرون{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ} بالله تعالى ورُسله{ لَبِئۡسَ} ولتعاسة{ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ} وحظّتهم على فعله، فكان جزاءهم{ أَن سَخِطَ} وتذمر واستاء{ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ} في الدنيا فلعنهم وأصمّهم وأعمى أبصارهم عن هديه تعالى{ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ} في الآخرة، ومن سننه تعالى أنّ العقوبات الإلهية تتناسب مع عظم الذّنب، ثمّ بيّن تعالى ثوابهم لو آمنوا فقال:{ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ} ورُسله { وَٱلنَّبِيِّ} الأمي ﷺ حقًا{ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ} من قرآن، كونه مهيمنًا وناسخًا لما معهم{ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ} أي ما اتخذوا الكفّار{ أَوۡلِيَآءَ} وأحباء ومناصرين، فاليهود كفروا برسول الله ﷺ واتخذوا مشركي قريش أولياء{ وَلَٰكِنَّ} الحقيقة أنّ{ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ

فَٰسِقُونَ} خارجون عن هدي الله تعالى، من عهد داوود (عس) إلى عهد رسول الله ﷺ.

ثمّ أكّد تعالى أنّ لهم ذنبًا أخر ولا يزال قائمًا فقال:{ لَتَجِدَنَّ} على مر الزمان{ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ} برسول الله ﷺ{ ٱلۡيَهُودَ} أي الذين آمنوا بموسى (عس) من بني إسرائيل{ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ} بالله تعالى{ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ} وسبب{ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا} متمسّكين بهدي الله تعالى{ وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ} على الحق وشرائع الله تعالى ولا على النّاس{ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ} ﷺ من قرآن{ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ} وتجدهم{ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا} برسول الله ﷺ{ فَٱكۡتُبۡنَا} واجعلنا{ مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ} يوم القيامة على من لم يؤمن من يهود، ويقولون:{ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ} مع رسوله ﷺ{ وَنَطۡمَعُ} ونرجوا{ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ} في الآخرة{ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ} أي فسيجعل تعالى ثواب إيمانهم{ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} من النّاس إلى يوم القيامة، ثمّ ذكر تعالى جزاء الكافرين فقال:{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ} ورسولنا ﷺ{ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ} يوم الدين.

الملخص: –

أكّد تعالى لعن كفّار بني إسرائيل على لسان داوود (عس) وعيسى ابن مريم (عس) وبيّن معاصيهم وجزائهم في الدنيا والآخرة، وأكّد تعالى شدة عداوتهم والمشركين للذين آمنوا، وجزم تعالى أنّ النصارى أقربهم مودة للذين أمنوا وبين صفاتهم.

(٨٧–٩٣) النهي عن تحريم الطيبات، وكثرة الحلف وبيان كفارته، وتحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وبيان الحكمة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن
يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ
مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ
أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ
وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ
تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي
ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ
﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ

﴿فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣﴾

ينهى تعالى المؤمنين عن تشريع ما لم يشرعه لهم، فالتشريع لله تعالى وحده ولرسوله ﷺ لقوله تعالى في نفس السورة:{... وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ} فقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ} على أنفسكم{ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ} فتُحلُّوا ما حرّم عليكم، فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ} على حكمه وشرعه، ونزلت هذه الآية في أناس من أصحاب النبي ﷺ أرادوا أن يَتَخَلَّوا من الدنيا، ويتركوا النساء، ويتزهدوا، كما ورد في تفسير الطبري{ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ} غير فاسدٍ ولا مُخمّر{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} في كل ما شرع لكم، واحذروا عقوبته، فهو تعالى{ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ} ومصدقون.

ثمّ بيّن تعالى حكمًا آخر فقال:{ لَا يُؤَاخِذُكُمُ} ولا يعاقبكم{ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ} وحلفتم بغير قصد{ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم} ويحاسبكم ويجازيكم{ بِمَا عَقَّدتُّمُ} وجزمتم وقصدتم{ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ} والحلف عليه، فإن رأيتم خيرًا منه وأردتم التحلل مما حلفتم عليه{ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ} وجبة واحدة لكل منهم{ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ} من غير إسراف ولا تقتير{ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ} قال الإمام الشافعي أدنى كسوة وإن كانوا صغارًا{ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ} من الرق{ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ} شيئًا من ذلك لفقره{

فَصِيَامُ} أي فعليه صيام{ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ} متتالية أو متفرقة{ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ} على فعل أو ترك شيء{ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ} أي ولا تُكثروا من الحلف تعظيمًا لربكم{ كَذَٰلِكَ} وبمثل هذا الإيضاح{ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ} وأحكامه وشرائعه{ لَعَلَّكُمۡ} معشر المؤمنين{ تَشۡكُرُونَ} وقال تعالى لعلكم تشكرون، لأن درجات المؤمنين في الإيمان متفاوتة لقوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ}٣٢ فقد لا يشكر بعضهم.

ثمّ شرَّع تعالى أحكامًا أُخرى فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ} فأضرار الخمر كثيرة منها تصغير كتلة المخ، وإعاقة نموا أدمغة أبناء المدمين، وعدم قدرة الكبد على تجديد نفسها، والذي لا علاج له، وينتج عنه فقدان الشهية والوزن والارتباك وغيره كما ذُكِر في موقع وب طب المتخصص في الطب{ وَٱلۡمَيۡسِرُ} أي القمار وما يدخل في حكمه، كونه كسبٌ من غير وجه حقّ{ وَٱلۡأَنصَابُ} أي والذبح لغير الله تعالى كونه شرك{ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ} أي التماس الخيرة بالقرعة، والاستعاضة عنه بصلاة الاستخارة، فكل ذلك{ رِجۡسٞ} وإثم ووزر{ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ} ووسوسته وإضلاله{ فَٱجۡتَنِبُوهُ} واتركوه واهجروه{ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} وقال تعالى لعلكم تفلحون لأن منهم ظالم لنفسه بالمعاصي، ثمّ بين تعالى غاية

الشيطان من كل ذلك فقال:{ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ} أولًا{ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ} وشرائعه وهديه ثانيًا{ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ} المفروضة والتطوع ثالثًا{ فَهَلۡ أَنتُم} بعد هذا الإيضاح والتفصيل{ مُّنتَهُونَ} عمّا نهاكم عنه، ثمّ قال تعالى:{ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ} في كل ما شُرّعَ لكم من أحكام{ وَٱحۡذَرُواْۚ} عقوبة الله{ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ} وأعرضتم عن هدي الله تعالى ورسوله ﷺ{ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ} وليس عليه هداكم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ...}﴿٢٧٢﴾ فكُلّ نفسٍ بما كسبت رهينة ومحاسبة عليه، ثمّ بيّن تعالى حكمًا آخر فقال:{ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ} ولا إثم ولا وزر{ فِيمَا طَعِمُوٓاْ} من محرّمات قبل تحريمها كالخمر{ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ} من بعد ذلك{ وَّءَامَنُواْ} وصدَّقوا بالله ورسوله ﷺ{ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} التي أمرهم الله تعالى بفعلها ورسوله ﷺ{ ثُمَّ ٱتَّقَواْ} وترقوا في تقواهم{ وَّءَامَنُواْ} وازدادوا أيمانًا وتصديقًا لله ورسوله ﷺ{ ثُمَّ ٱتَّقَواْ} وثبتوا على تقواهم{ وَّأَحۡسَنُواْۚ} في فعل ما أمروا به كقوله تعالى في سورة آل عمران:{ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ...}﴿١٣٤﴾ { وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}.

الملخص: –

نهى تعالى المؤمنين تشريع ما لم يشرعه لهم ورسوله ﷺ، أو تحريم الطيبات، ونهى عن كثرة الحلف، وبيّن كفارة حلف العزيمة، وحرم تعالى الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وبيَّن غاية الشيطان من إيقاعهم فيما حرّم الله تعالى عليهم، وبيّن تعالى عفوه عمّا كان قبل التحريم.

(٩٤-١٠٠) الجزم بامتحان المؤمنين اثناء إحرامهم، وتحريم صيد البر وتحليل صيد البحر، والتحذير من تجاوز أحكامة تعالى وبيان الحكمة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٖ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ
وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ
مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٖ مِّنكُمْ
هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ
وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو
ٱنتِقَامٍ ٩٥ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٩٦ جَعَلَ
ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَۚ
ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ

شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨ مَّا
عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩ قُل لَّا
يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي
ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠

جزم تعالى باختبار المحرمين أثناء أحرامهم فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ} وليختبر صدق إيمانكم وتمسككم بشرائعه{ بِشَيۡءٖ} أي فيرسل إليكم شيئًا{ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ} الذي ترغبونه{ تَنَالُهُۥٓ} وتصل إليه{ أَيۡدِيكُمۡ} دون سلاح، كصغار الصيد أو الطير{ وَرِمَاحُكُمۡ} أي وتصل إليه رماحكم{ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ} وليتبيّن وليتميّز{ مَن يَخَافُهُۥ} تعالى{ بِٱلۡغَيۡبِۚ} أي يخاف عقوبته التي توعدها للمعتدين{ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ} واصطاد{ بَعۡدَ ذَٰلِكَ} الحُكم{ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ} في الدنيا قبل الآخرة، وسبب نزول الآية مختصرًا كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان حُبس النبي ﷺ عن مكة عام الحديبية، وصالح قريش على أن يدخلها العام المقبل، فأقام بها ثلاثًا ونحر مائة بدنة، فجاءت السباع والطير تأكل منها، فنهى تعالى عن قتل الصيد في الحرم.

ثمّ بيّن تعالى حُكمه فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ} ولا تصطادوا{ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ} بحج أو بعمرة{ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ} أن يهدي لفقراء الحرم{ مِّثۡلُ} وأفضل من{ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ} أي

من الأنعام الثمانية{ يَحۡكُمُ} ويقضي{ بِهِۦ} رجلان{ ذَوَا عَدۡلٖ} وفقه وقسط{ مِّنكُمۡ} على أن يكون{ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ} وواصلًا{ ٱلۡكَعۡبَةِ} لفقراء الحرم، لا يأكل منه قاتل الصيد ولا من معه كما ورد في تفسير مقاتل{ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ} بعدد الطاعمين من الهدي الذي وجب كما ورد المعنى في تفسير الإمام الشافعي، وبمقدار نصف صاع من حنطة لكل مسكين كما ورد في تفسير مقاتل، وسدّ حاجة المساكين تُعزز أمن المجتمع، ولذلك تجد المجتمعات الإسلامية أكثر أمنًا من غيرها على مستوى العالم، ثمّ قال تعالى:{ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ} أي ما يساوي اطعام عدد المساكين{ صِيَامٗا} يومًا عن كل مسكين كما ورد في تفسير مقاتل{ لِّيَذُوقَ وَبَالَ} وعقوبة{ أَمۡرِهِۦۗ} وعصيانه لمخالفة شرعه تعالى.

ثمّ بين تعالى حكمًا لمن اصطاد قبل هذا التشريع فقال:{ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ} ثمّ حذّر تعالى فقال:{ وَمَنۡ عَادَ} واصطاد متعمدًا بعد هذا الحكم{ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ} في الدنيا قبل الآخرة{ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ} يعاقب من خالف حكمه{ ذُو ٱنتِقَامٍ} شديد، فاحذروا مخالفته، ثمّ بيّن تعالى حكمًا آخر فقال:{ أُحِلَّ لَكُمۡ} وأنتم محرمون{ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ} من سمكٍ أو أي طعام آخر من البحر{ مَتَٰعٗا} ومُتعةً{ لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ} المسافرين، ثمّ أكّد حرمة صيد البر فقال:{ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ}

لحج أو عمرة{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} في السِّر والعلن، واحذروا عقوبته فهو تعالى{ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ} يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم.

ثمّ قال تعالى:{ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ} هي{ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ} الذي لا يُعتدى فيه على أحد، من آدم (عس){ قِيَٰمًا} أي أمنًا{ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ} أي وشرع تعالى حرمة الأشهر الحُرُم، والهدي الذي يهدى لفقراء الحرم، والقلائد التي يتقلَّدُها النّاس ويقلدون هديهم أمنًا لهم، ليصل النّاس إلى الحرم ذهابًا وإيابًا، فـ{ ذَٰلِكَ} التشريع لأمنكم و{ لِتَعۡلَمُوٓاْ} وتؤمنوا{ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ} فشرع لكم ذلك{ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية، ثمّ حذّر تعالى فقال:{ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ} للمعتدين على شرائعه في الدنيا قبل الآخرة{ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ} للمستغفرين يتوب عليهم{ رَّحِيمٞ} بعباده المؤمنين.

ثمّ بيّن تعالى مهمّة الرّسول فقال:{ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ} لرسالة الله وأحكامه، ولا يجب عليهم هدايتهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ...}٢٧٢ لعِلمه مُستحقِّ الهداية، كقوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ}٢٣ { وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ} وما تفصحون عنه{ وَمَا تَكۡتُمُونَ} وما تخفون، فيجازيكم عليه في الدنيا

قبل الآخرة، فاحذروا مخالفته تعالى وعصيانه، ثمّ قال تعالى:{ قُل لَّا يَسۡتَوِي} عند الله{ ٱلۡخَبِيثُ} من نية وقول وعمل، وكُفر وإشراك{ وَٱلطَّيِّبُ} من الإيمان{ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ} وتعاظم وظَهر وانتصر{ ٱلۡخَبِيثِۚ} كقوله تعالى في سورة غافر:{ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ}٤ ثمّ قال تعالى:{ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} ولازموا خشيته واحذروا عصيانه{ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ} والعقول{ لَعَلَّكُمۡ} معشر المؤمنين{ تُفۡلِحُونَ} في الدنيا والآخرة، وقال تعالى لعلكم تفلحون لأن من المؤمنين من هو ظالم لنفسه بالمعاصي.

الملخص: –

جزم تعالى بامتحان إيمان المؤمنين أثناء إحرامهم، وحرَّم صيد البر وأحلّ صيد البحر، وحذَّر من شدّة عقوبته للمتجاوزين لأحكامه، وبيَّن الحكمة من فرض محرّمات الإحرام والأشهر الحُرُم.

(١٠١–١٠٥) النهي عن الإكثار من السؤال لغير حاجة، والأمر بنبذ أحكام الجاهلية، والالتزام بشرعه تعالى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ
ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ
أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥

من المعلوم أن السؤال نصف العلم، ولكن لا ينبغي الإكثار من الأسئلة في غير حاجة ولا في ما لا يعنى، فنهى تعالى عن ذلك فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ} فضولًا وعن أشياء مضت وانتقضت قبل الإسلام، و{ إِن تُبۡدَ} ويُبيَّن{ لَكُمۡ} حمكها{ تَسُؤۡكُمۡ} في حاضركم أو مستقبلكم، نادمين على علمها والسؤال عنها{ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ} أي بعد أن{ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ} ويطرح مواضيعها{ تُبۡدَ لَكُمۡ} وتعلمون أن{ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ} وغفرها{ وَٱللَّهُ غَفُورٌ} لمن استغفر وتاب وأناب{ حَلِيمٌ} لا يعاجل عباده بالعقوبة، فقد{ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ} منكرين حكمها، وسبب نزول هذه الآية كما ورد في تفسير الطبري مختصرًا أنّ أقوامًا كانوا يسألون الرسول ﷺ امتحانا له أحيانا، واستهزاءً أحيانا، كقول أحدهم: من أبي؟ وأين ضالتي.

ثمّ استنكر تعالى على أحكامٍ شُرِّعت في الجاهلية فقال:{ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ} وما شرع{ مِنۢ بَحِيرَةٍ} وهي النّاقة التي تشق أذنها ويُهدى لبنها للأصنام بعد ولادتها خمس أبطن إناث آخرها ذكر، فالأصنام لا تشرب لبنها، ولكن يشربها سدنة الأصنام{ وَلَا سَآئِبَةٍ} وهي التي تترك للآلهة بسبب نذر أو غيره، وتعود منفعتها على السدنة{ وَلَا وَصِيلَةٍ} وهي الناقة التي تلد ذكر وأنثى، فَتَحُرم على مالكها{ وَلَا حَامٍ} وهو الفحل الذي خرج من صُلبه عشرة أبطن فيحمي ظهره من الركوب والأحمال، وتترك للسدنة{ وَلَٰكِنَّ} الحقيقة أنَّ{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} بالله تعالى{ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ} بتشريعها ونسبتها لله تعالى{ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ} ولا يفهمون الحكمة من التشريع، ولكن يشرعون لمصالح أنفسهم{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ} ارجعوا{ إِلَىٰ} حُكم وتشريع{ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ} ﷺ{ قَالُواْ حَسۡبُنَا} ويكفينا حُكم{ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ} فاستنكر تعالى قولهم فقال:{ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ} أي فهل سيقولون ذلك حتى لو كان آبائهم خَرقا جهّالًا لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون للحق الذي من عند الله؟.

ثمّ قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ} بالاستجابة لما يصلح دنياكم وأُخراكم، ومروا بالمعروف وانهو عن المنكر، وبلغوا دين الله تعالى وعن رسول الله ﷺ للناس{ لَا يَضُرُّكُم} بعد ذلك{ مَّن ضَلَّ}

إعراضًا وعنادًا واستكبارًا عن هدي الله{ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ} لشرعه تعالى ونوره، وذلك لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن أبي بكر الصديق (رلع) أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية:{ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" ف{ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا} يوم القيامة{ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} ويجازيكم عليه.

فبلِّغوا الدين عقيدة وعبادةً وأخلاقًا ومعاملات، فرسولكم ﷺ أرسل للناس جميعًا لقوله تعالى في سورة سبأ:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ}٢٨ فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ} ولما ورد في مسند الإمام أحمد عن عدي بن عميرة (رلع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن الله عزَّ وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة"، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن حُذَيْفَةَ بنِ الْيمانِ (رلع) عن النبيِّ ﷺ قال:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ ولَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ فَتَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ".

وسلامة المجتمع واجبكم لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن النّعمانَ بنَ بَشير (رلع) عنِ النّبيّ ﷺ قال:" مَثَلُ القائمِ على حُدودِ اللهِ والواقعِ فيها كمَثَلِ قومٍ استَهَموا على سَفِينةٍ فأصابَ بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلَها، فكان الذين في أسفلِها إذا استَقوا مِنَ الماءِ مَرّوا على مَن فَوقَهُم، فقالوا: لو أنّا خَرَقْنا في نَصيبنا خَرقاً ولم نُؤْذِ مَن فَوقَنا، فإن يَترُكوهم وما أرادوا هَلَكوا جميعاً، وإن أخَذوا على أيديهم نَجَوا ونجوا جميعاً".

الملخص: -

نهى تعالى عن الإكثار من السؤال لغير حاجة، وأمر بالتريث حتى نزول القرآن، وأمر بنبذ أحكام الجاهلية، وأمر بالالتزام والثبات على شرعه تعالى ورسوله ﷺ.

(١٠٦-١٠٨) الأمر بالوصية عند حضرة الموت في السفر، وإشهاد الشهود واستحلافهم، واستبدالهما بغيرهما إن تبيّن كذبهما واستحلافهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا

مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن
شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ
عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا
يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

يأمر تعالى بالوصية في السفر إذا حضر الموت فيقول:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ} أي يشهد بعضكم لبعض{ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ} يشهدان{ ذَوَا عَدۡلٖ} وقسط وأمانة{ مِّنكُمۡ} معشر المؤمنين{ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ} أي من غير أهل دينكم{ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ} في تجارة سعيًا لأرزاقكم أو غيره{ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ} ووصل الأجل{ تَحۡبِسُونَهُمَا} أي تُحضرون الشهود{ مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ} قيل بعد صلاة العصر كما ورد في بعض التفاسير أو غيرها{ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ} وشككتم في عدالتهما، فيقسمان أن{ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ} أي بشهادتنا{ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ} الكاذبين{ فَإِنۡ عُثِرَ} وتبيّن بعد ذلك{ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا} وكذبًا في شهادتهما{ فَـَٔاخَرَانِ} أي فأتوا بشاهدين آخرين{ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ} من كذب{ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ} أي فيشهدان بالله{ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ} وأصح{ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ} ولا ظلمنا في شهادتنا، فـ{ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ}

في شهادة{ ذَٰلِكَ} أي فذلك الحكم بالقسم واستبدال الشهود عند الشك في الشهادة{ أَدۡنَىٰٓ} وأولى وأجدر{ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ} وصدقها{ أَوۡ يَخَافُوٓاْ} أي وليخافا الشهود{ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ} أي أو أن يطعن في شهادتهما ولا تُقبل منهما{ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ} وحلفهم{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} في السر والعلن واحذروا عقوبته{ وَٱسۡمَعُواْۗ} وتمسّكوا بهديه تعالى{ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ} إلى دينه ونوره.

وسبب نزول الآية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان مختصرًا، انطلق بديل وكان تاجرا في البحر ومعه تميم وعدي قبل إسلامهما، فحضر التاجر الموت فكتب وصيته ثم جعلها في المتاع وقال: أبلغا هذا المتاع إلى أهلي، فقبضا المتاع وأخذا منه إناء من فضة منقوش بالذهب، ودفعا بقية المال إلى ورثته، فنظروا إلى الوصية فقالا: إنا قد فقدنا بعض مال صاحبنا، فأنكرا، فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ، فحلّفهما النبي ﷺ بعد صلاة العصر، فحلفا أنهما لم يخونا شيئا من المال، ثمّ وجدوا الإناء عند تميم الداري وقالوا: هذا من آنية صاحبنا، فقالا: قد كنا اشتريناه منه فنسينا أن نخبركم به، فرفعوهما إلى النبي ﷺ الثانية، وأنهما خانا، فاعترف تميم بالخيانة، فقال النبي ﷺ: ويحك يا تميم أسلم يتجاوز الله عنك في شركك، فأسلم تميم الداري وحسن إسلامه.

الملخص: -

الأمر بإثبات الوصية عند حضرة الموت في السفر، وإشهاد الشهود واستحلافهم بعد الصلاة، واستبدالهما بغيرهما إن تبيّن كذبهما واستحلافهم.

(١٠٩-١١٥) التذكير بيوم يُسأل الرُّسل، ونعمه تعالى على عيسى ووالدته (عس) وإنزال المائدة للحواريين، والوعيد لمن كفر.

يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ
ٱلۡغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ
إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي
فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ
ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٠﴾ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ
أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذۡ قَالَ
ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ
ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا
وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا
عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ

إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

يذكر الله تعالى بمشهدٍ يوم القيامة فيقول:{ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ} وعددهم ٢١٤٠٠٠ نبي، منهم ٣١٥ رسول كما ورد في كتب الحديث{ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ} أي مَن آمن مِن النّاس؟ ومن منهم كفر؟ فـ{ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ} فـ{ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ} وتعلم ما كان منهم بعدنا، والمشهد الثاني{ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ} وبنسبته تعالى عيسى (عس) لأمِّه تكذيبًا لمن أشرك بهما، فالبشر لا يلد إلهًا{ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ} التي طهرتها مما نسب يهود إليها من فاحشة لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ}﴿٤٢﴾ ثم عدد تعالى بعض نِعمه على عيسى (عس) فقال:{ إِذۡ أَيَّدتُّكَ} أوّلًا{ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ} جبريل (عس)، وجعلتك ثانيًا{ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ} وتبيّن لهم أنك بشرًا، وتأمرهم بالإيمان بالله وحده والالتزام بهديه{ فِي ٱلۡمَهۡدِ} رضيعًا، لقوله تعالى في سورة مريم:{ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا}﴿٣٣﴾ ثالثًا{

وَكَهۡلٗاۖ} أي ودعوتهم لعبادة الله وحده يوم خطك الشيب رجلًا{ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ} رابعًا، أي الكتابة وما نزل من الشرائع والأحكام{ وَٱلۡحِكۡمَةَ} أي العلم والفهم، وجعل الأمور في نصابها خامسًا{ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ} سادسًا، أي وعلم التوراة{ وَٱلۡإِنجِيلَۖ} سابعًا، أي وعلم الإنجيل{ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ} أي وتصنع من الطين{ كَهَيۡـَٔةِ} وصورة{ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا} حيًّا{ بِإِذۡنِيۖ} ثامنًا{ وَتُبۡرِئُ} وتُشفِي{ ٱلۡأَكۡمَهَ} أي المولود أعمى تاسعًا{ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ} عاشرًا{ وَإِذۡ تُخۡرِجُ} وتُحي{ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ} ودعائك لِي، والحادي عشر{ وَإِذۡ كَفَفۡتُ} جُرم{ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ} برفعه تعالى إليه{ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ} أي لمّا جئتهم بالمعجزات والحجج والبراهين{ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ} أي من بني إسرائيل{ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ} ثمّ ذكَر تعالى نعمة أخرى فقال:{ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ} أي الأصفياء المخلصين من قومك{ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي} فـ{ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ} الثاني عشر، و{ إِذۡ} أي ويوم أو ولمّا{ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ} وفي ذلك دلالة على أن شرك النصارى كان متأخرًا{ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ} فـ{ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} فـ{ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا} لإيماننا كما قال إبراهيم (عس): ولكن ليطمئن قلبي{ وَنَعۡلَمَ} أي ولنعلم يقينًا{ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا} بما أخبرتنا من نعيم الآخرة{

وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ} في الدنيا، وعلى قومنا يوم القيامة، فـ{ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا} نحتفل به{ لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا} من أمتنا{ وَءَايَةً} ومعجزة وبرهان{ مِّنكَۖ وَٱرْزُقْنَا} من فضلك{ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ} الثالث عشر، فـ{ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ} في الدنيا والآخرة.

الملخص: -

التذكير بيوم يسأل تعالى فيه الرسل عمّا أُجيبوا، وتذكير عيسى (ع‌س) بنِعَمِه تعالى عليه وعلى والدته، وإجابة دعائه بإنزال المائدة، ووعيده تعالى لمن كفر.

(١١٦-١٢٠) استشهاد عيسى (ع‌س) على قومه، وإقراره ببشريته وأمّه، وبشارته تعالى للمؤمنين.

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن

تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ
صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ
عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا
فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾

يذكر تعالى بما سيقول عيسى (ع‌س) يوم القيامة فيقول:{ وَإِذۡ} أي ويوم{ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ} أي في زمنه، حيث أنّ دينه ناسخ لما قبله، وللتوراة لقوله تعالى في سورة الصف:{ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ}﴿٦﴾ وهل أمرتهم أنِ{ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ} شركاء{ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ} فأشركوا بي{ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ} أنزهك وأعظمك وأطهرك وأقدسك عن الشريك، فـ{ مَا يَكُونُ لِيٓ} ولا يجدر بي ولا يحقُّ لي{ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ} و{ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ} لهم{ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ} من قبل، فأنت{ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي} إن سوَّلت لي{ وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ} لما في السماوات والأرض وما فيهما من شيء{ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ} وأُبلغه عنك{ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ} وحده لا شريك له، فهو{ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا} أي بمن آمن ومن كفر{ مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ} وبَينَ أظهرهم{ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي} ورفعتني{

كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ} من بعدي{ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ} في السموات والأرض{ شَهِيدٌ} و{ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ} تفعل ما تشاء بعلمك وعدلك وحكمتك ولا تظلم أحدًا{ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ} ذنوبهم{ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ} الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي ليس كمثله شيء، والغالب في أسمائه وصفاته{ ٱلۡحَكِيمُ} فيما تَقضِي وتُمضِي وتُقَدِّر{ قَالَ ٱللَّهُ} سبحانه وتعالى{ هَٰذَا يَوۡمُ} أي الحساب والجزاء و{ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ} وإيمانهم وما كانوا يعملون{ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا} ومن خلالها{ ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ} مُطَهَّرِين من كل عيب كقوله تعالى في سورة الحجر:{ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ}٤٨ ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، الأنجوج، عود الطيب، وأزواجهم الحور العين، على خَلْقِ رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعا في السماء"{ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ} بصدق إيمانهم وعملهم{ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ} في دنياهم وجزاء آخرتهم، و{ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} ثمّ اختتم تعالى هذه السورة بقوله:{ لِلَّهِ} تعالى{ مُلۡكُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ} لا حاجة له تعالى لما فيهما من شيء، وليس لأحد فيهما من شيء{ وَهُوَ عَلَىٰ} فعل{ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ} لا يعجزه شيءٍ في الأرض ولا في السماء.

الملخص: -

يستشهد الله تعالى عيسى (عس) يوم القيامة على النّاس في زمنه، فيُقرُّ ببشريته وأمّه، ويبشر تعالى المؤمنين بالفوز العظيم في الآخرة.